وزارة التعليـم العالي والبحث العلـمي

جامعة العربي التبسي - تبسة

كلية الآداب واللغات

قـسـم: اللغة والأدب العربي

الدلالة المفاهيمية في سورة البقرة بين البناء والإنتاج مقاربة عرفانية

مذكرة تخرّج مكملة لنيل شهادة الماستر "ل. م. د" في اللغة والأدب العربي

فرع: دراسات لغوية **تخصص:** لسانيات الخطاب

إعـداد الطالـب:

لزهـــــر الوراد

إشـــراف الأستـاذ:

حـــــاج موساوي

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقـــب	الرتـبـــــة	الجامعة	الصـفـــــة
إبراهيم نويـــري	أستاذ - ب -	جامعة العربي التبسي تبسة	رئيســـــا
حاج مـــوساوي	أستاذ - ب -		مشرفا ومقررا
علـيـــة بيبيـــة	أستاذ محاضر – أ -		عضوا مناقشا

السنـة الجامعيـة 2019 - 2020

بسم الله الرحمن الرحيم

شـــكـــــر

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات و الصلاة والسلام على أشرف خلق الله أما بعد:

أشكر الله الذي أتاح لي ووفقني لتتمة هذه المذكرة حديثة العهد بالجامعة الجزائرية. . .

وأقدم شكري إلى أساتذتي المجتهدين في عملهم وأخص بالذكر :

"فطومة لحمادي، رزيق بوزغاية، قادري، علية بيبية"

ونخص بالشكر: الأستاذ المشرف "الحاج موساوي" لنصائحه وتوجيهاته السديدة.

ولكم كل التقدير والاحترام. . . .

وصلي اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

إهـــــــــداء

إلى روح والدي الكريمين رحمهما الله وأسكنهما فسيح جنانه

إلى رفيقة الدّرب زوجتي الغالية وأبنائي الأعزاء

إلى زملاء الدراسة في لسانيات الخطاب

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذه المذكرة

مقدمـــــــــة:

تعد الدلالة من أكثر العلوم دراسة وأعقدها عبر التاريخ إذ عرفها الهنود واليونانيين والعرب منذ القديم خدمة لنصوصهم الدينية، وزاد تطورها خاصة في النصف الثاني من القرن العشرين مع ثلة من الباحثين الغربيين في التداولية واللسانيات التوليدية التحويلية لتتضح معالمها أكثر مع اللسانيات العرفانية التي أولت للمكون الدلالي وكيفية تشكله في الذهن الدور البارز والمحوري، باعتباره خلاصة تجارب اللغة والواقع.

فالدلالة العرفانية التي هي قسم من اللسانيات العرفانية، تهتم بالمفاهيم الحاصلة في الأذهان وعلاقتها باللغة والواقع، كما وضّحها الباحثون العرفانيون في دراساتهم المبكرة لذلك أمثال لايكوف j. laikov جونسون Jhonson وجاكندوف Jakandov.

ونظرا لهذه الأهمية والمكانة التي حضيت بها الدلالة، والمجال الواسع الذي تشتغل فيه ونهلها من مجموعة علوم عرفانية لها أهمية كبيرة في حياة الإنسان كالعلوم العصبية والنفسية والأنثروبولوجيا، ارتأيت أن أوظفها في الخطاب القرآني الثري بالمفاهيم وانتظامه وشساعة وقوة معانيه.

اعتمدت على المقاربة العرفانية التي تهتم بالصورة الذهنية للمفاهيم والبحث في تغيراتها وتشكلاتها اللغوية، وتموقعاتها وبنائها العصبي وتأثيراتها وتفاعلاتها النفسية والأنثربولوجية.

ولإبراز أهم التطورات الممكنة للمفاهيم وكيفية تشكلها وانشغالها في الخطاب، وعلاقتها بالسياق، تظهر لنا الإشكالية التالية:

كيف تجلَّت لنا دلالة المفاهيم القرآنية عند الأقوام السابقة؟

وكيف كان وقعها وتغيراتها عند نزول القرآن؟

ما علاقة العلوم العصبية والنفسية باللسانيات العرفانية وكيف يمكن تطبيقها في الأقوام السابقة؟ وما فائدة ذلك؟

ما دلالات المفاهيم الذهنية أو المسكوت عنها في السورة الكريمة؟

أين تقع المفاهيم؟ هل في الذهن أو الواقع وكيف تتشكل ومن المسؤول عن تنشيطها؟

هذه الأسئلة وأخرى سأحاول الإجابة عليها، من خلال التطبيق في المفاهيم القرآنية والبحث في متغيراتها اللغوية عبر الزمن من جهة، وكذلك البحث في تعريفاتها عند الباحثين من حيث الاصطلاح، لأرصد أهم المميزات والخصائص لها، وأهمّ الترابطات والتعالقات في الخطاب القرآني وأسرار ذلك، وذكر أهم النتائج المنبثقة عن ذلك البناء والحركية الدلالية والمفهومية من خلال الصورة الذهنية المجسدة أو المتخيلة في الخطاب.

ولهذا اعتمدت المنهج الوصفي، كونه الأصلح والأقدر لدراسة وتتبع المفاهيم القرآنية وتفاعلاتها العلائقية في إطار سكوني.

ونظرا لكوني بحثت في تغيرات المفهوم عبر الزمن، ورصد أهم المعاني الحاصلة والمتميزة له، فإني اعتمدت على المنهج التاريخي كذلك، المساعد في مثل هذه الدراسات، واستعنت في ذلك بأهم النظريات والمفاهيم والمقولات العرفانية التي تساعد في فهم وتوضيح أفضل للدلالة، وكيفية تشكلها في الذهن، من خلال الصور الذهنية وبديع اللغة وجمالها الفني المتميز.

وقد تطلبت طبيعة الموضوع ومنهجه أن تقسم هذه المذكرة إلى فصلين يبتدئا بمقدمة وتمهيد وينتهيا بالنتائج المحصلة عليها وخاتمة.

أما الفصل الأول فتكون من أربع مباحث تمحورت حول السياق والخطاب والدلالة عند العرب والغرب، إضافة إلى مباحث في الخطاب القرآني ومفاهيم في اللسانيات العرفانية والدلالة العرفانية مع لمحة موجزة عن النحو العرفاني والاستعارة.

أما الفصل الثاني فكان تطبيقيا بامتياز طبقت فيه بعض الأفكار والنظريات العصبية، والجانب الأهم هو البحث في المفاهيم ونسبه المختلفة، وذكر أهم النتائج.

أما أكبر هاجس يواجه الطالب في مرحلة إعداد المذكرة هو عامل الوقت الذي لا يسمح بقراءة متأنية والبحث في أهم المراجع في المجال العرفاني النادر الحصول عليه، إضافة إلى المحاور والقضايا الكثيرة التي يثيرها الموضوع والذي يصعب السيطرة عليه، خاصة وأنه حديث عهد.

لم أجد أي دراسة نظرية أو تطبيقية في المقاربة العرفانية لهذه المفاهيم القرآنية أو غيرها، مما زاد الأمر صعوبة.

أما المراجع التي اعتمدت عليها فهي لعبد الرحمان محمد طعمة: البناء العصبي للغة والبناء الذهني للمفاهيم، يذكر في الأول علاقة اللغة بالأعصاب وفي الثاني كيفية تشكل المفاهيم في الذهن بشيء كبير من التنظير فقط، إضافة للكتابين المعروفين للأزهر الزناد: نظريات لسانية عرفانية والنص والخطاب.

وفي الختام نحمد الله حمدا كثيرا أن وفقني إلى إتمام هذا البحث المتواضع الذي اعتبره نقطة بداية في المجال العرفاني، والذي سيتطور في جامعتنا إن شاء الله في السنوات القادمة بشكل كبير.

وأتقدم بالشكر الجزيل والعرفان إلى كل من علمني حرفا أو فكرة أو خلقا من أساتذتي المحترمين، وأخص بالذكر أستاذي المشرف حاج موساوي، أساتذتي فطومة لحمادي فلها مني كل الامتنان والتقدير على أفكارها الثرية في هذا المجال، والله ولي التوفيق

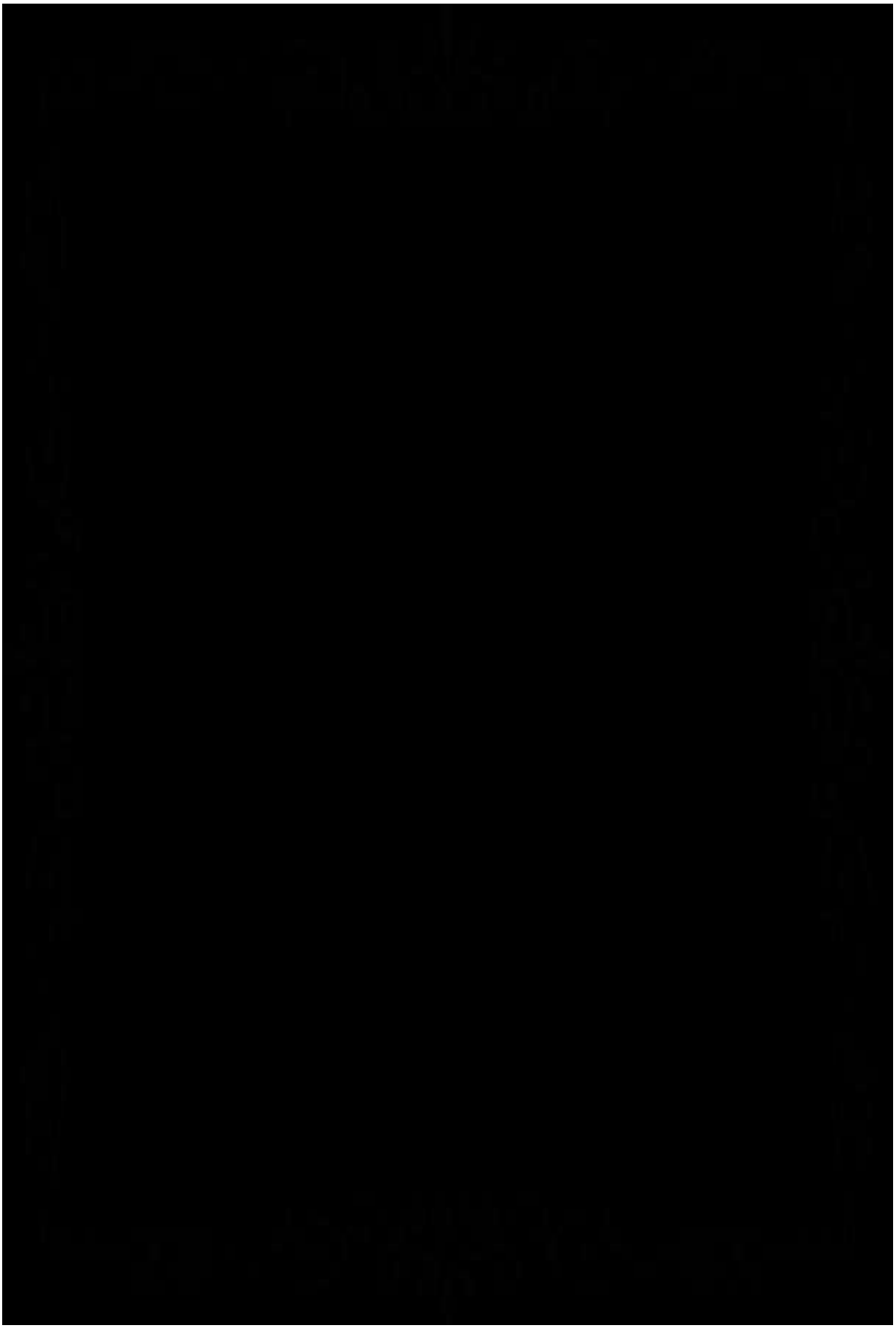

المبحث الأول: مفاهيم ومصطلحات في الخطاب والسياق

توطئة:

اعتبر الدارسون للغة أنّ السياق له الدور البارز والمركزي في تحديد المعنى، وقسّموه إلى سياق داخلي يعتمد على عناصر النص المرئية على سطحه، أما السياق الخارجي فهو يخلق النص يعيد تشكيله من خلال عدة عناصر ذكرها الباحثون أبرزها:

- المتكلم والسامع، شخصيتهما وتكوينهما الثقافي والاجتماعي

- الزمان والمكان: المشاركون في العملية التواصلية

ومن الباحثين الغربيين المحدثين الذين بحثوا في هذا المجال نجد: مالينوفسكي "Malonoviski"، جون فيرت " J. Firth"، فاندريس " Vandriss"، هاليداي "Hallyday"، أولمان "S. Oulman"

فالوصول إلى المعنى لأي نص لغوي يستلزم ما يأتي [1]:

1. أن يحلل المستوى اللغوي.
2. أن يبين نوع الوظيفة الكلامية المختلفة، تمنٍّ، تعجّب...
3. أن يذكر الأثر الذي يتركه الكلام من اقتناع أو سخرية...

فلا مناص من معرفة السياق بشقّيه في تحديد المعنى من خلال المقال والمقام.

[1] محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ط 1 ، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 1963، ص: 340.

المطلب الأول: الخطاب.

1) الخطاب لغة:

يرى ابن فارس أن الخطاب هو كلام بينك وبين آخر، [1]وقريب منه قول التفتزاني بأن الخطاب هو توجيه الكلام إلى حاضره، [2] ولقد ورد في مادة (خ. ط. ب) في لسان العرب لابن منظور (ت 711 هـ) أن:

الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان، والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن، قال الليث: "إن الخطبة مصدر الخطيب، لا يجوز إلا على وجه واحد، وهو أن الخطبة اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب فيوضع موضع المصدر [...] وقيل فصل الخطاب، الفقه في القضاء.[3]

أما حديثا فمعجم الوسيط خطب: أي وعظ وقرأ خطبة على الآخرين، والخطيب بفتح الخاء أي: الشأن المكروه وبضم الخاء أي الخطبة والخطابة والخطاب، وبكسر الخاء الخطبة، طلب الفتاة للزواج،[4] والخطاب: محاورة وجدال ومحاجة كلام.[5]

ومن خلال التعاريف اللغوية نستنتج أن الخطاب هو الكلام الواضح الذي يقصد به الإفهام بيم متخاطبين أو أكثر في أمر يخصهما.

---

[1] – أحمد ابن فارس، مجمل اللغة، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1986، ج 1، ص: 295.

[2] – الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح، القاهرة، 1986، ص: 48.

[3] – أبي الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت– لبنان، مج01، دت، ص520.

[4] – ناصر أحمد وآخرون، المعجم الوسيط، دار صادر، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. ص220

[5] – مخلوف حسين محمد، كلمات القرآن، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، دت، ص: 271.

2) الخطاب اصطلاحا:

يعتبر الأصوليون لفظ الخطاب، من أهم مرتكزاتهم أنهم في الدرس اللغوي وتحليل الخطاب، وأول من أشار إليه الإمام الشافعي الذي يُعَدُّ أول من ألف في أصول الفقه وعلومه حيث يقول: "إنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانه، على ما تُعرف من معانيها، وكان ما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام والظاهر، ويستغني بأول هذا منه عن آخره، وعامًّا ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خطب به فيه، وعاما ظاهرا يراد به الخاص، وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره، فكل هذا موجودا في أول الكلام أو وسطه أو آخره".[1]

وعموما يذكر الشافعي أن الخطاب كلام ظاهر يبين في ألفاظه ومعانيه موجه لسامع بما عهده وبما يعرف بلسانه يفهم من سياقه من بدايته لنهايته.

يذكر رزيق بوزغاية قولا عن تمام حسان أن الخطاب مجموعة النصوص التي يربط بينهما مجال معرفي واحد، أما عالم هذا الخطاب فهو جملة الهموم المعرفية التي جرى التعبير عنها في هذا الإطار.[2]

أما عن هاريس "Z.Hariss" فيعرفه بقوله: ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة، من خلالها معاينة سلسة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية، وشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض.[3]

فهذا التعريف الأخير يعتبر فيه هاريس الخطاب متتالية جمل لها بداية ونهاية تحلل توزيعيا في مجال لساني بحت.

---

[1] – الشافعي، الرسالة، تح: أحمد شاكر، ط 1، الكتبة العلمية، بيروت، دت، ص: 58.

[2] – رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النص، ط1، الجزائر، 2018، ص: 64.

[3] – سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبشير)، ط 3، المركز الثقافي، بيروت– لبنان، 1997، ص: 07.

أما بنفنيست "E. Benivinist" فيعرفه بقوله: "الملفوظ منظورا إليه من جهة آليات وعمليات انشغالية في التواصل، والمقصود بذلك الفصل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم معين في معين، وهذا الفصل هو عملية التلفظ".[1]

وهذا ما يتفق على ما ورد عند الآمدي إذ يقول: "أنه الخطابُ اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه".[2]

يتضح مما سبق أن الخطاب نشاط لساني تلفظي أو مكتوب، موجه للغير لغرض التواصل، متجاوزًا للجملة الواحدة، يكون السياق هو حلقة الوصل بين أطراف العملية التواصلية يحاول المخاطبين فك خيوطه.

المطلب الثاني: السياق.

1) السياق في اللغة والاصطلاح.

أ) السياق لغة:

من الجذر اللغوي (س و ق)، والكلمة مصدر (ساق يسوق سوقا وسياقا)، فالمعنى اللغوي يشير إلى دلالة الحدث وهو التتابع.[3]

وذكر التهانوي: "أن السياق في اللغة بمعنى الإيراد".[4]

أما في أساس البلاغة للزمخشري قوله: "ساق النّعم وقدم عليك بنو فلان فقدمتم خيلا... وساق الله إليك خيرا وساق إليها المهر".

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ط 1، دار الكتب، ليبيا، 2004، ص: 37.

[2] – سيف الدين الأموي، الأحكام في أصول الأحكام،ط1، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ص: 136.

[3] – ابن منظور، لسان العرب، ط 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1992، (مادة سوق)، ص: 220.

[4] – التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ط1، ج 4، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة– مصر،1977، ص: 27.

وساق الريح السحاب... وتساوقت الإبل تتابعت وهو يسوق الحديث أحسن سياق وإليك يساق الحديث وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئت الحديث على سوقه على سرده.[1]

أما في المعجم الوسيط: سياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه، والنزع يقال في السياق: الاحتضار.[2]

أما في المعاجم الغربية: يذكر آلان دي بوف A.D.Bov":[3]

1 -أن السياق هو مجموعة النص يحيط بعنصر لغوي (كلمة، جملة، جزء من ملفوظ) ويتعلق بمعناها وقيمتها.

2 -مجموعة الظروف التي في إطارها يندرج فعل ما، فهناك السياق السيكولوجي للتصرف والسياق السياسي والعائلي.

يتضح مما سبق، أن كلمة السياق لم تخرج عن معنى التتابع والسرد والتسلسل والاتصال.

ب) السياق اصطلاحا:

ذكر ابن القيم (ت 751 هـ) أن السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العلم، وتقييد المنطق، وتنوع الدلالة، وهو أعظم القرائن على مراد المتكلم، فمن أجمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته.[4]

أما في الدراسات العربية الحديثة نجد تمام حسان يقول: المقصود بالسياق التوالي، ومن ثم يمكن أن ننظر إليه من زاويتين أولهما توالي العناصر التي يتحقق بها السياق

[1] – الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ط 1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1998، ص: 484.

[2] – معجم اللغة العربية، الوسيط، ط1، ج 1، المكتبة الإسلامية، مصر، 2004، ص: 464.

[3] –

[4] – ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ط 1، دار عالم الفوائد، تح: علي بن محمد العمران، جدة، السعودية، ص: 4– 13.

الكلامي، وفي هذه الحالة تسمى السياق (سياق النص)، والثاني توالي الأحداث التي هي عناصر الموقف الذي جرى فيه الكلام، وعندئذ نسمي السياق سياق الموقف.[1]

من خلال النصين التراثي والحديث نجد الأهمية الكبيرة لدور السياق في تحديد المعنى أو بالأحرى في تشكيل النص وتأويله، ومعرفة مقصود المؤلف من خلال وضع النص في سياقه، فدراسة العناصر المتوالية، وسياق لغوي، والبحث عن عناصره الخارجية، تتصل بمقام التلقي، وقد قسمها الباحثان إلى: مشاركين في العملية التواصلية، العوامل والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المختلفة بالحدث اللغوي، إضافة إلى الزمان، والمكان، والحدث اللغوي، وأثر ذلك في المشتركين؛ كالإقناع أو الفرح أو الألم أو الإغراء..."[2]

يقول فان ديك "Van Dik": "يتألف السياق البراغماتي من جميع العوامل النفسية والاجتماعية التي تحدد منهجيا ملائمة الأفعال الكلامية، ومن هذه العوامل المعرفة التي يملكها مستعملوا اللّغة ورغباتهم وأشيائهم المفضلة لهم وآراؤهم، وكذلك علاقاتهم الاجتماعية".[3]

كما يعرف تمام حسان المقام بقوله: فالذي أقصده بالمقام ليس إطارا ولا قالبا، وإنما جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءا منه، كما يعتبر السامع والكلام نفسه، وغير ذلك مما له اتصال بالمتكلم.[4]

---

[1] – رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النص، ص 148، نقلا عن تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، ط 1، مصر، 2007، ص: 237.

[2] – فطومة لحمادي، السياق والنص، استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2008، ص: 08.

[3] فان ديك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ط1، تر: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا للنشر، مصر– القاهرة، 2000، ص: 70.

[4] – تمام حسان، دراسة ابستمولوجية الفكر اللغوي عند العرب، ط1، عالم الكتب، القاهرة، دت، ص: 339.

يتفق تمام حسان مع فان ديك أن المقام هو الإطار العام للقول الذي يشمل عناصر عديدة، تساهم في خلق النص وتحيط بالعملية التواصلية وتحدد فهم المقاصد وتحديد المعنى منها، زمان ومكان القول، هوية الباحث والمتلقي وعلاقتهما ببعضهما البعض.

يتضح بعد كل ما سبق أن السياق اللغوي وغير اللغوي لهما دور لا مناص منهما في تحديد المعنى، فيعتبران تأشيرة المرور إلى الإمتاع والإقناع والفهم والإبلاغ لكلا الطرفين المتحاورين، والإخلال بأحد من عناصر السياق كمتلقي النص أو الزمان والمكان، أو كل ما له علاقة مباشرة في تحديد معنى النص سيؤدي إلى اختلال في المعنى، وهذه العناصر السياقية قد تزيد وتنقص على حسب أنواع النصوص.

ويذكر الباحث رزيق بوزغاية أن السياق غير اللغوي ينقسم بدوره إلى سياق عام وهو ظروف التأويل والقراءة، وهي متغيرة بحسب الزمان والمكان والثقافة، وسياق خاص مرهون بإنتاج النص في مقام محدد، فهو متعلق زمانا ومكانا بفعل التلفظ وعليه مدار المقاربة الملفوظة.[1]

فمنتج الخطاب يعد من أهم عناصر السياق فتحدد عناصر داخلية وخارجية من حالات نفسيا وإشارات تسهم في بناء الخطاب، ويحاول المخاطب جاهدا متوسلا فهم مقصد المتكلم أو المخاطب حسب ما يمتلكه من رصيد لغوي ومعرفي، ومعرفته أيضا بتلك العناصر المحيطة بالخطاب كافة وهي ظروف وإنتاج.

[1] – رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النّص، ص: 150– 151.

2) أنـواع السيـــاق:

أ- فـي الـقـرآن:

السياق القرآني يختلف عن أي سياق آخر، وذلك أنه مكون من أربعة دوائر من السياق بعضها داخل في بعض ومبني عليه، وهذا من أعظم ما يتميز به القرآن الكريم، بل هو من مظاهر إعجازه وبلاغته، وذلك ينقسم إلى أربعة أنواع:[1]

النوع الأول: سياق القرآن، وهي مقاصده ومعانيه الكلية وأساليبه المطّردة.

النوع الثاني: سياق السورة، برغم اختلاف بين السّور كل لها سياق خاص.

النوع الثالث: سياق النص، يكون له موضوعا واحدا فهو جزء من جملة السورة.

النوع الرابع: سياق الآية، كل آية لها غرضا مستقلا.

فالخطاب القرآني لن نجد خطابا مثله في تجانسه بين الكلمات والحروف والعبارات، ولن نستطيع إبدال حرف أو حركة مكان أخرى، وكأنها وُضعت إلا لذلك المكان، فكل عنصر إلا ويشكل معنى خاصا به في وقعه وجماله وإعجازه.

كما يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها كثيرة.

ب- عند العرب: أسباب النزول والأحوال التي نزلت فيها الآية وأحوال المخاطبين بها

يقول السيوطي: قال الواحدي لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصة نزولها، [2] لذلك وضع المفسرون شروطا صارمة منها معرفة المفسر، سبب نزول الآية ومكان نزولها في المدينة أو بمكة.

---

[1] – أمال السيد محمد الأمين، مجلة جامعة الناصر، السعودية، العدد السابع، جانفي، جويلية، 2016، ص16.

[2] – عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ط1، ج 1، مركز الدراسات القرآنية، السعودية، 1426هـ ص: 93.

وتجدر الإشارة أن المفسرين هم من كان لهم السبق في الإحاطة بسياق النص.

1- النظم القرآني والأسلوب البياني المعجز:

يقول الزركشي: ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سبق له، وإن خلف أهل الوضع اللغوي لثبوت التجزؤ.[1]

ولاستنباط الأحكام بشكل لائق، وفهم مقصود الشارع الحكيم على المفسر، مراعاة واتباع توالي الألفاظ كيفما جاءت دون النظر لعدولها، وكل عملية تخاطبية تستلزم الفهم والتأويل.[2]

يتبين لنا من خلال ما سبق أن الخطاب القرآني مقصوده حصول الإبانة والفهم والتأثير إيجابيا في متلقيه، ولا يتيسر له ذلك إلا بمراعاة السياق بنوعيه اللغوي والمقامي أو سياق الموقف، فتحدث الإجابة والإذعان.

ج- في الدراسات الحديثة: تكاد تتطابق آراء وأبحاث الباحثين العرب مع الدراسات اللغوية على أن أنواع السياق لغوي وغير لغوي، أما الأول فعناصره مبثوثة مرئية على سطح النص، أما الثاني أطلقوا عليه سياق الموقف أو سياق الحال يخلق النص ويحيل لعناصر خارجه.

يقول فيرث: الجمل تكتسب دلالتها في النهاية من خلال ملابسات الأحداث؛ أي من خلال سياق الحال، [3] فمعرفة سياق الموقف تساعد على تأويل الملفوظات، [4] وعدّوا سياق

[1] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ط1، دار الحديث، القاهرة، ج 1، 2006م، ص: 36.

[2] – فطومة لحمادي، نظرية المقاصد بين الأصوليين واللسانيات التداولية، ص: 161.

[3] – يحي أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع 03، ديسمبر 1989، ص20.

[4] – رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النص، ط 1، دار المثقف، الجزائر، 2018، ص: 151.

الموقف عناصر منها المشاركين في الحدث التواصلي زمان ومكان الحدث، البيئة الاجتماعية والثقافية والقناة أثر التفاعلي للحدث...

3) السياق القرآني مفهومه ومكوناته:

أ- مفهوم السياق القرآني:

هو المعنى الذي يسلكه جميع النص القرآني بما لا يتناقض مع ما ثبت تعلقه به من القرائن وأحوال معتبرة.[1]

والمقصود به المعنى المتجسد عبر سياق النص القرآني من جهة وأحوال السياق القرآني من جهة أخرى، فكلا السياقين ضروريين لمعرفة حقيقة المعنى القابع وراء الوحدات اللغوية.

ب- مكونات السياق القرآني:

السياق القرآني هو جزء من السياق بعمومه في معناه العام، إلا أنه له مكونات خاصة يتميز بها لا بد من اعتبارها فيه وهي:[2]

أولا- أغراض الآية : وهي من كمال الآية، فإنه محتمل للوجوه بحسب اختلاف الأغراض التي تضمنتها الآية، وهذا يؤدي إلى تعدد المعاني في الآية واختلافها والأغراض هي:

1 -أغراض القرآن ومقاصده العظمى.

2 -غرض السورة.

3 -غرض المقطع والآيات الواردة في موضوع واحد.

4 -غرض الآية.

[1] – مجد أبو زيد، مجلة جامعة دمشق، العدد 03 و04، 2012، ص07.

[2] – أمال السيد محمد الأمين، مجلة جامعة الناصر، السعودية، ع07، جانفي- جويلية، 2016، ص14.

فكل هذه الأغراض لا بد من اعتبارها في تفسير الآية ولا يظهر كمالها إلا بها، وهي متآلفة متكاملة مبنية على بناء واحد.

يقول **ابن القيم** في ذلك وبيان قيمة الغرض وعداد المتكلم، والفقه أخص من الفهم وهو فهم مراد المتكلم، وهذا قدر زائد على مجرد وضع اللفظ في اللغة حسب تفاوت مراتب الناس في هذا، تتفاوت مراتبهم في الفقه والعلم.[1]

وقد فرق ابن القيم بين الدلالة الحقيقية والإضافية من خلال ارتباط الأولى بقصد المتكلم وإرادته، أما الثانية فتابعة لفهم السامع وإدراكه، وجودة قريحته وصفاء ذهنه ومعرفته بالألفاظ ومراتبها.[2]

ولذلك وضّح علماء العربية أن لكل مقام مقال؛ فالتواصل اللّساني يقتضي المشاركة والفهم المتبادل بين عناصره.

المطلب الثالث: الدلالة والخطاب القرآني.

أولا: علم الدلالة:

العلم الذي يهتم بدراسة المعنى والكلمات، وهو جزء من علم اللسانيات باعتبار أن المعنى جزء من اللغة، ويندرج داخل علم اللغة أو مستوى من مستوياته كعلم الأصوات وعلم النحو، فعلم الدلالة في طرف وعلم الأصوات في طرف آخر، أما علم النحو فيقع في مكان بينهما، وعلم الدلالة هو مجموعة من الدراسات التي تهدف إلى استخدام اللغة بالنظر إلى المشتركين في المحادثة ومعرفتهم وممارستهم للأشياء.[3]

[1] – ابن القيم، إعلام الموقعين، ط1، دار ابن الجوزي، بيروت– لبنان، ج1، 1433هـ، ص: 281.

[2] – فطومة لحمادي، نظرية المقاصد بين الأصوليين واللسانيات التداولية، ص 159/ نقلا عن ابن القيم، إعلام الموقعين، ج 1، ص: 305.

[3] – بالمر، علم الدلالة، إطار جديد، تر: صبري السيد، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1992، ص: 16.

يبدو واضحا أنه للوصول إلى المعنى يجب تجاوز بالدراسة بالبحث المعجمي وما يتعلق بها، والبحث في المتغيرات النحوية للألفاظ الذي يشكل بناء الجمل والنصوص، فالحدث اللغوي إذن يستند إلى مجموعة علاقات تؤسس تكامل عناصره، فهو ناتج عن معاني النحو وأحكامه وأنساق هذه العلاقات بطريقة تحقق المعنى الدلالي في سياقاته التي وضعت له.

فمنتهى تمام المعنى ووصوله إلى قلب السامع، يتأتى بفهم مقاصد وأغراض المتكلم، لذا عليه الإبانة والإفصاح على قدر أحوال السامعين ومقاماتهم، بذلك يتم الفهم والتواصل، ويتحقق غرض ومراد المتكلم.

1) مفهوم الدلالة:

أ- الـدلالـة لغـة:

قد أورد ابن منظور في باب (دلل): دلل عليه وتدلل: انبس، والدالة ما تدل به على حميمك [...] على الشيء يدله دلا ودلالة فاندلّ: سدده إليه ودللته فانسدل والدليل ما يستدل به.

يظهر لنا من خلال المعاجم اللغوية أن الدلالة تعني الإبانة والهداية والإرشاد.

ب- الدلالة اصطلاحا:

شغلت قضية الدلالة اهتمام كثير من الفلاسفة واللغويين والمفكرين قديما وحديثا وراحت تدور حول ثلاث مكونات هي: اللغة والمتكلم والعالم الخارجي، برغم من وجود تباين بينهم في هذه المكونات فمنهم من يقصي العالم الخارجي أنه المرجع وهناك من يجعله أساس الدلالة، فهذا ابن سينا يعرف الدلالة: "فهم أمر من أمر" ولوجود غموض في

هذا التعريف صححوا المفهوم السابق للدلالة وجعلوه، كون أمر بحيث يفهم من أمر آخر، [1] والفرق بين التعريفين أن الأول تظهر فيه وجود علاقة إلى الفاهم أما الثاني يلحظ بالنسبة بين الدال والمدلول، وهذا ما نحى بصاحب التعريفات بالقول أن الدلالة هي كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول.[2]

2) تاريخ الدلالة.

لاشكّ أن المعنى حظي باهتمام كبير عند الأمم السابقة من اليونان والهنود والعرب، حيث أسسوا المفاهيم وأصولا مازالت راسخة إلى يومنا، وقد تكلّم أرسطو مثلا عن الفرق بين الصوت والمعنى، وذكر أن المعنى متطابق مع التصور الموجود في العقل المفكّر، وميّز بين أمور ثلاثة: أ- الأشياء في العالم الخارجي، ب- التصورات = المعاني، ج- الأصوات = الرموز أو الكلمات.

أمّا الهنود فدرسوا الأصناف المختلفة للأشياء التي تشكّل دلالات الكلمات، وأوجدوا أربعة أقسام للدلالات: قسم يدلّ على الكيفية وآخر للحدث وآخر للذات، وآخر له مدلول عام[3].

أمّا عند العرب فكان اهتمامهم مبكرا مع نزول القرآن الكريم، ففي السنوات الأولى رأوا في ضبط المصحف بالشكل وإعادة تدوينه وحفظه صونا للقرآن وتأسيسا للدلالة والفهم الأحسن، فتنوعت اهتماماتهم من دراسات معجمية بادئ الأمر مع المعجمات المختلفة، العين للخليل ومقاييس اللغة لابن فارس وأساس البلاغة للزمخشري وغيرهم كثير، إضافة

[1] – عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب، دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، ط 1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1994، ص: 10.

[2] – علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ط 1، الطبعة الخيرية الجمالية، مصر، 1306 هـ، ص: 46.

[3] عادل فاخوري، مرجع سابق، ص25.

لدراسات أخر لغوية مع الكتاب لسيبويه وابن جنّي في الخصائص وسرّ صناعة الإعراب وغيره. إضافة لاهتمامهم بالسياق بأنواعه واعتباره الأهم في صنع الدلالة.

واهتمّ الأصوليون وعلماء الكلام والفلسفة المسلمون بموضوعات تخصّ دلالات اللفظ المنطوق والمفهوم، وتقسيمهم للفظ بحسب الظهور والخفاء والترادف والمشترك والأضداد، فكانت دراستهم أكثر غنى ودقّة لأنها ارتبطت بالنص القرآني العظيم.

إنّما في الدراسات العربية فكان متأخرا متذبذبا غير مستقرّ [1].

ولعلّ أول إشارة محتشمة نظرت إلى ضرورة دراسة المعنى نجدها سنة 1883 في مقال الباحث ميشال بريار (Michel Beriear) الذي اعتبر أن المعنى شأنه في ذلك شأن الأصوات يمثّل فرعا من فروع الدراسات اللغوية، ويكون موضوع علم الدلالة وصف الدلالات الخاصة.

ونلاحظ تصور ثلاث رؤى في الدراسات الغربية:

أ- أصحاب التصور الأول يرون في علم الدلالة دراسة المعنى.

ب- يرون في دراسة معاني المفردات موضوعا لعلم الدلالة وهي وحدات معجمية فكانت الدراسة أكثر دقة.

ج- فكان أكثر تصورا وإحاطة بالموضوع، فشملت دراستهم المقولات النحوية والصرفية والمعاني القائمة على أسس منطقية، وما كان منه تداوليا راجعا إلى المقام[2].

نجد إذن أن الاتفاق بين هذين التيارين، ولعل الأفضل أن نحاول في مختلف الفترات التي مرت بها الدراسات الدلالية:

---

[1] عبد الجبار بن عربية، مدخل إلى النحو العرفاني نظرية رونالد لانقاكر، ط1، مسكلياني للنشر، زغوان، تونس، 2010، ص: 19.

[2] المرجع نفسه، ص: 20.

أولا: فترة النشوء والارتقاء : والتي سادت فيها الدراسات اللغوية المقارنة، واعتنى بدراسة الموجودات الحية، حيث تحكمها قوانين وأسباب داخلية خاصة بها.

ثانيا: فترة النظريات الشكلانية [1]: ابتداء من دي سوسير وسيبويه التي اعتنت بالجملة وعزلت كل العناصر الخارجية تأثرا بالمنهج العلمي السابق، واعتنت أيضا بالدراسات المقارنة مع لغات قديمة هندوراسية، والتي يؤمن أصحابها بأن المفردات ومعانيها إنما تحكمها قوانين وأسباب خارجية عنها، الأمر الذي أدى إلى ربط الدراسات بالتاريخ وعلوم الاجتماع.

ثالثا: فترة التطور الدلالي : باعتماد على ما فوق الجملة إنه الخطاب خاصة مع ظهور التداولية وتحليل الخطاب مع هاريس، والنظريات السياسية مع فيرت وهاليداي مع المدرسة اللسانية الاجتماعية واللسانيات النسقية، وظهور كذلك لسانيات النص التي اعتنت بالمعايير النصية وخاصة منها السياق والمتلقي والعمليات العقلية التي تفيد في تحقق انسجام النص من عدمه.

3- أركـان الـدلالـة:

نشير في البداية إلى مؤسس علم اللغة وأول من دعا إلى دراسة السيميولوجيا "ديسوسير"F.Disoussir" فتوجهه في بحثه عن القوانين اللغوية كان توجها سيميولوجيا منذ أول الأمر، ومعنى ذلك أنه ينظر إلى اللغة من منظور نفسي اجتماعي، ينظر إلى استعمال اللغة من حيث هو نشاط نفسي أولا ومن حيث هو عرف اجتماعي ثانيا [2]، وبرغم إقصائه

[1] المرجع السابق، ص: 23.

[2] – شكري عباد، أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة (مدخل إلى السميوطيق ا)، ط1، دار العلم، بيروت– لبنان، دت، ص: 03.

وحذفه للجزء المادي الكلام من تعريف اللغة فسيبقى الجزء النفسي فقط، بل جانب واحد وهو جانب التقبل، حيث أن اللغة مثل الكلام ذات طبيعة ملموسة، وإن كانت العلامات اللغوية في حقيقتها نفسية فإنها ليست مجردات.[1]

وصفوة الكلام لا تخرج ألفاظ اللغة وكلماتها على أن تكون رموزا يعبر بها كل قوم عن أغراضهم من خلال اللفظ أو الإشارات المختلفة، فالعلامة اللغوية تشكل من اللفظ أو الصورة الصوتية التي تنطبع في أذهان السامع مدلوله أو الصورة الذهنية التي ترتسم في الأذهان، والمرجع هو الشيء الخارجي الذي ينطبق عليه المعنى.

وبين هذه الأركان الثلاثة علاقة تكافؤ، إذ يمكن لأي عنصر منها أن يستدعي الآخر بصرف النظر عن نقطة البدء،[2] إذ يمكن للمدلول أن يستدعي اللفظ مثلا بدلا استدعاء الدال والمدلول.

4- أقسام الدلالة:

أ) عند العرب:

عني الأصوليين ببحث جدي ومكثف للدلالة، إذ أنها النافذة التي يستطيع العالم من خلالها إثبات الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية لتوقف الأدلة اللفظية من القرآن والسنة أقوال أهل الحل والعقد من الأمة لمعرفة موضوعاتها لغة، من جهة الحقيقة والمجاز، والعموم والخصوص والإطلاق والتقيد والحذف والإظهار والمنطوق والمفهوم، والإشارة والتنبيه والإيماء وغيره مما لا يعرف في غير علم العربية.[3]

---

[1] – المرجع السابق، ص: 04.

[2] – الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، ط 1، المركز الثقافي، بيروت– لبنان، 1992م، ص: 42.

[3] – عمر وخاطر وهدان، فحوى الخطاب الدلالة المسكوت عنها عند الأصوليين مقاربة تداولية، (د ط)، جامعة طيبة، المدينة المنورة، 2014، ص: 04.

فمزية هذه المجهودات والنتائج المبهرة والمثمرة لعلماء العربية هو الخطاب القرآني المملوء بالدرر والنفائس الثمينة التي لا تنقطع ولا تزول ما داموا متمسكين به، فتقسيم المناطقة وجمهور الأصوليين للدلالة كان على النحو الآتي:

1 -**الدلالة اللفظية:** هي نوع من الدلالة مستمد من كل صوت سواء كان لغويا أو غيره، [1] ولكي نعقد هذه الدلالة لا بد من ثلاثة أمور، اللفظ وهو نوع من الكيفيات المسموعة، المعنى... والوضع،[2] فلا لفظ دون معنى وإلا صار هذيانا لا يلقى له بال، ويكون هذا اللفظ في سياق تركيبي متعارف عليه وتنقسم هذه الدلالة إلى:

أ- **الدلالة العقلية:** وهي نوع من الدلالة المشتملة على علاقة ذاتية بين الدال والمدلول وتشير هذه العلاقة إلى ذلك النوع من العلاقة التي تستلزم فيها وجود الدال ووجود المدلول دون الحاجة إلى إدخال اصطلاح خارجي،[3] فهذا التعريف يذكره ويقره التهانوي، ويكون تحقق هذه الدلالة من مؤثر ومؤَثر كدلالة الدخان على النار مثلا.

ب- الدلالة الطبيعية: هي دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية ينتقل لأجلها منه إليه، والمراد من العلاقة الطبيعية إحداث طبيعة من الطبائع كدلالة (أح أح) على السعال أو أصوات البهائم، فالرابط بين الدال والمدلول هو الطبع.

ويقول الجاحظ جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال، وتسمى نصبة والنصبة هي الحال الدال التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقتصر عن تلك الدلالات.[4]

فشكل الدلالات عند الجاحظ خمسة أصناف جاءت على النحو التالي:

---

[1] – فطومة لحمادي، نظرية المقاصد بين الأصوليين واللسانيات التداولية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوره علوم في علوم اللسان العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2010- 2011، ص: 180.

[2] – عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب، مرجع سابق، ص: 23.

[3] – المرجع نفسه، ص: 24.

[4] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ط 1، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ج1، 1998، ص: 82.

-الدلالة باللفظ: وهذا ما يميز الإنسان الناطق عن سائر الحيوان.

-الدلالة بالإشارة: باليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب..

-**الدلالة بالعقد:** وهو الحساب دون اللفظ والخط.

-**الدلالة بالخط:** فالقلم أحد اللسانين وأبقى أثرا ويذكر هذا ما يميز العرب فهي أمة كتابة.

-**دلالة النصبة:** فهي الحالة الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض.

يستقر الجاحظ على أنواع الدلالات المختلفة لرصد تشكيل الدلالة المتخذة أشكالا وصورا بنائية تمارس سلطتها التواصلية الإبلاغية متضمنة للمقاصد المراد منها فتتوسع دائرة الاتصال الاجتماعي والثقافي لدراسة الأنظمة بأشكالها اللغوية وغير اللغوية، وهذا التوسيع لمفهوم الدلالة هو أساس قيام علمي السيميولوجيا والسيمياء.[1]

فالتوصل إلى المعنى يعد غاية الدراسة الصوتية والصرفية والنحوية، وليس هو الفهم ولابد من التفريق بينهما، وعلى كل فلابد للحصول على المعنى أن يكون فهمنا مطابق لمقصود المتكلم لأن المقصودية ثلاثة: مقصودية النص ، ومقصودية المتلقي، والأهم مقصودية المؤلف.

2- الدلالة اللفظية الوضعية وأقسامها:

عرّفها الأصوليون بأنها: كونها اللفظ بحيث إذا أطلق فهم منه المعنى من كان عالما بوضعه له[2]، مثل دلالة كلمة رجل على الإنسان الذكر البالغ.

وقسمت إلى أقسام ثلاثة:

الأول- دلالة مطابقة: وهي دلالة اللفظ على تمام مسماه، نحو: دلالة البيت على جميع مجموع الحائط والأساس والسقف.

---

[1] – رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النص، مرجع سابق، ص: 119.

[2] – الزركشي، البحر المحيط، تح: عبدالرزاق أبو عدة، وزارة الأوقاف، الكويت، ج2، 1992، ص: 37.

الثاني – دلالة تضمن: وهي دلالة اللفظ على جزء معناه، نحو: دلالة البيت على السقف وحده.

الثالث– دلالة إلزامية: وهي دلالة اللفظ على جزء معناه، نحو: دلالة الأسد على الشجاعة، وسميت إلزامية لأن المفهوم خارج عن اللفظ لازم له.

ب) عند الحنفية:

1– الدلالة اللفظية:

يقسم الأحناف اللفظ باعتبار دلالته على حكم إلى أربعة أقسام[1]:

عبارة النص، وإشارته ودلالته واستقصائه فأما:

عبارة النص: فهو ما يسبق الكلام لأجله وأريد به قصدا أو العمل بظاهر ما سبق الكلام له[2]، وأما إشارة النص: فهي ما يثبت بنظم النص من غير زيادة وهو غير ظاهر من كل وجه، ولا سبق الكلام لأجله، وهي غير مقصودة، وأما دلالة النص: فهي ما علم علة الحكم المنصوص عليه لغة لا اجتهاد ولا استنباط وأما المقتضى: فهو زيادة على النص لا يتحقق في معنى النص إلا به.

2– الدلالة الوضعية: وعبر عنها بالوضعية باعتبار نشوتها عن معرفة الأوضاع اللغوية وهذا بناء على مسلك الاعتبار في الوضع.

الدلالة غير اللفظية: ويقصد بها ما يكون فيها الدال ليس لفظا كاللوحات الإشهارية وإشارات المرور أو غيرها، وهي على نوعين[3]، عقلية ووصفية.

---

[1] – الشاي أحمد بن محمد بن إسحاق، أصول الفقه، ط 01، دار الكتاب العربي، بيروت، 1402 هـ، ص: 105.

[2] – البزدوي، أصول الفقه مع كشف الأسرار، ط1، بيروت– لبنان، ج 01، 2009م، ص: 68.

[3] – إبراهيم بن راشد بن سيف العماري، دلالة النص عند الأصوليين وتطبيقاته الفقهية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات الفقهية، والقانونية، ديسمبر، 2003، ص: 21.

وتؤكد الباحثة فطومة لحمادي شأنها شان كثير من الباحثين أن الأصوليين والبلاغيين لا يعتدون بكل من الدلالة غير اللفظية بأقسامها الثلاثة ولا بالدلالة اللفظية الطبيعية والعقلية، بل كان اهتمامهم منصبا على الدلالة اللفظية الوظيفية[1]، فسعوا إلى تحرير مفهومها تحريرا دقيقا، ويؤكد الأصوليون على أن الغرض من الألفاظ المفردة (الدلالة الوضعية)، إفادة المعاني المركبة بتركيب هذه المفردات باعتبارها من عناصر التركيب[2].

وحتى الدلالة اللفظية دار حولها جدال كبير بين العلماء قديما فمنهم من يؤكد ظنّيتها كالإمام الرازي، وبين من ينفيها أمثال ابن تيمية[3].

وهذا ما يفسر لنا اتساع البحث الأصولي في اللفظ بالسعة والشمولية والدقة: لأن التمكن من دلالات الألفاظ في دلالتي الإفراد والتركيب يجعل الأصولي في مأمن من أي تعثر في الاستنباط، ومن أي سقوط في الاستدلال خاصة وأن موضوع اللفظ هو تفهم النص الحامل للأحكام الشرعية.

ج- عند الجمهور[4]:

للدلالة المعتبرة عند جمهور الأصوليين عن المالكية والشافعية والحنابلة، الإباضية والمعتزلة والإمامية، قسمان هما: المنطوق والمفهوم، وذلك باعتبار المراد والقصد[5].

---

[1] – فطومة لحمادي، نظرية المقاصد بين الأصوليين واللسانيات التداولية، مرجع سابق، ص: 105.

[2] – عبد الله محمد الجيوسي، التعبير القرآني والدلالات النفسية، ط 01، دار الغوثاني، الأردن، 2006، ص: 52.

[3] – عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم العنويد، ظنية الدلائل اللفظية بين الإمام الرازي وشيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الانحراف الاستدلالي المعاصر، ط1، جامعة القصيم، السعودية. ص45.

[4] – إبراهيم بن راشد بن سيف العماري، دلالة النص عند الأصوليين وتطبيقاته الفقهية، ص: 37.

[5] – فطومة لحمادي، نظرية المقاصد بين الأصوليين واللسانيات التداولية، مرجع سابق، ص: 115.

1 -**دلالة المنطوق** : عرفه ابن الحاجب بقوله: ما دل عليه اللفظ في محل النطق، [1] وإلى مثل هذا ذهب أكثر الأصوليين كابن السبكي، وابن النجار، والشماخي... ولقد انعكس صدى هذا التقسيم في وقت مبكر لدى معظم الأصوليين المتكلمين من غير الإمامية.

2- أقسام المنطوق:

أ) المنطوق الصريح: وهو ما دل عليه اللفظ نطقا بطريقة المطابقة أو المتضمن، [2] ولو مجازا، [3] كقوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات ﴾ [البقرة الآية 238]، صريحة على وجوب المحافظة على الصلوات، إلا أن دلالتها للحفاظ على جميع الصلوات مطابقة، وعلى كل صلاة بعينها تضمن.

ب) المنطوق غير الصريح: وهو ما دل على منطوقه عن طريق دلالة الالتزام، [4] وهو نوعين:

الأول: مقصود المتكلم، ويشمل الاقتضاء والإيماء؛

الثاني: غير مقصود، وهو دلالة الإشارة.[5]

3- المفهوم:

أ) لغة: اسم مفعول من فهم بالكسر فهما وفهامة أي علمه.[6]

---

[1] – إبراهيم بن راشد بن سيف العماري، دلالة النص عند الأصوليين وتطبيقاته الفقهية ، ط1، دت، ص20/ نقلا عن ابن الحاجب الملكي، مختصر المنتهى الأصولي، ط 1، ج 2، ص: 171.

[2] – المرجع نفسه/ نقلا عن العضد، شرح مختصر بن الحاجب، ج 2، ص: 171.

[3] – المرجع نفسه/ نقلا عن ابن النجار، شرح الكوكب المنير، ج 2، ص: 473.

[4] – المرجع نفسه/ نقلا عن العضد، شرح مختصر بن الحاجب، ج 2، ص: 171– 172.

[5] – المرجع نفسه، ص180.

[6] – الرازي، مختار الصحاح، مادة (فهم)، ط1، دار الكتب العربي، بيروت– لبنان، 1979م، ص: 452.

ب) **اصطلاحا:** عرّفه الآمدي بقوله: ما فهم من اللفظ في غير محل النطق، [1] عرفه صاحب فوائد الأصول من الإمامية، ما دلت عليه الجملة التركيبية بالدلالة الإلزامية بالمعنى الأخص.[2]

يتضح من خلال التعريفات السابقة أن المفهوم لم يدل عليه اللفظ مباشرة ولم يفصح مباشرة عن المعنى بسبب الغموض أو العدول باللغة، فيصعب الفهم إلا بالبحث في السياق الخارجي والاعتماد على ثقافة المتلقي ومعرفته بمحيط النص والبحث في مقصود المؤلف في المسكوت عنه وغير المصرَّح، تقول الباحثة فطومة لحمادي: أي أن اللفظ لم يوضع لإفادتها (الدلالة المفاهيمية)، وإنما هي عمليات ذهنية استنتاجية، وتسمى الدلالة الالتزامية.[3]

والمقصود من الالتزام بالمعنى الأخص في تعريف الإمامية السابق ذكره؛ أي أن تكون الملازمة في أعلى درجات الوضوح فتكون مألوفة في الأذهان، بحيث يكفي في الانتقال إلى اللازم مجرد تصور الملزوم بلا احتياج إلى الالتفات بالملازمة تفعيلا وإجمالا.[4]

أي أن المعنى يستجدي السامع البحث عنه من خلال الذهن والخلفيات الثقافية والسياقية.

والمفهوم نوعان:

أولا: مفهوم الموافقة: ويسمى فحوى الخطاب، ولحن الخطاب، ومفهوم الخطاب.

---

[1] – الآمدي سيف الدين بن محمد، الإحكام، ج 2، ص: 74.

[2] – الكاظمي، فوائد الأصول، مج 1، ص: 477.

[3] – فطومة لحمادي، نظرية المقاصد بين الأصوليين واللسانيات التداولية، مرجع سابق، ص: 116.

[4] – ابراهيم بن راشد بن سيف العماري، دلالة النص عند الأصوليين وتطبيقاته الفقهية، ص: 47/ نقلا عن : محمد تقي البروجردي النجفي، نهاية الأفكار تقرير أبحاث العلامة ضياء الدين العراقي ص: 467.

1) في اللغة والاصطلاح:

أ) الموافقة لغة: اتفق الشيئان تقاربا وتلاؤما، ووافقت فلان صادقته.[1]

ب) ومفهوم الموافقة اصطلاحا : أن يكون المسكوت عنه موافقا في الحكم للمنطوق وأولى منه.[2]

وقال الفراء : الحكم الثابت عن طريق التنبيه وهو مفهوم الخطاب وفحواه، [3] أما لحن الخطاب: ما لاح في أثناء اللفظ،[4] وفحوى الخطاب أي معناه.[5]

نعرف من خلال ما سبق أن مفهوم الموافقة تقتضي البحث في الدلالة الضمنية المخبوءة في النص من خلال السياق، ومقصود المتكلم، فمن مهام المتلقي معرفة أن ثمة وجود معنى مسكوت عنه يتطلب إعمال العقل والتدبير بروية وحكمة لإيجاد المعنى المناسب، فالفهم يعود إلى الفاهم بينما الدلالة تعود إلى اللفظ إذ حكم المسكوت يوافق حكم المنطوق، نحو: عن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة فقال النبي ﷺ ما بقي كنها؟ قالت: ما بقي منها إلا كتفها، قال: بقي كلها غير كتفها، [6] فالمنطوق برغم تصدقهم بمعظم الشاة، فالرسول ﷺ يخبرنا أنها بقيت كل الشاة إلا كتفها، المفهوم ما تصدق به وهو معظم الشاة فهو باق ليوم الآخرة نؤجر عليه نتيجة تصدقنا به، أما ما بقي من الكتف لن نجد أجره ليوم القيامة، ومن جهة أخرى أن الأجر الذي نحصل عليه جراء تصدقنا للغير أعظم أجرا من الذي نبقيه.

---

[1] – ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 6، ص: 128.

[2] – ابن اللحام، القواعد والفوائد الأصولية، ج 1، ص: 367.

[3] – الفراء، العدة في أصول الفقه، ج 4، ص: 1333.

[4] – أبو شجاع، تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة، ونبذ مذهبية نافعة، ط 1، ص: 95.

[5] – ابن النجار، مختصر التحرير، شرح كوكب المنير، ج 3، ص: 481.

[6] – رواه الترمذي وقال حديث صحيح.

2) شروط الموافقة:[1]

1 -فهم المعنى في محل النطق بمجرد نطقه دون حاجة إلى نظر إلى تأمل.

2 -أن يكون المفهوم أولى من المنطوق في الحكم أو مساويا له، فإذا كان المفهوم أولى فهو فحوى الخطاب، وإن كان مساويا فهو لحن الخطاب.

مثال على مفهوم الموافقة:[2]

قال رسول الله ﷺ أربعة لا تجوز في الأضاحي: العوراء بيِّن عورها والمريضة بيِّن مرضها والعرجاء بيِّن ضلعها.[3]

دل الحديث بمنطوقه على منع التضحية بالعرجاء أو العوراء بسبب عيب فيها وهو العرج أو العور، والمفهوم من الحديث استنادا لهذا السبب: هو منع المقطوعة الأرجل والعمياء من باب أولى.

يقول الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾.

ثانيا: مفهوم المخالفة:

1) في اللغة والاصطلاح:

أ) المفهوم لغة: اسم مفعول من فهم فهما وفهامة أي علمه، [4] وقول الفيروز أبادي المفهوم: العلم والمعرفة في القلب.[5]

---

[1] – ابن النجار الحنبلي، مختصر التمرير، شرح الكوكب المنير، ج 3، ص: 481.

[2] – تسنيم عبد الرحمان أحمد ياسين، تقسيم الدلالات، دراسة مقارنة بين منهجي الحنفية المتكلمين، أطروحة ماستر في الفقه والتشريع الإسلامي، كلية الدراسات العليا، ص: 84.

[3] – أبو داود، سنن أبي داود، ج 3، ص: 97.

[4] – الرازي، مختار الصحاح، مادة (فهم)، ص: 452.

[5] – الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج 4، ص: 161.

ب) المفهوم اصطلاحا: عرّفه الآمدي بقوله: ما فهم من اللفظ في غير محل النطق، [1] وابن الحاجب: بخلاف المنطوق أي لا في محل النطق.[2]

يتضح مما سبق أن المفهوم ما وقر في القلب، ومن خلال ما استنتج من دلالة اللفظ المنطوق، ولم ينطق به بل الحكم مضمن في القول.

ج) المخالفة لغة: مصدر خالف يخالف واصله خلف يخلف، والخلفة بكسر الخاء من الاختلاف، وهو التردد، واختلف معه ضد اتفق معه.[3]

د) المخالفة اصطلاحا: عرّفها الآمدي بقوله: هو ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفا لمدلوله في محل النطق،[4] وقول الزركشي إثبات نقيض حكم المنطوق للمسكوت.[5]

2) مصطلحات مرادفة لمفهوم المخالفة:[6]

دليل الخطاب فهو إطلاق خاص عند الأصوليين وسمي كذلك لأن دليله من جنس الخطاب أو لأن الخطاب دال عليه.

المخصوص بالذكر: أطلقه الحنفية، وهو المعبر عندنا بتخصيص الشيء بالذكر، وجل التعاريف تدور حول أن ما خالف منطوق النص في الحكم فهو مفهوم المخالفة.

---

[1] – الآمدي الدين علي بن محمد، الإحكام، ج 2، ص: 74.

[2] – المرجع نفسه، ص76.

[3] – الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج 3، ص: 141– 143.

[4] – الآمدي، أحكام في أصول الأحكام، ج 3، ص: 69.

[5] – الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، ج 5، ص: 122.

[6] – عقيل رزاق نعمان السلطاني، مفهوم النص عند الأصوليين، أطروحة دكتوراه علوم إسلامية، العراق، ص: 133.

مثال لمفهوم المخالفة:[1]

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[2].

من خلال الآية الكريمة يتبين أنه في حال السفر يباح القصر في الصلاة، ولكن قيد ذلك عند الخوف من الفتنة الكفار لنا، وهذا منطوق في الآية.

ومفهوم المخالفة فيها عدم جواز القصر في حالة الأمن، وهذا ما حصل بالفعل مع الصحابة رضوان الله عليهم.

د) عند المحدثين:

اعتنى علماء اللغة بالدلالة بشكل كثيف ومدقق، بالإضافة إلى مختلف النظريات اللغوية التي لها علاقة بالنصوص تضاهي ما عرف حديثا.

قد تحدثوا عن نظرية السياق وأشاروا إلى دوره في تحديد الدلالة، كما تحدثوا عن دلالة التركيب، وقد برز ذلك في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني كما تناولوا الدلالة الوضعية والعرفية والشرعية في كلامها في الحقيقة والمجاز، وأشاروا إلى أن الدلالة النحوية والصرفية والمعجمية،[3] فدراسة الجانب الدلالي من اللغة يعد أهم فرع من الدراسات اللغوية على الإطلاق،[4] فبنائية الحدث الكلامي يستمد شرعيته من مجموع عناصره في إطار من التعالق المهيمن على هذه المكونات، ويؤسس على جوانب صوتية وصرفية ونحوية، وكذلك

[1] – تسنيم عبد الرحيم أحمد ياسين، تقسيم الدلالات، دراسة مقارنة بين منهجية الحنفية والمتكلمين، أطروحة ماجستير في الفقه والتشريع، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، 2012، ص: 84.

[2] – سورة النساء، الآية 101.

[3] – أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1993، ص: 81.

[4] – غازي طليمات، في علم اللغة، ط 1، دار طلاس، دمشق، سوريا، 1997، ص: 203.

بيان المعاني المفردة في الكلمة وهو ما يعرف باسم المعنى المعجمي، بالإضافة إلى دلالات أخرى إضافية لها علاقة بالحدث التواصلي مثل: الدلالة النفسية والدلالة الإيحائية.

ويقسّم إبراهيم أنيس أنواع الدلالات إلى: [1]

1 -**الدلالة الصوتية:** وهي التي تستمد من طبيعة بعض الأصوات على أخرى، ومن مظاهرها مثلا: النبرة، النغمة الكلامية.

2 -**الدلالة الصرفية:** وهذا النوع من الدلالة يقوم على ما تؤديه الأوزان الصرفية وأبنيتها من معان، وهو ما عرف عند ابن جني (ت 395 هـ)، باسم الدلالة الصناعية.[2]

3 -**الدلالة النحوية** : وتحصل من خلال العلاقات النحوية بين الكلمات التي تتخذ كل منها موقعا في الجملة حسب قوانين اللغة، وهذا ما عبر عنه ابن قتيبة بالإعراب.[3]

4 -**الدلالة المعجمية** : وتسمى أيضا بالدلالة الإطلاقية أو الأساسية عنده، وعلى نفس المقصود هي الدلالة المركزية أو التصورية أو الدلالة المفهومية.[4]

ثانيا: الخطاب القرآني.

1- مفهوم القرآن"

أ) القرآن لغة:

قال الراغب: سمي قرآنا لكونه جمع ثمرات الكتب المنزلة سابقا، أو لأنه جمع أنواع العلوم كلها.[5]

[1] – إبراهيم أنيس، دلالات الألفاظ، ط 5، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، (د ت)، ص: 46.

[2] – شاه خالد ناسوتيون، مجلة البحوث والتواصل المعرفي، أندونيسيا، أوت 2017، ص: 335.

[3] – المرجع نفسه، ص: 336.

[4] – المرجع نفسه، ص: 336.

[5] – الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن، ص: 175.

قال صاحب اللسان: ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمي قرآنا لأنه جمع السور وضمها، ومعنى قرأت القرآن: لفضت به مجموعا، أي ألقيته، وكل شيء جمعته، فقد قرأته، وسمي القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعضها البعض.[1]

ويذكر الشافعي أنه قال: القرآن اسم وليس بمهموز لم يأخذ ممن قرأت، ولكنه اسم لكتاب الله تعالى مثل التوراة والإنجيل، ويهمز قرأت ولا يهمز القرآن.[2]

ومنهم من ذكر قولا آخر من قرأ يقرأه قرأ وقراءة وقرآنا، ولقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ سورة القيامة، [الآية 18]، أي قراءته، قال ابن عباس رضي الله عنهما، فإذا بينا لك في القراءة فاعمل بما بيناه لك، أما الفراء فيذكر أنه مشتق من القرائن.[3]

يتضح مما سبق أن العلماء اختلفوا في القرآن من جهة الاشتقاق أو عدمه ومن جهة كونه مهموزا أو غير مهموز، ومن جهة كونه مصدرا أو وصفا، ولكنها تجتمع على أن القرآن في اللغة هو: الجمع والضم، وهو مرادف للقراءة.

ب) القرآن اصطلاحا:

هو اللفظ المنزل على النبي من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس، وبعضهم أطال في التعريف وأطنب، وبعضهم اختصر فيه وأوجز، ومنهم من اقتصد وتوسط،[4] أما علماء الكلام فقد عدوه كلام ممتاز عن كل ما عداه من الكلام الإلهي، غير قديم يجب تنزيهه عن الحوادث وأعراض الحوادث.[5]

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص: 129.

[2] – المرجع نفسه، ج 1، ص: 129.

[3] – يحي ين زياد أبو زكريا (الفراء)، الأعلام، ج 8، ص: 145.

[4] – محمد عبد العظيم الزرقاني، منهال العرفان في علوم القرآن، ص: 60.

[5] – المرجع نفسه، ص: 17.

يتضح من كل ما سبق أن القرآن في المعنى الاصطلاحي هو كلام الله عز وجل، المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر المتحدي بأقصر سور منه.

2) الخطاب القرآني:

أ) مفهوم الخطاب القرآني:

الخطاب القرآني هو كلام الله موجه في معظمه إلى من شهدوا نزول القرآن بشكل خاص مباشر للرسول، وبشكل عام لسائر الناس، [1] قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: 10].

فالخطاب القرآني هو الحوار والتوجيه الرباني للناس عامة وأصحاب رسول الله (ص) ليعملوا بأحكامه في سائر حياتهم وبه ينالوا خيري الدنيا والآخرة.

وهو كلام الله الموجه إلى المكلفين بقصد تفهيمهم ما لهم وما عليهم، مما هو مصلحة لهم في دنياهم وآخرتهم، وهذا يستلزم كونه بينا واضحا لا إجمال فيه ولا اشتباه، ولو كان فيه بحسب هذا القصد اشتباه وإجمال لنقائض أصل المقصود من الخطاب فلم تقع فائدة.[2]

فالمقصود والمراد من الخطاب القرآني هو التوضيح والإفهام والبيان ليتحقق غرضه الأسمى ووصول الرسالة بشكل سليم، وهذا دين الخطاب كله جاء بلغة فصيحة يفهمها العامي والسوقي، لا غموض ولا التباس فيه، فهو كتاب كل الأزمنة لكل الناس وإلى كل العالمين بأسرهم، إنسهم وجنهم رحمة وهداية بهم، فاللازم الاعتناء بفهم معنى الخطاب لأنه هو المقصود والمراد وعليه نسمي الخطاب ابتداء.[3]

لذا ينبغي أن يقرأ الخطاب القرآني بأجرومية تناسب لغته، وعلى ضوء معطيات السياق الذي تشكل فيه، وفقا لمقتضى طريقة العرب في كلامها ومعهود خطابها.[4]

---

[1] – زين الدين قاسم ابن قطلويغا الحنفي، غريب القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2012.

[2] – الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، ط 2، دار المعرفة، بيروت، 1975، ص: 344.

[3] –المرجع نفسه، ص: 87.

[4] – فطومة لحمادي، نظرية المقاصد بين الأصوليين واللسانيات التداولية، ص: 81.

فتحديد السياق أمر ضروري لإيضاح الدلالة والكشف عن المعنى، وقد ولاه القدماء العناية والاهتمام بالغ النظير، وجعلوه طريقا آمنا لتفسير كلام الله عز وجل، فلا يكون للملفوظ دلالة إلا في سياق المقام.

وقد عبروا عنه بمصطلحات عديدة وكلها تلتقي في دلالة تكاد تكون واحدة، فقد عبروا عنه بالقرنية، ودلالة الحال ومقتضيات الأحوال والمقام والمساق والسياق واللحاق.[1]

ولما كان القرآن الكريم أول المدونات دراسة وتحليلا واستنباطا، كان المفسرون أسبق الباحثين دراسة للسياق، واعتبروه شرطا أساسيا لتحرير الدلالة واستكناه معانيه.

وراحوا يضعون ضوابط وقواعد للمفسرين منها: معرفته باللغة العربية وكلام العرب ولكلام الله تعالى، ومعرفته لمناسبات السور والآيات وبغريبها.

الخطاب القرآني دستور الحياة للناس كافة فلا غرو أنه يحتوي على جملة من الأغراض هي[2]:

1 التعريف بالقرآن: وأنه معين وينبوع الحكمة، وآية الرسالة ونور البصائر ولا طريق إلى الله سواه ولا نجاة بغيره.

2 دعوة الناس للدخول في دين الله: وذلك بالترغيب والترهيب بذكر القصص والعبر.

3 دعوة خاصة لأهل الكتاب ترك باطلهم: والدخول في دين الله بالحوار والجدال.

4 بيان أحكام الشريعة العملية: بالدعوة لتوحيد الله وتقرير وحدة الربوبية.

[1] – عبد الحميد عمروش، السياق ودوره في إنتاج الدلالة، دراسة في تفسير الشيخ عبد الحميد ابن باديس، رسالة مكملة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة والأدب العربي، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة باتنة 1، 2016– 2017، نقلا عن محمد يونس، علم التخاطب الإسلامي، دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المدار الإسلامي، ط1، 2006، ص 65.

[2] – عبد الرحمان سعود إبداع، أدب الخطاب في القرآن الكريم، دروب للنشر، الأردن، 2016، ص 17.

ب) القرآن الكريم بين النص والخطاب:

إنّ القرآن الكريم فيه من الحوار والتفاعل بين ما يجعله خطابا بامتياز فانظر فقط في سورة الفاتحة تجد فيها من حمد وتمجيد وشكر ودعاء ...، فالخطاب القرآني موجه لسائر الناس على وجه العموم فقد ذكرت عبارة يا أيها الناس خمسة عشر مرة، وموجه للمؤمنين بشكل خاص فقد كررت عبارة يا أيها الذين آمنوا أربعون مرة.

إن ربع القرآن الكريم أي 1593 آية، حوار متبادل بين الله عز وجل وعباده خطاب من الأعلى إلى الأدنى، ناهيك عن أوامره ونواهيه عز وجل لعباده.

فالقرآن الكريم ليس قراطيس من النصوص يستقل بحفظها فريق من الناس ويجهلها الأكثرون؛ بل هو خطاب مفتوح مستوعب حي حيوية من شأنها أن تجعل السامع المنصت يقف موقف الحيرة والانبهار تتملكه مشاعر الخشوع والامتثال، وليس هو تجميعا للنصوص المحفوظة، وإنما مع آيات التحمت عبر لحظات متدافعة في مواقف متجددة وبأغراض توجيهية معلومة، وإذا ما انقضت المناسبات والملابسات بقيت هذه الآيات لا بمثابة الذكرى التي تسجل أو واقعة انقضت، وليست كمحفظة تاريخية أو بيان توثيقي وإنما بقيت هذه الآيات تحتفظ بكامل فعاليتها التوجيهية، النافذة عبر الزمان والمكان بالنسبة لكل موقف إنساني اجتماعي أو تاريخيا، فترجع لها من خلال التدبر وآخذ العبر والدروس والتعليم التربوي والديني والثقافي والعربي والسياسي، فالله يخاطبنا دوما بقوله: أفلا يتدبرون أفلا يعقلون، أفلا يسمعون، أفلا ينظرون، أفلا يتفكرون.

لا ينتفع الإنسان بالقراءة للخطاب القرآني (وهو شارد القلب)، بينما النصوص النثرية موضع للنظر العقلي المجرد تستوعبها الأبصار تزيد وتخفت فاعليتها وقابليتها للانتشار الضيِّق المحدود، وبين رفض وقبول، فأين شعراء الجاهلية الذين صدع صوتهم أنحاء

المعمورة، أين زهير ابن أبي سلمى، وأين امرؤ القيس، وعنترة وعبلة، وابن جرير والفرزدق والأخطل، وأين المتنبي وسيف الدولة.[1]

أمّا القرآن الكريم فهو خطاب عالمي، فهو الصدق الصّراح وهو الحق الخالد، فنصوصه ليست نسقا مغلقا يقرأ بها على الأصوات بل هي الأحكام وشرائع للناس كافة لكل زمان ومكان ليعملوا بها، فهو خطاب لمشروع حضاري، والمخاطب هو الله عز وجل والمخاطب هم المؤمنون وسائر الناس لينذرهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور، فهو موضوع الخطاب. فالخطاب القرآني يتميز بالإطلاقية التي تجعل الإحاطة به مطلقا أمرا مستحيلا في أي زمان أو مكان، وهو دائم العطاء والتجدد، يخالف النص البشري فهو محدود اللفظ والمعنى[2]، وحدود المخاطب في زمن ومكان محددين أيضا.

ففهمه لا ينضب متجدد بتوالي الأجيال والأزمان وهو القائل عز وجل: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾[3].

الخطاب الذي أبهر فصحاء العرب ونوابغهم وعرفوا قيمة الحروف والكلمات واستجد فيها من دلالات جديدة، فظهرت العلوم العربية المختلفة تدرس النص القرآني، من خلال حروفه وألفاظه وعباراته وكلّ النص القرآني.

ظهرت دلالات جديدة للحروف والألفاظ والتّراكيب، وانتشرت وصارت شيئا معتمدا ملموسا مقررا، ففرقوا مثلا بين الحلف والقسم وبين العقاب والعذاب والغيث والمطر، وجاء الموت غير حضر الموت، وبين الفلاح والفوز، وظهرت دلالة أيضا جديدة للصلاة والزكاة والدابة، الزكاة والحج، الإسلام، الإيمان، الكفر ...

[1] درار محمد عبد الله، النبأ العظيم، ص: 118.

[2] – المرجع نفسه، ص 120.

[3] – سورة الكهف، الآية 109.

ألفاظ القرآن الكريم هي المفتاح لفقهه وفهمه، فالوحي نسق وبناء نسق وبناء مفهومي مركب من مجموعة من المفاهيم التي تتولد عن ألفاظه، هاته المفاهيم تدور حولها ألفاظ ثانوية أخرى في حقل واحد تدخل معها دلاليا، فلابد من تتبع هذه الألفاظ القرآنية قصد تحقيقها وبيان مدلولاتها ومفاهيمها وتتبع تغيراتها الطارئة عليها عبر الأزمان، فترى معاني ووجوها عدة كفص من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاع، فلا تدري ماذا تأخذ عينك وماذا تدع[1].

المبحث الثاني: تحديد مفاهيم العرفانية.

توطئة:

يعتبر التحول الكبير الحاصل في الدرس اللغوي الحديث ثورة معرفية كبيرة أدى إلى ظهور اللسانيات العرفانية التي ردّت الاعتبار للدلالة، وظهرت عدة مصطلحات ومفاهيم تخدم الدرس العرفاني والبحث في تشكلات الصورة الذهنية وعلاقتها مع اللغة والواقع.

المطلب الأول: مفاهيم العلوم العرفانية ونشأتها.

1) مفاهيم العرفانية:

أ) العرفان لغة:

لفظ مشتق من الفعل الثلاثي الصحيح (عرف)، عرفه يعرفه معرفة وعرفانا وعرفه بالكسر وعرفانا مشددة الفاء: علمه فهو عارف وعريف وعروفة، المعترف بالشيء الدال

[1] – ينظر الشاهد البوشيخي، نحو منهج لدراسة الألفاظ القرآنية، ص: 68.

عليه، تعارفوا: عرف بعضهم بعضا، العرفة بالكسر: المعرفة، المعارف [1]: الوجوه والتعريف: الإعلام.[2]

وفي لسان العرب لابن منظور (630- 711 هـ) عرف العرفان العلم... عرفه وعرفانا وعرفانا ومعرفة واعترافه... والعريف العارف بمعنى مثل عليم وعالم.[3]

وفي تهذيب اللغة للأزهري (282- 370 هـ) عرف يعرف عرفانا ومعرفة: وأمر عارف معروف وعريف.[4]

تكاد تتفق المعاجم القديمة والحديثة على أن العرفان هي اللغة والعلم والإدراك بالشيء، أمّا عند الباحثين الغرب فنجد فرانسوا راستيه يعرف العرفان: ذلك الفعل المعرفي الذي يعنى بمجموعة العمليات الطبيعية أو الاصطناعية التي يمكن إدراكها والعرفان لا يقتصر على المعرفة فحسب، بل إن المعرفة تحصل نتيجة اشتغال وتطور العمليات العرفانية،[5] يتفق فرانسوا راستيه في تعريفه للعرفان مع علماء العرب خاصة في الجزء الأول من تعريفه حيث يحدد أن العرفان ملكة ذهنية تعنى بفهم ومعرفة وإدراك الأشياء إلا أنه أضاف ووضح طريقة عملها باعتبارها جملة النشاطات الذهنية.

2) نشأة العلوم العرفانية:

حسب هواورد جاردنر (Howard Gardner) إذا كان تاريخ العلوم المعرفية قصيرا نسبيا فإن ماضيها طويل وحافل بالعطاء.

---

[1] – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ط 1، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 2004، مادة (عرف)، ص: 851.

[2] – ابن منظور جمال الدين بن محمد بن مكرم، لسان العرب، ط 1، دار صادر، بيروت، لبنان، ج 9، ص: 263.

[3] – الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ط 1، تح: علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر (د، ت)، مادة (عرف)، ج 2، ص: 344.

[4] – مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط 4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 2004، ص: 595.

[5] – Francois rastier: linguistique et recherche concnitive histoire episemologie language, 1989, p: 07.

وتعود البوادر والإرهاصات الأولى بين أواسط الثلاثينات ونهاية الأربعينات من القرن العشرين بصدور مقالين أساسين للعالم الانجليزي المشهور آلان تورينغ (Alan Toring) ليضع الأسس الرياضية والمفهومية لما سيصبح عليه الحاسوب الالكتروني خلال العقد الموالي، وفي 1950 يصدر المقالة الثانية لصياغة المشروع القديم للآلة الذكية بمفاهيم حديثة وبتناسق فلسفي كامل.

لكن السبرنيطيقا هي التي ستوفر ابتداء من 1943 العناصر الضرورية لتحقيق المشروع الضخم للتفسير المادي والتقييس الذهني (Mental Simulation) كمرجعين أساسيين للعلوم المعرفية، فالأمر يتعلق بالتفكير المتوازي في كل من الدماغ والذهن والآلة.

فقد خضعت السبرنيطيقا لكثير من التطور بفعل لقاءات علمية متعددة، جمعت علماء رياضيات وتشريح وفسيولوجيا وطبيعة وسيكولوجيا وانثروبولوجيا ولسانيات وسوسيولوجيا وفلسفة، وفي مقدمتهم: ماك كلوش (Mc culloch) نوربرت وينر (Norbert wiener) جون فون نيومان (John von neuman)، كارت لوين (Kurt Lewin)، كلود شانون (Clude chanon) وغيرهم. وكان هدف هذه الندوات واللقاءات نشر أفكار السيرنيطيقا من خلال آليات الوجود (نيويورك 1946) والآليات الدماغية في السلوك (هيكسون 1948).[1]

وقد شكّلت الفترة المتراوحة ما بين 1945 و 1948 سنوات ظهور الحواسيب الأولى في الولايات الأمريكية وفي بريطانيا.

وظهرت في الفترة نفسها علوم الأعصاب بفضل أعمال الجادة وفي مقدمتها كتاب عالم النفس دونالد هيب (Donald hebb) عن تنظيم السلوك، والذي يؤكد على التقاطعات الواسعة بين السيكولوجيا والفيسيولوجيا العصبية، فآخر ما توصّل إليه العلم في السنوات الأخيرة أن الدماغ له قدرة رائعة على تغيير نفسه، وذلك بالتفاعل مع محيطه وبيئته، وقد

[1] الغالي احراشو، آن دوبراوز، خفايا الدماغ، تر: د. هيبي زينة، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2015، ص:07.

شاهدنا بواسطة المجهر خلايا تنبت وتنمو وتغصنات تتمدد وشبكات تموت أو تتدعم حسب الأحداث، فتعلم مهام ووظائف جديدة يقولب الدماغ[1].

وتجدر الإشارة إلى أن العلوم المعرفية لها أصول أوروبية أيضا، فمدرسة الجشطالت السيكولوجية التي تتخذ الإدارك المرتكز الأساسي للمعرفية ستظهر في ألمانيا بالضبط، فأغلب مؤسسيها الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية هروبا من النازية ساهموا في السبرنطيقا الناشئة، وأما في تأسيس علم النفس الاجتماعي وعلم الطبائع المعرفي، وفي الاتحاد السوفياتي سينشئ ليف فيجوتسكي سيكولوجيا نمائية يحكمها اتجاه بنائي ما يزال يلهم اليوم تيار العلوم المعرفية بأكمله.

كما سيؤسس جان بياجيه (Jean Piaget) اسم الابستيمولوجية التكوينية (Gemetic epistomologiy) في جينيف مدرسة للعلوم المعرفية قبل الأوان، أما السيكولوجية العصبية فستطور خلال القرن التاسع عشر، وبالخصوص في فرنسا وألمانيا وبريطانيا، وكما أنّ علوم الدماغ ستتطور في أغلب مناطق أوروبا خلال النصف الأول من القرن العشرين.[2]

أ) مرحلة الظهور:

بالرجوع إلى الولايات المتحدة الأمريكية يمكن القول بأن السبرنطيقا التي ستفضي مباشرة إلى ظهور العلوم المعرفية من خلال محاضرة ماسي (Macy) 1953 وحلقات دراسية مطوّلة تميّزت بميلاد علم النفس اللساني، وفي سنة 1956 تشكّل المنعطف الحاسم

[1] المرجع السابق، ص10.

[2] المرجع نفسه، ص12.

بانعقاد ندوة حول نظرية الإعلام تعتبر بداية حركة التعامل بين السيكولوجيا التجريبية واللسانيات النظرية ومحاكاة السيرورات المعرفية بواسطة الحاسوب.

تلتها حلقة دراسية شكّلت الإطار لميلاد الذكاء الاصطناعي لعبت دورا بارزا في نمو الحركة، وفي نفس الفترة أعقبتها سلسلة من الأعمال الهامة والمنشورات ذات التوجه الانثروبولوجي والفيسيو عصبي ومختلف التخصصات في ندوة بمعهد التكنولوجيا الماشوست، والتي ستساهم في ظهور ما سيتمّ نعته بعد عشرين سنة بالعلوم المعرفية (Congnitive science) من خلال أعمال متنوعة لعلم النفس لكل من برينر (Bruner) وجود نوف (Good now) وواتسن (Austin) 1956، وكتاب تشومسكي البنيات التركيبية 1957 بحيث تشكلت أعمال كثيرة لقطيعته مع السلوكية، وبالتالي فتح الطريق أمام الاتجاه المعرفي كقاعدة أساسية لانطلاق العلوم المعرفية[1].

وتطورت العلوم المعرفية في نهاية القرن العشرين، وتوسع في ميدان دراستها وتسريع وتيرة نتائجها الكمية والكيفية عبر إنشاء برامج ومراكز متعددة الاختصاصات في أغلب الأمم العلمية، وينفق ملايين الدولارات لتشجيع وتطوير هذه العلوم وبناء المختبرات.

ففي سنة 1978 سيعمل تقرير منظمة (Selon) للتوقع المستقبلي على توسيع مدار حقل العلوم المعرفية ليشمل علوم الأعصاب والفلسفة وعلوم الاجتماع، ويغادر الذكاء الاصطناعي هذه العلوم ابتداء من 1980، وتطورت بشكل لافت علوم الأعصاب باستخدام التصوير الوظيفي لتتبوّأ المرتبة الأولى.

[1] الغالي أحراشو، العلوم العرفنية، ط 1، (د ت)، ص: 12.

وهذا مخطـــــط (سداسي) للعلاقات العرفانية البينية كما في تقرير سلون 1978[1].

حيث تمثل الخطوط المتصلة العلاقات القوية بين هذه العلوم. والخطوط المتقطعة تـــمثل العلاقات الأقل قوة، وتتّضح مركزية اللسانيات وعلوم الأعصاب وعلم النفس[2].

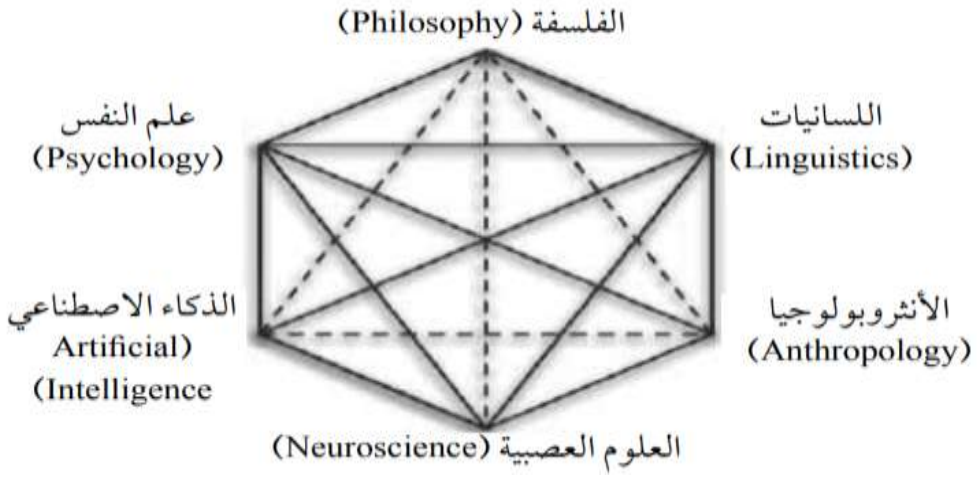

3) أمثلة عن علاقات بعض العلوم العرفانية ببعض:

أ) دور الثقافة وعلم الأعصاب بالسلوك الإنساني:

أذكر هذه الأفكار العلمية ولو باختصار شديد لأننا بصدد دراسة سلوك ومعتقدات وأقوال بني إسرائيل الذين كان المحور الأساسي في سورة البقرة، قام مؤلف وكاتب" لويجي لوقاكافيلي" "L.Lokakavelli" ومركوس فيلدمان "M.Fildman" في ستانفورد بمجموعة من الأبحاث منها كيفية نقل الثقافات منها الدين والسياسة مثلا لدى الشعوب فوجدوا أن النقل الرأسي (بين أفراد العائلة الواحدة نفس الزمرة) يكون بطيئا لأنه مرتبط بالأجيال المتعاقبة وراثيا، وقد تحفظ الفروق الإثنية القديمة العميقة لفترة عشرين قرنا أو أكثر، ويدافعون على المكتسبات الثقافية حتى وإن أدّى بهم للموت، وذكر الباحث قصّة في غينيا الجديدة التي

[1] صابر لحباشة، دراسات في اللسانيات العرفانية، الذهن واللغة والواقع، ط 1، مركز الملك عبد الله، الرياض، السعودية، 2019، ص: 19.

[2] المرجع نفسه، ص: 20.

أصابها مرض كورو بسبب أكلهم لجثث موتاهم ونصحوا بالإقلاع عن ذلك لكنهم أبوا لأنها من عاداتهم وتقديس موتاهم.

أما النقل الأفقي فهو سهل الانتشار، ويكون بين أفراد المجتمع، ويكون ناجحا مع التكرار ووجود سيّد للقبيلة ذو سلطة سياسية أو دينية يسحر الجماهير، فإنه ترتفع نسبة نجاح النقل الثقافي، فهذا النقل السريع يشبه الفيروس، ونحن في زمن الفيروسات، فكلما زاد انتشارا صعب قطعه والسيطرة عليه، فكذلك نقل الثقافة فهذا السلوك الثقافي المكتسب للأفراد نتيجة تعليم التأثير في الأفراد وخاصة الأطفال فحتما سيكونون أكثر قبولا للأفكار الجديدة من الكبار، ووجد الباحثان أن تأثير الأم هو السائد في اختيار الدين، أما الأب فكان تأثيره في انتظام موالاة الشعائر الدينية، وهذا شأن اجتماعي أكثر منه روحي [1]. فتتراكم المعلومات في الخلايا العصبية للأشخاص من خلال التجربة.

فعوامل تكوين الشخصية تتلخّص في ثلاث عوامل الوراثة، التعليم، البيئة[2].

ب) ارتباط الكلام بالصور في الذهن البشري:

يعتبر من بعض مظاهر الربط والتكامل بين العلوم العصبية واللسانيات العرفانية، في تجربة بالرنين المغناطيسي الوظيفي (FMRL) تبيّن وجود ارتباط بين الصور الحركية والمعلومات اللفظية من خلال تجربة الاندماج العصبي للكلام والنشاط، فقد أظهرت تجارب أقامها العلماء على عينة بشرية أعطي لها جملا وإيماءات غير منسجمة، أظهرت زيادة نشاط في القشرة الأمامية السفلية في النصف الأيسر من الدماغ، وفي الثلم الصدغي العلوي الأيسر (STC)، وفسّر ذلك النشاط على أنه زيادة بالكمية الدلالية الناتجة من تضارب

[1] لويجي لوقاكافلّي، الجينات والشعوب واللغات، ط 1، تر: أحمد مستجير، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004، ص: 189 – 204.

[2] جعفر السبحاني، مفاهيم القرآن، ط 1، مؤسسة التاريخ العربي، ج 2، بيروت، 2010، ص: 422.

الكلام والنشاط، بمعنى قيام الأفراد بالتخبّط وعدم فهم المعنى، فزاد ذلك من الأنشطة الدماغية واستثارتها، مما يفسّر أنّ الكلمات تتشكل ذهنيا على هيئة صور كاملة يخزنها الدماغ ويستدعيها ويقيس عليها، وهذا هو النموذج المعجمي للدماغ، وليس المفردة كما هو الحال في المعاجم اللغوية المصنوعة[1].

إذ يفهم الإنسان اللغة وتنشط عنده الصورة الذهنية إذا كانت اللغة سليمة، أما إذا كانت اللغة غير مفهومة ومعقّدة لا تتضح الصورة ولا يتم الفهم.

ج) هندسة النموذج في الدماغ:

والفكرة الأساسية أن المخّ يبني كل لحظة ملايين النماذج الافتراضية عن المحيط الخارجي، ثم يقيس عليها، ويستبعد الخيالي منها، فهي خبرته المفاهيمية والتصورية التي لا يحيد عنها، قد يختلف من فرد لآخر، وقد يتحد ويتوافق، لذلك نرى ذلك التآلف والاختلاف، إنّ الأمر من الوجهة العصبية ما هو إلا باراديمات متّسقة موحدة المنشأ الدماغي حسب الأجناس[2]. فلا نستطيع مثلا اختراق علامات المرور، أو العادات والتقاليد أو أنظمة الحكم...

د) التجسّد:

بما أنّ لا وجود للمعنى والخيال بعيدا عن عالمنا المتجسد، فنحن ندرك العالم ونفهم الأشياء من حولنا انطلاقا من حضورنا الجسدي في الزمان والمكان، ومكان الإدراك ومسافته وطريقته وزاويته هي التي تحدد طبيعة فهمنا للشيء المدرك، فكلّ متكلّم كما يقول عبد الله

[1] عبد الرحمن طعمة، البناء العصبي للغة، دراسة بيولوجية تطورية، ص: 265.

[2] المرجع نفسه، ص: 266، 267.

صولة هو عند نفسه محور العالم، فذاته ومكانه وزمانه هي المرجعيات العرفانية التي يحدد وجود الأشياء وطريقة كلامه عليها[1].

ويعرّف الأزهر الزناد التجسّد أو الجسدنة نقلا عن لايكوف وجونسون قوله: هي الآلية العصبية والعرفانية التي تمكّننا من الإدراك ومن التنقّل في ما يحيط بنا، وهي الآليات نفسها التي تنشئ أنظمتنا المفهومية وطرق التفكير عندنا [2]. فالجسدنة من المبادئ الأساسية الموجهة للدلالة العرفانية، فالبنية التصورية تشتق منه أي أنها خاضعة لطبيعة أجسادنا.

هـ) نقطة الإبداعية في التواصل:

قد يكسّر الفرد النموذج المحفوظ من خلال تدريب الاتصالات العصبية والتمرس على إعادة النماذج وتطوير البارادايمات، وساعتها يكثر الدماغ من التربيطات والتوافقات، ليصبح في تطوير دائم [3]. فخلاياه تتجدد باستمرار، ولا خوف عليه، من تلك النشاطات الفكرية المتواصلة.

وقد يكون انتشار الإبداع الجديد أسرع، طالما كان استيعابه سهلا وكانت نتائجه مقبولة وكان اتصاله بالآخرين قويّا[4].

[1] محمد الصالح البوعمراني، دراسة نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، ص: 9.

[2] الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص: 190.

[3] نفسه، ص: 167. نفسه، ص: 167.

[4] لويجي لوقاكافللي، الجينات والشعوب واللغات، ط 1، تر: أحمد مستجير، مكتبة الأسرة، 2004، ص: 201.

المطلب الثاني: اللسانيات العرفانية مفهومها وفرضياتها وأقسامها.

توطئة:

لم يحظى المكوّن الدلالي – كما أسلفنا بالذكر– بالاهتمام الذي يستحقّه، إلا مع اللسانيات العرفانية، وفي الحقيقة هذا يثبت وجودها ونشأتها، يضاف له المكوّن النحوي العرفاني، وهو القسم أو الجزء الآخر من اللسانيات العرفانية، وهما مكملان لبعضهما البعض.

1) مفهوم اللسانيات العرفانية:

تعرّف بأنها الدراسة العلمية المنتظمة للألسن البشرية من خلال الوحدات والترتيبات المسؤولة عن تنظيم العمليات الإدراكية[1].

وتعرّف اللسانيات العرفانية على أنها: توجه في البحث متعدد الاختصاصات، ظهر مع أواخر سنة خمسين وتسعمائة وألف (1950) في الولايات المتحدة الأمريكية، ويهتمّ هذا التوجّه بالنظر في طبيعة العمليات الذهنية في اكتساب المعارف واللغة وطرائق استعمالها، وتهدف هذه البحوث اللسانية العرفانية إلى الكشف عن طبيعة البنية الذهنية وأوجه انتظامها، وذلك من خلال تحليل الاستراتيجيات العرفانية التي يعتمدها الإنسان في تفكيره ونمط تخزينه للمعلومات، وطريقة معالجته للغة إنتاجا وفهما[2].

ويعرّفها الباحث الأزهر الزناد في معرض حديثه عن طبيعتها: هي نشاط عرفني في ذاتها وحاصل التمثيلات العرفنية، ولذلك وجب تناولها من زاوية حقائقها الدلالية العرفنية،

[1] عبد الكريم جيدور، نظريات لسانية عرفنية، ط1، دار محمد علي للنشر، تونس، (د ت)، ص: 27.

[2] صابر الحباشة، دراسات في اللسانيات العرفانية، ص 65.

ومن زاوية تفاعلها وسائر الملكات العرفنية، ويمكن أن يختزل برنامجها في دراسة الأبعاد العرفنية في التواصل اللغوي[1].

نستنتج من التعريفين أن اللسانيات العرفانية توجّه حديث النشأة، تنشأ في خضمّ النقد والتغير الكبير الحاصل لآخر نظرية بنيوية شكلية، والتوجه للذهن للبحث عن المعنى من خلال الجسد والتجربة المعاشة باعتبار اللغة انعكاسا للذهن البشري.

2) فرضيات اللسانيات العرفانية:

تقدّم اللسانيات العرفانية ثلاث فرضيات يسترشد بها الإطار اللساني العرفاني في التعامل مع اللغة هي[2]:

- اللغة ليست قدرة إدراكية مستقلة.

- النحو هو عملية خلق للمفاهيم، مما يعني أن اللغة رمزية.

- المعرفة باللغة تأتي من الاستعمال اللغوي.

وهذه الفرضيات تمثّل المبادئ الثورية والتأسيسية التي تشتغل عليها اللسانيات العرفانية التي تقوم على التصوّرات الذهنية، والتي لا تقوم على السمات الدلالية وإنما على العمليات الذهنية، حيث تخلّصوا من الفصل بين اللغة والقدرات العرفانية، واعتبروا أنّ المعرفة تأتي من خلال تفاعل الجسد مع محيطه، وما اللغة إلا جزء من هذه القدرات، فللبيئة

[1] الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ط 1، دار محمد علي للنشر، تونس (د ت)، ص: 27.

[2] عبد الرحمن محمد طعمة، البناء العصبي للغة، دراسة بيولوجية تطورية في إطار اللسانيات العرفنية العصبية، ط 1، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2017، ص: 234 نقلا عن زينايدا بوبوفاو ويوسف شيرين، اللسانيات الإدراكية، تر: تحسين رزّاق عزيز، ط1، بيت الحكمة، 2012، ص: 22.

والثقافة دور كبير في تحديد مفاهيمها، بيد أنّ الطبيعة تضع حدودا لا تتجاوزها الثقافة [1]. من خلال عوامل اجتماعية وحضارية ودينية...

ويذكر كذلك شرحا لهذه الفرضيات الأزهر الزناد قوله: وقوام الفرضية الرمزية كون اللغة تقارن بين الصوت والمعنى وقوام النحو تنظيم ذلك لتقارن الرمزي على درجات مختلفة من التركيب والبناء... وقوام فرضية الاستعمال أن النحو الذهني عند الفرد إنما هو تجريد لاستعمالات عديدة في الواقع، فلا مجال للفصل بين المعرفة والاستعمال، فالمعرفة هي الاستعمال والعكس[2].

ويذكر كذلك الباحث عبد الرحمن محمد طعمة أساسين للنظرية اللسانية العرفانية [3]. أنّ المعنى ديناميكي ومرن ومرتبط بمحيطنا، فهو متغيّر لذلك وجب أن نكيف الأصناف الدلالية مع التحولات التي تحصل، مما يترك هامشا أو مكانا لظلال المعنى.

ويفرّق الباحثون بين المناهج الشكلية والمناهج الوظيفية في دراسة اللغة، ويعنون خاصة المناهج الأخيرة التي يتكامل بها العمق الداخلي للغة من مستويات وعناصر لغوية والعمق الخارجي من مبادئ إدراكية عامة تشمل المنبّهات العقلية وتكوين المنظور، فتتكامل المنظومتان عند التحليل اللساني العرفاني.

ولا مناص من التحليل الدلالي والتداولي بفضل ذلك التمييز بين المستويات التحليل اللساني وعدم الأخذ بعين الاعتبار التمييز بين الدراسة السنكرونية والدراسة الدياكرونية.

---

[1] غادي دو بيتشر، عبر منظار اللغة لم يبدو العالم مختلفا بلغات أخرى؟ تر: حنان عبد المحسن مظفّر، ط 1، عالم المعرفة، الكويت، 2015، ص: 113.

[2] الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص: 33.

[3] عبد الرحمن محمد طعمة، البناء العصبي للغة، ص: 232.

3) أقسام اللّسانيات العرفانية:

ولئن كان هذا المبحث العام جامعا لكل مباحث اللسانية فإنه ينقسم في الدراسات بالأعمال المعاصرة إلى قسمين هما: الدلالة العرفانية والنحو العرفاني[1].

لذلك يحتاج في التحليل في المقاربة العرفانية لكلا المحورين لأنهما مكملين لبعضهما.

المطلب الثالث: مفاهيم ونظريات في الدلالة العرفانية

توطئة:

نحتاج للوقوف على طرائق التحليل الدلالي في المقاربة العرفانية إلى الإحاطة بجملة من المفاهيم والنظريات التي أقرّها باحثو العرفانية، والتي لابدّ من معرفتها، فالمفاهيم تسهلّ عمليات التحليل والتعميم، وتساعد على ضبط التفكير، فإدراك المفهوم يجعل المتعلّم أو الدارس قادرا على إدراك الأشياء والمواقف والعمليات، فهي أساس التفكير.

إنّ المقولة والفهم والخيال والتجسد مفاتيح أساسية لإدراك المعنى، كما يؤسس له علم الدلالة العرفاني، ولإعادة فهم ذواتنا وفهم العالم من حولنا وفهم اللغة والإبداع[2].

فلم يفد في النسخة الجديدة للسانيات؛ الأبنية التركيبية هي المتحكمة في الإنجاز اللغوي، والمعنى لم يعد يبنى من المعنى المعجمي للعبارة ونظام العلاقات الرابطة بينها وبين

---

[1] الحبيب المقدميني، التحليل الدلالي في المقاربة العرفنية، دراسات في اللسانيات العرفنية، ط 1، مركز الملك عبد الله، الرياض، السعودية، 2019، ص: 95.

[2] محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، ط 1، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، 2009، ص: 09.

غيرها في الأبنية التركيبية، وأصبح التشكل الدلالي المتجسد في العمليات الذهنية عندهم هو أساس بناء المعنى.

فكل بنية لغوية تعكس تنظيما ذهنيا معينا للمضمون، فدراسة المعنى هي الغاية الأولى والأخيرة للسانيات في نظر العرفانيين من خلال دراسة الصيغ والأبنية والتراكيب، فهي جزء من الدلالة[1].

أولا: مفهوم الدلالة العرفانية ومبادئها.

1) مفهوم الدلالة العرفانية:

يعرّفها إيفينس "Ivinessٍ"[2] بأنها نقل يهتمّ بالبحث في العلاقة بين التجربة، النسق التصوري، والبنية الدلالية التي تشفرها اللغة.

فالعرفانيون يرون في التركيب اللغوي نسقا حاثا للنسق التصوري الثري بالمعاني الذي يعكسه، إضافة لاعتبار المعنى بوصفه إسقاطا تخييليا لتجاربنا المجسدنة على نماذج معرفية مجرّدة.

إنّ النظرية الدلالية عند العرفانيين تقوم على شيئين مهمين هما:

- دور الإنسان في تحديد التصورات الدالة من خلال تجربة الجسد في محيطه المتنوع.

- وقدرة الخيال البشري على خلق تصورات دالة من خلال الواقع وما يعانيه وما يعيشه من أبعاد عاطفية واجتماعية وتجارب أخرى لا حصر لها، فلا خيال ولا إدراك دون التجربة

[1] عبد الجبار بن عربية، مدخل إلى النحو العرفاني (نظرية رونالد لانقاكر)، ط 1، مسكيلياني للنشر، منوبة، تونس، ص: 37-39.

[2] Vyvyan Evans, Aglossary of congnitive linguistics. P 26, 27.

المعاشة، وهذا ليس معناه أن المعنى أو الدلالة متموقعة في العالم وإنما من خلال التجارب يكتسب الذهن خبرات ومعاني يحتفظ بها، فهي مستقرة في أذهاننا تستدعى عن الحاجة، فهي أنسقة من المعارف، وبناءات تصورية دينامية استمدّت من تصافح وتفاعل الجسد مع العالم المادي والاجتماعي والثقافي بوصفه مرتكز الحياة، وعادة ما تحصّل المفاهيم في مرحلة مبكّرة من النموّ عبر:

– الإدراك: يتم إدراك هذه المفاهيم بشكل إجمالي كلي من حيث تشكّلها، نتمثلها في صورة ذهنية واحدة.

– الوظيفة: للبرنامج الحركي العام الوظيفة الأساسية في تحديد هذه المفاهيم.

– التواصل: نعتمد في تعبيرنا عن مثل هذه المفاهيم على ما قلّ من المفردات، وقصر واستقل سياقيا، لهذه المفردات السبق في دخول المعجم (الذهني)، فهي أوّل ما يتعلّمه الأطفال من الكلام.

– تنظيم المعارف: تكون معظم خصائص هذه "المقولات المفاهيم" مخزّنة في هذا المستوى الأساسي[1].

أزاح المكوّن الدلالي – كما وسبق أن أشرنا إليه مرارا– مركزية التركيب التي كانت سائدة في البنيوية عموما.

فأصبحت الدلالة بما هي عملية هيئة أساس عملية الإنتاج والتقبّل في استعمال اللغة، إنّ المعاني عند العرفانيين تحصل في الذهن، وتكون عبر آلية الفهم والمفهمة [2]. وليس عبر شروط الصدق في النظريات السابقة.

[1] الحبيب المقدميني، التحليلي الدلالي في المقاربة العرفنية، دراسات في اللسانيات العرفنية، ص: 102، 103.

[2] المرجع نفسه، ص: 98.

2) مبادئ الدلالة العرفانية:

إنّ أهم المبادئ التي ركّزت عليها الدلالة العرفانية يمكن أن تختزل في النقاط الأربع التالية[1]:

أ) البنية المفهومية مجسدنة: وهو ينبثق بصفة دينامية في الخطاب والتفاعل الاجتماعي... استنادا إلى سياق فيزيائي لغوي، اجتماعي وثقافي[2].

وتنشأ هذه الأطروحة بأن طبيعة التنظيم التصوري تنشأ من التجربة الجسدية بالتفاعل مع العالم الخارجي.

ب) البنية الدلالية بنية مفهومية: أو تصورية: يؤكد هذا المبدأ أن اللغة تحيل على تصورات في ذهن المتكلّم بدلا من الإحالة إلى الأشياء الموجودة في العالم الخارجي، بمعنى أن البنية الدلالية يمكن أن تتكافأ مع التصورات.

هذه المعاني الوضعية المقترنة هي تصورات لغوية أو تصورات معجمية (مفراداتية)[3]. ولحازم القحطاني دور ومقولة مشهورة في هذا المجال عرفت في الحقيقة عند أرسطو مفادها أن المعاني هي الصورة الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان... فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ[4].

فعلماء العرب والفلاسفة اهتمّوا أيما اهتمام بالدلالات الذهنية وعلاقتها بالعالم الخارجي ابن سينا والفارابي والغزالي في كتابه إحياء علوم الدين مثلا.

وخلاصة هذا المبدأ أن المعنى في الذهن سواء وافق العالم أم لم يوافق.

---

[1] المرجع السابق، ص: 98، 99.

[2] عمر بن دحمان، دراسة المعنى من منظور دلالي معرفي، مجلة الخطاب، ع 10، جانفي 2012، ص: 41.

[3] المرجع نفسه، ص: 40.

[4] أبو الحسن حازم القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب الخوجة، ط 1، تونس، 1966، ص: 169.

ج) موسوعة تمثيل المعنى: يعني ذلك أن الكلمات لا تمثل رزما مكدّسة صرفة للمعنى (وجهة نظر القاموس) ولكنها تشتغل كنقاط وصول إلى خازن فسيحة من المعارف المرتبطة بتصور خاص أو خيال تصوري[1].

وتكشف لنا الكلمات عن شبكة ثرية من المعاني والمعارف [2].

عكس مثلا المصطلح الذي يحمل مدلولا واحدا، أما المفهوم الدلالي فله تاريخ وتصورات من المعاني يزخر بها حسب السياقات والأزمنة المختلفة، فهي منافذ المعرفة.

د) بناء المعنى هو بناء التصور : أو هو قائم علة المفهمة [3]: أي تلك العمليات الدينامية التي تشتغل فيها الوحدات اللغوية كحاثات لمجموعة من العمليات التصورية وتجنيد المعارف الخلفية، ينتج عن هذه الرؤية أن المعنى هو عبارة عن سيرورة بدلال من كونه شيئا منفصلا يمكنه أن يرمز بواسطة اللغة، فهذه الوحدات اللغوية بموجبها بوصفها تحفيز لسلسلة طويلة من العمليات التصورية واستدعاء المعرفة الخلفية[4].

تدرك من خلال كل ما سبق أن طبيعة الدلالة العرفانية هي مقاربة مفاهيمي بالأساس تهتمّ بالمعنى اللغوي الحاصل في الأذهان في العملية الخطابية أو التواصلية أو الفردية، عبر التجربة الجسدية الواعية بتحفيز المعلومات الذهنية ومقارنتها مع العالم الخارجي من موجودات متفاعلة مع الجسد، فيكتسب الخبرة من خلالها ويترجمها من خلال اللغة.

فالمفهوم هو المعطى الأساسي لهذه المبادئ وهو البناء النظري الأساسي والأهم من النظريات الدلالية العرفانية، وهو الوحدة الأساسية في التمثيل الذهني.

---

[1] عمر بن دحمان، دراسة المعنى من منظور دلالي معرفي، مجلة الخطاب، ع 10، جانفي 2012، ص: 47.

[2] ففيان إيفانس، تر أحمد الشيمي، مجلة فضول، ع100، 2017م، ص: 73.

[3] صابر الحباشة، دراسات في اللسانيات العرفنية، الذهن واللغة والواقع، ط1، السعودية 2019، ص: 99،

[4] فيفيان إيفانس، ميلاني جرين، تر: أحمد الشيمي، مجلة فصول، ع100، 2017م، ص73

وفي الأخير يمكن اعتبار هذه المبادئ السابقة كمحصلة لالتزامين أساسين هما: الالتزام التعميمي، والالتزام المعرفي، وهما مبدآن سطرهما لايكوف (Laikov) 1990، أما الالتزام المعرفي فيتمثل في السعي إلى إقامة حقائق لغوية توافق الحقائق العرفنية الثابتة في سائر العلوم العرفنية[1]. ويتمثل الالتزام بالتعميم في أن يستوعب الدرس اللساني العرفني جميع المظاهر في النشاط اللغوي من خلال دراسة جميع مستويات اللغة غير مستقلة عن بعضها في تفاعلها وتكاملها مع بعض[2].

نشير في الأخير أن علماء الدلالة العرفانية ينهلون من العلوم العرفانية لبناء النسق التصوري.

يتّضح من المعنى اللغوي أنه يدور حول الظهور والحبس والأسر والقصد، وكذلك التفسير والتأويل والإرادة.

ثانيا: مفاهيم في الدلالة العرفانية.

1- المعنى:

كان المعنى مشكلة يصعب حلها منذ نشأة اللسانيات، فانطلق اللسانيون بادئ الأمر بالكلمة ثم الوحدة الدلالية ثم ظهر اهتمامهم بالجملة التي تعتبر أهمّ وحدات المعنى، ومع ذلك بقيت الدلالة منعزلة عن النحو إلى أن أدمج كاتز وفودر "Katz- Fodor" في بحثهما المعنون "بناء نظرية دلالية- النحو مع الدلالة" وقد أشار تشومسكي لجهودهما، كما اهتمّ هو أتباعه بالنحو من خلال البنيتين السطحية والعميقة، ولم تقنع نظريته برغم الإضافات

[1] الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، مرجع سابق، ص: 32، 33.

[2] المرجع نفسه، ص: 33.

والتعديلات للدلالة، إلى أن ظهر فريق من العرفانيين يعتبر المكون الدلالي الشغل الشاغل لدراستهم.

أ) المعنى لغة:

يذكر ابن فارس في مقاييسه: عن العين والنون أصلان أحدهما يدلّ على ظهور الشيء وأعراضه، والآخر يدلّ على الجنس[1].

ويذكر ابن منظور: فيقال للأسير: عنا يعنو وعيني يعني، قال: وإذا قلت أعنوه فمعناه أبقوه في إسار، وعنت الأرض بالنباتات تعنو عنوا وتعني أيضا واعتنته: أظهرته وعنوت الشيء، أخرجته، عنا البنت إذا ظهر، ويقال المعنى والتغيير والتأويل واحد، وعنيت بالقول كذا: أردت، ومعنى كلام مقصده[2].

ب) المعنى اصطلاحا:

إنّ المعنى عند العرفانيين تجاوز المعنى المعجمي ليصبح عملية فكرية تتشكل بمقتضاها صورة من الصور الذهنية.

يذكر عبد القادر قنيني أنه: لفظ فكرة أو معنى مرتبط في الغالب بتصور الأشياء الذي يتمّ بمطابقة فكرنا على الصور المنطبقة في دماغنا، والتي تسمى خيالا، فهو كل ما يوجد في فكرنا أن نقول بحق أننا نتصور شيئا ما[3].

---

[1] أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون (د ط)، دار الفكر، ج 4، مادة (ع، ن، ي)، ص: 19.

[2] ابن منظور، لسان العرب، م15 مادة (ع، ن، ي)، مرجع سابق، ص: 102، 105، 106.

[3] أنطوان أرنولد وبيير نيكول، المنطق أو فن توجيه الفكر، تر: عبد القادر قنيني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2007، ص: 35.

فالمعاني من منظور الدلالة العرفانية لا تكون عبر شروط الصدق في المنطق الصوري ولا تحصل في ما يكون من التطابق الموضوعي بين الكلمات والأشياء في العالم الخارجي.

إنّ المعاني عند العرفانيين تحصل في الذهن، وتكون عير آلية الفهم، فالمعنى مرتبط في الأصل بالدلالة المرتبطة بدورها بنظام المعجم، ولا تكتسب الدلالة فحواها ومنطقيتها إلا من خلال التركيب اللغوي.

2- الفهم:

عملية إدراك أو توقّع معنى كل شيء كمعنى الكلمة أو العبارة أو الاصطلاح ومعنى الجملة أو المحادثة الطويلة[1].

أمّا القاموس الأرطفوني اللغوي فقد عرّفه على أنه: القدرة على تحقيق المعنى ودلالة الرسائل اللغوية سواء أكانت مكتوبة أو منطوقة، وأن الفهم اللغوي يستدعي قدرات الفرد اللسانية (معرفة اللغة) وقدرات أخرى عديدة (الإدراك، التمييز السمعي البصري، الانتباه، الذاكرة، القدرات الذهنية) عند وضعية الاتصال صاحب الفهم اللغوي وغير اللغوي، هذا الأخير مرتبط بما يسمى (Paramètre linguistique) extra كالمضمون، العلاقات بين المتخاطبين، الإيماءات... والتي بدورها تحدد دلالات الرسالة[2].

يتّضح من التعريفين أن الفهم مرتبط بالإدراك من خلال حواس الفرد المتنوعة.

ففي النزعة التجريبية ينبثق الفهم من التفاعل ومن التفاوض المستمرّ مع المحيط ومع الناس الآخرين، من خلال تفاعل الجسد مع المحيط الفيزيائي والثقافي، وتؤدّي التجربة

[1] السعيد عواشرية، الفهم اللغوي القرآني واستراتيجيته المعرفية، ط 1، موندیال كوم، الجزائر، 2005، ص: 45.

[2] Brin f c Aurrier c. Dictionnaire d'orttophonie. France.1977. P 45.

المتكررة إلى صياغة مقولات التي تعتبر جشطالتات تجريبية لها تلك الأبعاد الطبيعية...، إن الصدق من منظور النزعة التجريبية مرتبط بالفهم الذي ينبثق من نشاطنا في العالم [1]. فالفهم يكون إلا من خلال التجربة مع المحيط الخارجي الذي يكون بالجسدنة، وهذا ما ينادي به العرفانيون. أمّا النزعتان الذاتية والموضوعية فقد عزلتا الإنسا ن عن محيطه وممن حوله.

3- الخيال:

فالخيال عند العرفانيين هو جوهر المعنى والتفكير الإنسانيين، وهو الذي يبين جزءا كبيرا من نظامنا التصوّري، وبنى المتخيل هي الملك المشترك الذي من خلاله نحاول فهم العالم من حولنا وإدراكه بطريقة تسمح بالتواصل والتخاطب بيننا[2].

إذن؛ فالخيال من المقومات الأساسية للصورة، حيث يرتبط ارتباطا مباشرا بالإحساس، فهو ينطلق من الواقع، ثم يبدأ بتوسيع وتطويع تلك المحسوسات، وفي ذلك يقول ابن سينا: الشيء قد يكون محسوسا عندما يشاهد، ثم يكون متخيّلا عند غيبته بتمثّل صورته في الباطن[3]. فالخيال إذن عنصر أساسي وأداة لتجسيم المعاني في الأذهان وتقريبها إلى النفوس، فتصبح المعاني المدركة بالذهن ملموسة باليد وشاخصة أمام العيان.

---

[1] جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارة التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، ط 1، دار توبقال، د ت، ص216.

[2] محمد الصالح البوعمراني، دراسة نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، ط 1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2007م، ص: 8.

[3] جودة عاطف نصر، الخيال مفهوماته ووظائفه، ص: 13.

ثالثا: نظريات الدلالة العرفانية.

توطئة:

تعتبر النظرية قائمة على فرضية أن الدلالة بنية ذهنية التي يتم بها التواصل من خلال ربطها بين اللغة والواقع، وتتضح معالمها من خلال مجموعة من النظريات:

1) المَقْوَلة:

قد نتصور الأشياء ونشاهدها من حولنا سواء أكانت مادية أو معنوية وكأنها غير مرتّبة وغير منظّمة، فيزيد ذلك من غموضها فلابدّ إذن من عملية ترتيب وتصنيف معيّن لنعيد لحياتنا وأفكارنا رونقها وجمالها، وهذا ما يتميّز به الإنسان عن سائر الكائنات الأخرى، فكيف تتم هذه العملية؟ وما هي معاييرها؟

يعرّفها الباحثان عبد الحميد عبد الواحد وحمد خروف نقلا عن لايكوف: آلية ذهنية عبقرية يقوم بها جميع الناس بلا استثناء، حتى أنه يبدو أحيانا أن معظم عمليات المقولة عمليات آلية غير واعية... وأن مقولاتنا العقلية تناسب أنواع الأشياء في العالم[1].

ويعرّفها محمد الصالح أبو عمراني: هي تلك العملية العقلية التي تقوم على ضمّ مجموعة من الأشياء المختلفة في صنف يجمعها لذلك، فإن كل شيء يتعلق بعلم الإنسان محكوم بالمقولة، فأفكارنا وإدراكنا الحسّي وحركتنا وكلامنا جميعها نشاطات تقوم على المقولة، فكلما قصدنا إلى إنجاز نوع من الحركة أو قول شيء ما أو كتابة شيء ما فنحن نستعمل المقولات[2]. فلا مناص إذن من المقولة، فمن خلالها نعرف ذواتنا والمحيط الخارجي ونقوم بتنظيم حياتنا وأفكارنا ونستقيم العملية التواصلية خصوصا*.

---

[1] عبد الحميد عبد الواحد، محمد خروف، المقولة في نظرية النموذج الأصل، مجلة سياقات، ع 3، تونس، أوت 2016، ص: 96.

[2] محمد الصالح البوعمراني، مرجع سابق، ص: 13.

*نُحيل للمقال السابق للباحثين عبد الحميد عبد الواحد ومحمد خروف يذكران بعض التفصيل في نظرية المقولة.

نشير فقط إلى أنّ أصل نظرية المقولة تعود إلى أرسطو مؤسس علم المنصة، وتختصر في (ش ض ك) الشروط الضرورية والكافية ومن مبادئها[1]:

- الأصناف تعرف من خلال مجموعة من الخصائص الجامعة المانعة.
- الخصائص تتصف بالنظر إلى المقولة بصفة الثنائية.
- كل العناصر التي تنتمي إلى صنف واحد لها وضع واحد.
- لكل مقولة حدود واضحة دقيقة، تميزها من بقية المقولات، فإذا ما تأكد أن عنصر (س) ينتمي إلى مقولة (ع) بتوفّر الشروط والخصائص المشتركة للمقولة، فهو إذن يدخل في المقولة، ويسمّيه لانقاكر (R.w. Langaker) نمط الصفات المميزة. أما إذا لم يمتلك تلك الخصائص فلا يدخل للمقولة، لكن وجد الباحثون في هذه النظرية قصورا، خاصة إذا كان العنصر يشترك في معظم الخصائص لأنه يقصى من ذلك لنقص من طفيف في العناصر، فكيف الحال إذن مع التصنيف اللغوي الذي فيه كثير من التشابه، وعليه لابد من بديل مناسب لهذه النظرية، فاقترح الباحثون نظرية النموذج الأصل.

2) مفهوم النموذج الأصل:

وتعني به إليانور روش (Roche) النموذج الأفضل أو أفضل ممثل، فالنموذج الأصل هو العنصر المركزي لمقولة من المقولات يلخّص مجموع الخصائص المترابطة بمعظم النماذج وفق مبدأ الاقتصاد العرفاني.

وقد يكون هذا المبدأ مفيدا حين تجربته في الدراسات اللغوية ليتمّ التحديد والتصنيف في المستويات اللغوية المختلفة من صرف ونحو وتركيب ودلالة من خلال المشابهة والتأليف[1].

[1] عبد الحميد عبد الواحد، محمد خروف، المقولة في نظرية النموذج الأصل، ص: 96.

رابعا) المقاربة المفهومية للدلالة العرفانية:

يذكر تالمي (Leonard Talmy) أن البحث في الدلالة العرفانية هو بحث في المحتوى المفهومي وكيفية انتظامه داخل اللغة[2].

ويذهب كذلك لانقاكر (R.Langaker) إلى أن معاني العبارات اللغوية تكمن في المفهمة وهي عملية متعلقة بكل مظاهر التجربة الذهنية القديمة أو الحديثة، ولا تقتصر هذه العملية على المفاهيم المجرّدة، بل تتجاوزها إلى المفاهيم الحسية الحركية (Sansorimotor) والانفعالية (amotional) وتنظر في دلالات المفاهيم اللغوية وتحولاتها عبر التاريخ، وحسب التغيرات الفيزيائية واللغوية والسياقية الثقافية والاجتماعية، بحيث يكون المعنى اللغوي مظهرا من مظاهر البنية المفهومية التي هي طبيعة تمثلاتنا الذهنية وطبيعة انتظامها بكل ما تتوفر عليه من ثراء واختلاف[3].

فالحافز التكويني للسيرورة الدلالية في دراسة الملفوظ اللغوي هو الارتباط بالمفهوم، فهو بؤرة ومركز الدراسة الدلالية من خلال تتبّعه التاريخي وتغيّره الفيزيائي، ومن خلال استعمالاته الآتية.

فالمفهوم هو الوحدة الفعّالة للذاكرة والمعجم الذهني ومنظومة التصورات ولغة الدماغ وصورة العالم كلها والكمّ من المعرفة، ومعظم المفاهيم تعبّر عنها اللغة[4].

فالمفاهيم عبارة عن كيانات ذهنية نموذجية مخزونة في دماغ الإنسان، ومحاولة تحليله ترتبط بقوة الاستدلال المنطقي والاستنباط، وتتبعه المتدرج من خلال سياقات مختلفة،

---

[1] المرجع السابق، ص: 99.

[2] الحبيب المقدميني "التحليل الدلالي في المقاربة العرفنية" دراسات في اللسانيات العرفنية، الذهن واللغة والواقع، ص 100، نقلا عن: Talmy, Leonard: toward a lognitive sementics cambridge MA-Mit press 2000, p4

[3] المرجع نفسه، ص 100، نقلا عن: Langaker, R: Metomymy in grammar, journal of foreigne language 27-2-24. 2004.

[4] زينابدابوبوفا، ويوسف ستيرنين، اللسانيات الإداراتية، ص: 36.

فالاستعارة التصورية مثلا حين نشوئها مع لايكوف اعتمدت على المفاهيم خاصة، فهي تساعد على فهم أفضل، فهي سيرورة حتمية للفكر والعقلانية البشرية. والمظاهر الدلالية للمفهوم لا تنحصر على التركيب اللغوي فقط، فقد يبدو في أنظمة علاماتية بديلة مثل الإشارات والإيماءات والموسيقى والرسم وتعابير الوجه...

معلوم أنّ دراسة المفهوم القرآني من المستجدات على الساحة القرآنية عموما والدراسات اللسانية خصوصا، إلا أن له إرهاصات منذ العصور الأولى للإسلام.

فالدرس اللغوي العربي في عصوره المتلاحقة كان دلاليا بامتياز، من خلال نقط المصحف وشكله وتأليف عشرات المعاجم المختلفة المتتبّعة للألفاظ العربية شرحا ودراسة، إضافة إلى كتب في الإعجاز والمجاز وغريب القرآن والوجوه والنظائر، وحتى كتب النحو والصرف والبلاغة كانت تهدف لاستكناه دلالات ومعاني القرآن الكريم.

فقد جاء في صحيح البخاري عن عبد الله رضي الله عنه: (لما نزلت هذه الآية "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم") شقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أينا لم يلبس إيمان بظلم؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه ليس بذاك. ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه: إنّ الشرك لظلم عظيم [1]. وفي كلام النبي صلى الله عليه وسلم إشارة إلى خطأ من فسّر القرآن بظاهر اللغة، وفيه إرشاد بنيوي إلى المفردة القرآنية أو المفهوم انتظمت في نظام متجانس ونسق يطابق المقصد الرباني، وهذا النسق هو الطريق الصحيح للفهم.

ولهذا تعدّ دراسة المفهوم القرآني من أهمّ مداخل التفسير. وقد قدّم شيخ الإسلام ابن تيمية تفسير القرآن بالقرآن على التفسير بالسنة لأهميته، وعدّ ابن تيمية أن قطع المفردة

[1] محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، ط 1، دار طوق النجاة، القاهرة، ج 6، 2014، ص: 115.

القرآنية عن نسقها وعن مقاصد الشارع وفهمها بما يجوز من ظاهر اللغة فقط خطأ أورث الخلاف في التفسير من جهة والاستدلال[1].

إنّ أهمية المفهوم في الدرس القرآني لا يقلل من أهمية عناصر أخرى تعدّ مداخل للكشف عن المعنى ولا مناص منها، ومنها السياق بأنواعه: سياق السورة والآية، وهناك أيضا المناسبة بين الآيات والسور، إضافة إلى الدلالات المباشرة وغير المباشرة، وكثير من العناصر ستذكر في حينها، فكل هذه العناصر تتكامل وتتآزر فيما بينها لتشكّل الدلالة المفاهمية للنص أو الخطاب القرآني.

خامسا: أسس عمل النظرية الدلالية وكيفية تشكيل المفاهيم في الذهن.

بعدما كان المكوّن التركيبي له الدور الرئيس في عملية الإنتاج وتوليد الملفوظات ولم تنفع معه الإضافات للمكوّن الدلالي في البنيتين العميقة والسطحية إلا أنه بقي ضعيفا، ويعود ذلك إلى تمسّك صاحب النظرية التوليدية التحويلية تشومسكي بشكلنة الدرس اللغوي عنده باعتبار أن المعنى يصعب الإمساك به لذلك يعتقد أن التركيب أو الظواهر اللغوية يجب أن تدرس دراسة موضوعية علمية بعيدا عن التكهّنات والخيال، وهو في الحقيقة ساير من سبقه، وخاصة أستاذه بلومفيلد "L.BlomField "، وكان وفيا له وللدرس اللغوي بكلّ حزم وصرامة.

ولم تنفع معه الانتقادات والنداءات من زملائه خاصة، ومما يزيد التأكيد على ذلك اعتباره اللغة مستقلة عن القدرات العرفانية، ويجب أن تدرس اللغة في ذاتها، إلا أنه يضفي شيئا جديدا بعد ذلك هو اعتبار اللغة ملكة عرفانية باعتبار المتكلّم يستطيع الإبداع وتشكيل

[1] ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، دار ابن الجوزي، 2005م، ص: 70.

عدد لا متناه من الجمل من خلال قواعد نحوية باستخدام ذهنه المميز به عن سائر الكائنات.

وبرغم ظهور بعض التجديد في الدراسة المعجمية في نظريته أصبح الفعل النواة التي يتولّد منها التركيب إضافة لسماته المميزة والمتحكم الحقيقي في تنظيم البنيتين السطحية والعميقة، ومن خلاله تعرف دلالة الجمل والعبارات من خلال مثلا الأزمنة الماضية أو في المستقبل أو في هذه اللحظة الآنية، برغم ذلك تبقى استقلالية التركيب عن المستويات اللغوية الأخرى من جهة، وعزل الدراسة اللغوية عن العلوم الأخرى يعتبر أكبر هاجس يؤرّق الباحثين في ذلك الوقت، إلى أن حظيت الدلالة بالمكانة والدور الفاعل في اللسانيات العرفانية.

فالأدبيات اللسانية المعاصرة وضعت قيودا على النظرية الدلالية وهي:

1- قيد التعبيرية: فعلى النظرية التي تروم رصد البنية الدلالية أن تكون كافية ملاحَظيا، وذلك بأن تكون قادرة على التعبير عن كل التباينات الدلالية التي تسلكها لغة طبيعية ما[1].

وذلك من خلال رصد جميع المظاهر الدلالية في الخطاب من موضوعات وقضايا ومفاهيم في سياقها.

2- قيد الكلية: وذلك باستخدام جميع التقاليد الدلالية الممكنة في الدراسة اللغوية للبنية.

3- قيد التأليفية والتوليفية: وهو الانطلاق من عدد محدد من العناصر يجري التوليف بينها بوجوه غير محدودة كما يقول ذلك "جاكندوف "R.Jackandov"؛ فالسمات الدلالية المميزة للوحدات والجمل من خلال ضمّها لبعض[2].

[1] عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ط 1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص100.

[2] الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ط1، دار حمد علي للنشر، د ت، ص: 63، 64.

نظرية المزج التصوري: تنسب بالأساس هذه النظرية للباحثين المعرفيين " جيل فوكوني J. Phokouniee" وترى النظرية أن البشر يقومون من خلال ملكة المزج المفهومي بعملية بناء المعنى من خلال صنع شبكات من النماذج المفهومية، فيحدث بناء معنى جديد ومفاهيم جديدة، على مستوى الذهن، لتنتقل إلى مستوى الوعي وتتكون من الفضاءات الذهنية: وهي حاويات تصورية صغيرة مبنية وفق تفكيرنا، ويمكن أن تعدّل بوصفها فكرا وخطابا يتطور تدريجيا وتضمّ: الوحدات والموضوعات والأفعال والسيرورات التي تحيل على الضمني والصريح في الخطاب، وليس هو قالبا مفهوما مخصوصا[1].

وتضمّ أيضا هذه الفضاءات بالأساس، أفضية منهما فضاء عام الذي به نسقط المقولات أو الخطاب الذي ينبني فيه التمثيل اللساني.

وفضاء الممزوج أو الهدف الذي يمزج فيه الخطاب من إسقاط عليه القضاء العام لتنشأ معان أخر.

1- فضاءان دخلان وهما متقابلان يحيلان على علاقات حيوية من قبيل الهوية والدور والقصدية والزمن والفضاء والمقولة.

2- البنية الناشئة وهي موجودة ومحال عليها في الفضاء الممزوج كما شرحت سابقا، وهي ناتجة من فضاء العام انطلاقا من ثلاث عمليات مزج هي: التركيب والإكمال والبلورة، ولتوضيح ذلك قمنا بنقل المخطط التالي:

ويضيف الباحث الأزهر الزناد أن البنية الناشئة إنما هي شيء يتبلور من خلال الشبكة، ولا يتضمّنها الفضاء المزيج تضمّنا مخصوصا، وهو ضروري للعرفنة البشرية[2].

[1] الأزهر الزناد، مدخل في نظرية المزج، تر: الأزهر الزناد، ط 1، وحدة البحث اللسانيات العرفانية، تونس، 2011، ص: 22.

[2] المرجع نفسه، ص: 23.

نفهم من خلال ذلك أننا ننطلق من أيّ عنصر من النظرية من خلال الأفضية المتعددة لنقوم بالإسقاط لنفهم الخطاب، وذلك حسب طبيعته وحسب الحالة الذهنية لمستقبل أو قائل الخطاب، وفق مقتضيات وأحوال المقام التواصلي المختلفة، فموضع المعنى إذن يكون غالبا في الشبكة وليس في الفضاء الممزوج فقط.

ويذكر الباحث كريستوفر هارت "K. Heart" أنّ تطبيق على هذه النظرية يكون في الخطابات التواصلية المرتبطة بقصدية المتكلّم[1].

المطلب الرابع: النحو العرفاني.

توطئة:

يهتمّ بدراسة النسق اللغوي ووصفه وكيفية اشتغاله، ليعين الباحث على فهم كيفية عمل اللغة، حيث تستثمر اللغة لأغراض البحث في نماذج لها صلة بالترتيب التصوّري[2].

فالبوادر الأولى كانت مع لانقاكر " **Langaker**" إلى منتصف التسعينات من القرن الماضي، فقد كان في بدايته يذكر في تسمية نظريته بنحو الفضاء لكنه عدل عنه[3].

أولا: مبادئ النحو العرفاني.

فقد اعتمد مجموعة مبادئ نوجزها في الآتي:

– اعتمد مفهوم التصوير في تحليل المعنى عكس جمهور اللسانيين الذين اعتمدوا المنطق الصوري.

[1] كريستوفر هارت: http://uhra.herts.ar.uk/handle/2299/4862 يوم 20 مارس 2020 التاسعة صباحا.

[2] فيفيان إيفينز، ميلاني جرين، تر: أحمد الشيمي، مجلة فصول، ص: 91.

[3] الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص: 98.

– عدم انفصال الإعراب عن الدلالة.

– اعتبار تحديد المفاهيم الأساسية وتوضيحها أولى من التشبّث بشكلنة التركيب.

فلا يمكن تفسير السلوك اللغوي دون اعتبار آليات المعالجة العرفانية.

فاللغة جزء لا ينفصل عن العرفنة البشرية، فالملكة اللغوية مركزة في المولدة النفسية العامة، يرى في تكامل العلوم العرفانية خدمة إيجابية للدرس العرفاني، فالبني النحوية لا تكون نظاما شكليا مستقلا بنفسه وإنما هي بنى رمزية تخدم المضامين المفهومية، فلا فصل بين المستويات اللغوية، كل يخدم الآخر، فلا قيمة مثلا للنحو دون المكون الدلالي والعكس صحيح.

ثانيا: مباحث عرفانية.

1) الاستعارة:

أحدثت المقاربة التجريبية المعرفية التفاعلية عند كل من جورج لايكوف (George Lakkov) ومارك جونسون (Mark Jhonson) قفزة نوعية في موضوع اللسانيات العرفانية عموما والاستعارة خصوصا، انطلاقا من عملتي الهدم والبناء: هدم الأسس الوضعية التي هيمنت على التفكير البلاغي ردحا من الزمن، مما كشف عن نظرة لا ترى في الاستعارة إلا ترتيبا وزخرفا للخطاب، وبناء رؤية جديدة تنهض على بعد تجريبي جشطالتي، فما مفهوم الاستعارة؟ وما هي أسسها؟ وما هي أنواعها؟.

أ) مفهوم الاستعارة:

فهي وسيلة لتصور شيء من خلال شيء آخر، ووظيفتها الأولى الفهم [1]. فهي إذن عملية ذهنية ترتبط بجوهر عمل الفكر، فهي لا تبين لغتنا فحسب بل أيضا أفكارنا وأنشطتنا، فهي قائمة على التجربة والواقع، تجعلنا نفهم الواقع أفضل مما كان.

ب) أسس ومبادئ المقاربة التجريبية للاستعارة:

تميزت الدراسات المستجدّة والثورة التي قام بها الباحثان لايكوف وجونسون ضدّ النزعة الموضوعية والذاتية بظهور نسق تفكري حديث في موضوع الاستعارة خاصة ينهض على مجموعة من الأسس والمبادئ هي[2]:

- لا ترتبط الاستعارة باللغة أو الألفاظ، وإنما بالنسق التصوري للتفكير البشري.

- التصوير الاستعاري ذو طبيعة نسقية تكشف عنه التحققات اللغوية المجازية التي ترشد إلى مقولة دلالية كبرى متسمة بصفتي التشاكل والانسجام.

- إنّ النسقية للاستعارة تقوم على مبدأ التجريد، حيث تظهر سيمات مخصصة وتخفي أخرى حسب المقاصد التداولية والبنيات الثقافية السائدة.

- إنّ الاستعارة ترتكز على تجربة الإنسان الفيزيائية والثقافية.

- إنّ الاستعارة هي نقل المجرّد إلى المحسوس بناء على تجربتنا الفيزيائية وشعورنا الثقافي.

- إنّ علاقة المشابهة إبداعية ولا ترتكز على السيمات المشتركة بين المستعار منه والمستعار له، وإنما تعتمد على التوافق في التجربة والإحساس.

- الوظيفة الأساسية للاستعارة هي الإفهام وتقديم المعرفة وليس التزيين والزخرفة.

---

[1] جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارة التي نحيا بها، ص: 56.

[2] عبد العزيز لحويدق، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، ط1، كنوز المعرفة، الأردن، (د ت)، ص: 265.

– تأخذ الاستعارة عند الباحثين لايكوف وجونسون معنى جديدا خاصة في كتابيه المعروفين حول الاستعارة، فحول الكتاب "الاستعارة التي نحيا بها" يذكر الباحثان:

وينفيان أنّ الاستعارة ظاهرة لفظية ترتبط باللغة الشعرية والبلاغة والترتيبي ة، بل هي فكرية بالمقام الأول، مرتبطة بنسقنا التصوّري، إذ تقوم بتنظيم أفكارنا والعالم من حولنا، فهي ملازمة لحياتنا اليومية، لا نكاد نشعر بها، فالطفل الصغير يستعملها بشكل عفوي وسهل، فهي إذن اقتضاء لغوي وإبداعي غرضها التوضيح والإفهام وترسيخ الخطاب.

ذكر أخطاء مغلوطة حول الاستعارة بأنها مسألة لغوية، وتتأسس على المشابهة. وأن جميع تصوراتنا عرضية، ولا يكون منها شيء استعاري، وأن التفكير العقلي لا يتمظهر بحسب طبيعة فهمنا وأجسادنا وطبيعة أدمغتنا. وبرهن المؤلفان أن هذه المغالطات خاطئة ولا أساس لها.

فقد رأى أصحاب النظريات الكلاسيكية أنّ العقل يقوم على الحقيقة وميّزوا بين الدلالة الحرفية والدلالية المجازية في الكلام ورأوا أن هذه الاستعارة ظاهرة لغوية وليست فكرية، وأن هذه اللغة اليومية تقوم أساسا على الدلالة الحرفية وخالية من الاستعارة والمجاز، وتتأسس كذلك على المشابهة[1].

وعكس ذلك؛ رأوا في الاستعارة أن محلها في التصورات وليس الكلمات، وتتأسس عادة عبر علاقات بين المجالات في تجربتنا، وأنّ تصوراتنا الأعمق والأكثر ثباتا مثل: الزمن والأحداث والسببية والأخلاق تفهم وتفسر بطرق استعارية متعددة منها استعارة الزمن بالمكان مثلا، ولذلك يتمثل الزمن على أنه حركة وذوات ومواضع، فيكون للزمان اتجاه وحركة له امتداد وله طول واتساع، وله صفات [2]. فنقول مثلا: ولى زمن العصابات

[1] الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، مرجع سابق، ص: 137.

[2] المرجع نفسه، ص: 151، 152.

السياسية، أمسكنا بالعصابة، الجزائر الجديدة قادمة، ستتحرر فلسطين بفضل أبطال وشجعان العرب...

يرى المؤلفان أنّ إثبات الاستعارة التصورية من خلال المعنى وبناء التصورات والمنطق واللغة يكون بالتجريب والمعاينة بالبحث في طبيعة المعرفة والإدراك وليس تعريفات وتأليفات وفلسفة من خلال تعدد المعنى وتعميم الاستنتاج.

2) أنواع الاستعارات:

أ- **الاستعارات الوضعية:** العادية اليومية بين الناس، وتتمثل في الاستعارة الاتجاهية، يقصد بها نسق كامل من التصورات المتعالقة ذات التوجه الفضائي القائمة على تجربة الفرد الفيزيائية والثقافية[1]، فهي تنظيم في إطار توجه فضائي: عال، داخل...

ب- **الاستعارة البنيوية:** هي أن يبين تصور ما استعاريا بواسطة تصور آخر[2].

ج- **الاستعارة الوجودية:** تقوم على بنينة ما هو مجرّد انطلاقا مما هو محسوس، وهي استعارة انطولوجية، وهي أنها تمنحنا طرقا للنظر إلى الأحداث والأنشطة والإحساسات والأفكار باعتبارها كيانات ومواد[3].

ويتّخذ هذا النّمط الاستعاري سبلا متعددة حسب تنوع حاجاتنا، إذ يأتي على سبيل[4]: الإحالة؛ نحو إننا نعمل من أجل السلام. تحديد الأهداف؛ نحو: إني أغير نمط حياتي كي أعثر على السعادة الحقيقية.

---

[1] جورج لايكوف، ومارك جونسون، الاستعارة التي نحيا بها، ص: 56.

[2] المرجع نفسه، ص: 33.

[3] المرجع نفسه، ص: 45.

[4] المرجع نفسه، ص: 45، 46.

3) إنتاج الوحدات الكلامية:

يقوم إنتاج الكلام عند لوفلت على مخططين: الأكبر والأصغر، يبلور الأكبر القصد التواصلي من حيث الأهداف الرئيسية والأهداف الثانوية، وينتقي المعلومات التي يتحقق بالتعبير عنها كل واحد من الأهداف عند السامع، ويضمّ جهاز المعالجة اللغوية نظما تشتغل متوازية متفاعلة متزامنة، وفي المعجم الذهني تقارن كل لمّة الشكل المناسب لها، إذ تضمّ اللمة المظهر المعنوي الإعرابي يكون استحضارها سابقا على استحضار الأشكال في إنتاج الكلام[1].

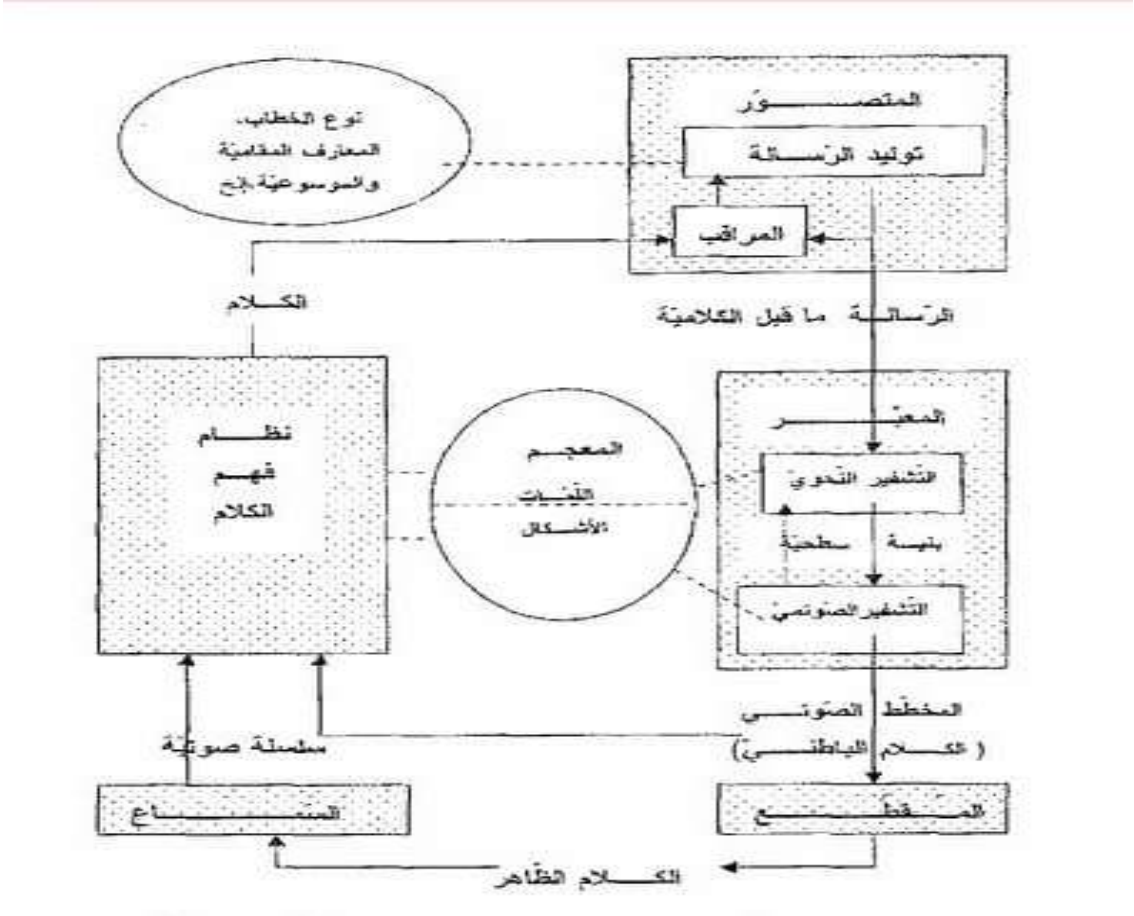

جهاز المعالجة اللغوية (لوفلت 1989)[2].

[1] الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص: 93.

[2] المرجع نفسه، ص: 91.

4) الفضاءات الذهنية:

يساءل المرء أحيانا كيف يتمّ اشتغال النسق التصوّري مع المجالات؟ كيف يتمّ استحضار الصور الواقعة في الذهن؟ كيف يتمّ دمج صور عديدة أو مجالات في مجال واحد؟ هل هذه التصورات مرتبطة بالتجربة الإدراكية الخارجية؟ أو له علاقة عن ماهية الشيء في الذهن دون الوصول إلى الواقع؟

يقول بوربلان (Borblan) أن فهم العالم المحيط بنا يعني إدراكه بواسطة التصورات الذهنية والاجتماعية التي تشكّل مصطلحا مركزيا يسمح بتفسير ميكانيزمات الذكاء والإيديولوجيات والذهنيات[1]. فمعرفة الواقع وأحوال المجتمع وعقلياته وتفكيره لا يكون بقراءة وتلاوة النظريات أو الشائعات وراء المكاتب بل قراءة ذهنيات وأفكار ورؤى المجتمع ومن خلاله العالم المحيط.

أ) مفهوم الفضاء الذهني:

هي نظرية نفسية عرفانية للساني الفرنسي جيل فوكونيي وهي نظرية تنتمي إلى الأنساق اللسانية المفتوحة على المخاطب والمقام، وهي تتيح تفسير كيفية اشتغال تلك الظواهر اللغوية والعمليات الذهنية داخل الأبنية اللغوية التي تحتويها من قبيل ظواهر الإحالة والدلالة والمطابقة النحوية، وبعض حالات الإضمار.. [2]

[1] بورنان سامية، التصورات الاجتماعية للمرض العقلي لدى عينة من الطلبة الجامعيين، مذكرة ماجستير في علم النفس المرضي الاجتماعي، كلية الأدب والعلوم الاجتماعية، بسكرة، 2006 –2007، ص: 23.

[2] لطفي الذويبي، مجلة العلامة، العدد الثالث، ديسمبر 2016، ص10.

فهي زمر تصوّرية تبنى عندما نفكّر ونتكلّم بغرض الفهم والسلوك الموضعيين تبنى بواسطة أطر ونماذج ذهنية ينشئها الدماغ، فهي صانعة للغة والفكر[1].

فهي بنيات تصوّرية يقوم بها الفرد للبحث واستجلاء المعنى من خلال دمج مجموعة معلومات في ضوء قرائن مقامية اجتماعية... ومقارنتها مع مخزونه الذهني من جهة وإيجاد صور وقوالب جديدة حسب رؤاه وأفكاره ومعتقداته، تنتج خلال لحظات خطابه وتفكيره، فهي تخلق العلم وتبنيه بشكل مستحدث ومتجدد دائما.

ب) مبادئ تشكّل الفضاءات الذهنية:

فهي كامنة لتسهم في إنتاج معان غير محدودة كما الحال في توليدية تشومسكي للبنى النحوية من خلال التصورات التي ينشئها الدماغ، واستخدامه لخلاياه العصبية وتطوير وظائفها واتجاهاتها العرفانية من أجل دعم الخبرات الجديدة وتثبيت السلوك وتمرينه المستمرّ.

فهذه الفضاءات مرتبطة بالقدرات الإدراكية ونمو خبراته ونشاطه الذهني، فهي آنية لحظة الفهم، ويكون أقلّ حجما من المجال التصوّري، وهو أيضا أكثر خصوصيّة[2].

فهي تتداخل وتتشارك في بنائه عدة مجالات تصوّرية، وذلك باعتبار الأفكار أو التخمينات والخطاب التواصلي يتطلّب عدة موضوعات وقضايا لتشكيله، فيهتمّ المخاطب بشكل سريع لفهم قصد المخاطب بترجمة ذلك كله آنيا، فهو مرتبط كما قلت بقدراته ومعارفه المختلفة منها المقامية والثقافية والاجتماعية.

[1] عبد الرحمن محمد طعمة، البناء العصبي للغة دراسة بيولوجية تطورية، ط 1، دار كنوز، الأردن، 2018، ص417.
[2] المرجع السابق، ص: 418.

ج) أنواع القضايا الذهنية:

إنّ الملفوظات الشفوية أو البنيات اللغوية هي أساس تلك الفضاءات، فهي تتوفر على فضاءين على الأقل: الأول هو الفضاء المصدر وعادة ما يكون موضوع الخطاب تتوالد وتتناسل منه فضاءات ثانوية أخرى حسب البناء الدلالي له، وهذه بعض الأمثلة لبعض أنواع الفضاءات: يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّـهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1]. فالفضاء الذهني الأصل هو هؤلاء الكفار الذين لم ينفع معهم نداءات الإيمان فهم لا يؤمنون، أما الفضاء الذهني الثانوي أو المولد أن الله ختم على قلوبهم، فهو فضاء ذهني واقعي مرئي للعيان، وذلك بعدم هدايتهم وعدم إبصارهم الحق والإيمان ماداموا لا يزالون على غيّهم.

2- تريد أن تصبح الجزائر الجديدة متطورة = فضاء واقعي منشود.

3- ليت العصابة استفاقت قبل غرق الجزائر = فضاء ذهني واقعي مفقود.

في الأخير نرى أن نظريات المزج التصوّري والفضاءات الذهنية ضرورية في علم الدلالة الحديثة، ولا يمكن الاستغناء عنهما في تأويل الأبنية اللغوية وتفسيرها. ومثّل فوكونيي "Foucounier" لذلك بهذا التشجير[2]:

[1] سورة البقرة، الآية 6-7.

[2] لطفي الذويبي، مجلة العلامة، العدد الثالث، ديسمبر 2016، ص: 16.

5) الخطاطة:

تعود دراسة الخطاطة إلى بداية القرن العشرين مع أعمال "جان بياجيه" وبراتلات" كونهما تهتمّ بوصف المفاهيم والمقولات الذهنية من خلال عمل الذاكرة استحضارا واستعادة.

كما ظهرت في مجال الذكاء الاصطناعي، إذ تمثّل الخطاطات أطرا مقتضبة. من المعلومات المنضّدة مسبقا تقوم على أساس الاستدلال عند نشاط الذهن، مثالها: عندما نقوم بإعطاء وصف لغرفة معيّنة (ذات سقف، ذات فرن) نستدلّ من خلال خطاطة هاته المعلومات أنّ الغرفة هي مطبخ أو غيرها من الغرف[1].

ويعود الفضل في بلورة هذا المفهوم إلى جورج لايكوف ومارك جونسون والكثيرين بعدهما ممن اهتمّوا بفلسفة اللغة والعقل.

الخطاطة هي أبنية معرفية على غاية من العموم والتجريد تساعد الفرد على بناء الاستدلال المناسب، وعلى ملء الفراغ بأن توفّر ما هو مسلّم به من المعلومات، فتيسر بذلك الاهتداء إلى الأعمال أو الأحداث انطلاقا من معلومات جزئية أو مقتضبة[2].

فهي إذن شبكة من المعلومات المفاهيمية تنظّم أعمالنا وتصوراتنا بشكل لائق لفهم أفضل وسليم للأشياء من حولنا.

[1] الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، مرجع سابق، ص: 163.

[2] المرجع نفسه، ص: 164.

أ) أنواع الخطاطات:

1) خطاطة القوة: تقوم في تصور مارك جونسون وليونارد طالمي على تفاعل كيانين على الأقل أولهما المعاني بلغة طالمي، وثانيهما المعارفي، وكل واحد منهما يمارس ضربا من القوة ويميل إلى اتجاه معين... فالمعاني إمّا أن تنتهي إلى الحركة وإمّا تنتهي إلى السكون[1].

2) خطاطة الصورة: فهي تمثّل الطرف الأساسي الثاني، وعليه تنهض الأبنية الذهنية المفهومية المجرّدة، فهي تقوم على التخوم بين التجربة والذهن[2].

فهي تفيد في بناء تصورات ورؤى أخرى من خلال نموذج معين.

[1] محمد الصالح البوعمراني، السيمائية العرفانية، الاستعاري والثقافي، ص: 79.

[2] عبد الرحمن محمد طعمة وآخرون، دراسات في اللسانيات العرفانية، الذهن واللغة والواقع، ص: 103.

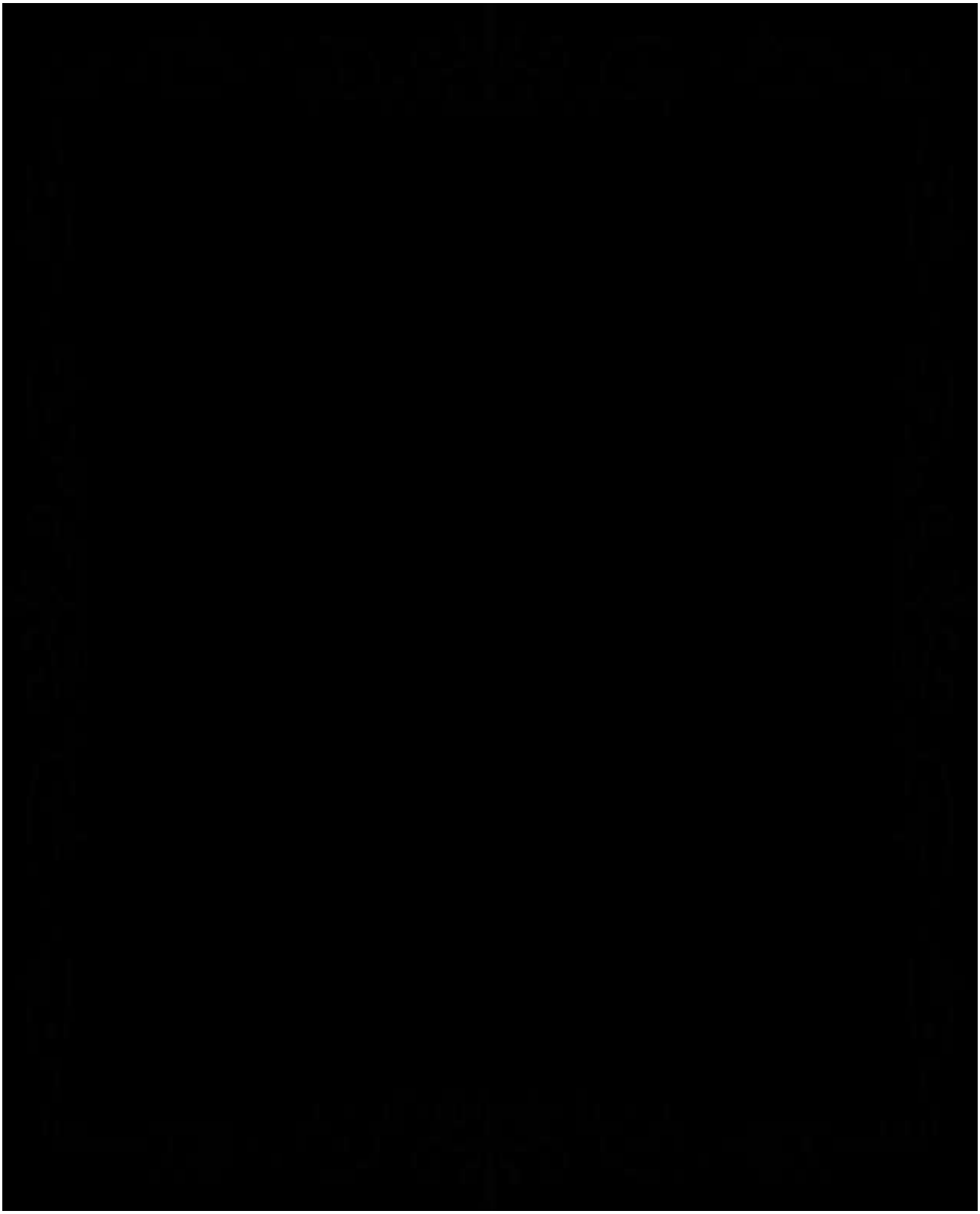

توطئة:

إنّ أهمّ ما يميز اللغة دينامية وسيرورة مفاهيمها في عقل الإنسان، فهي كيانات ذهنية نموذجية مخزونة في دماغه.

فالعقل لا يحمل الكلمات بالمعنى الذي نعرفه عن المعجم الورقي، بل الأمر عبارة عن صور بالمعنى الحرفي، يصوغها الدماغ البشري، صياغة تتلاءم مع الواقع، ولا تمثله تحديدا. فلب عمل الدماغ في ما يخص اللغة هو بناء نماذج ذهنية محكمة داخل العقل يتعلمها ويحفظها ويقيس عليها الأشباه والنظائر.[1]

فالإنسان لا يدخل معترك الحياة خالي الذهن، بل له ممارسات وتجارب مختلفة منذ الصغر، ينمي فيها رصيده اللغوي من محيطه الاجتماعي، مما ينسجم ومتطلباته المختلفة، لذلك نجد مثلا الشعراء يملكون ذخيرة ورصيدا لغويا وخيالا واسعا، ورُؤى لا نستطيع فهمهم أحيانا، وتعتبر المفاهيم كذلك القلب النابض للعلوم المختلفة، وكذلك للشعوب والحضارات من خلال التمسك بها ومحاولة إحيائها، وفهم مدركاتها وأسرارها، وعد تزييفها أو العبث بها.

[1] عبد الرحمن محمد طعمة، مجلة الممارسات اللغوية، ع37، تزي وزو – الجزائر، 2016، ص20.

المبحث الأول: تطبيقات في العلوم العصبية (العلاقة بين علم الأعصاب والسلوك الإنساني)

المطلب الأول: الجسدنة.

1) العقل المتجسّد:

يرتكز نسقنا التصوّري والإدراكي من خلال الجسد فقط، فالفهم الحاصل من العالم لأنفسنا وللآخرين، لا يؤطّر إلا من خلال تصورات تشكّلها وتصوغها أجسادنا.

فالذّهن المتجسّد يكون من خلال التصوّرات والعقل، فهما مشتقان من النسق الحسّي الإدراكي، ويستخدمانه، وبالتالي فإن الذهن لا ينفصل عن الجسد أو يستقلّ عنه[1].

أ) تطبيق العقل المتجسّد في قوم بني إسرائيل:

يذكر الباحث عبد الرحمن محمد طعمة في كتاب له وحسب دراسة بريطانية حديثة أنّ اللغة العربية تنشط في الجزء الأيمن لدماغ دون سائر اللغات، لذلك نجد تطابقا بين خصائص هذه الجهة وطبائع العرب من استخدام الخيال، وذلك بالانفعالات والاعتماد على الحدس وعقد المقارنات...، وبغضّ النظر عن هذه اللغة الشريفة يشير عالم الأعصاب الألماني "كارل فيرنيك (Karl Firnik)" إلى منطقة أساسية في عملية فهم اللغة: منطقة فيرنيك التي تقع أيضا في النصف الأيسر من الدماغ، لكن في العنصر الصدغي، وهي مسؤولة عن فهم معاني الكلمات... إنّ هذه المنطقة من الدماغ تحتوي على تمثيلات سمعية للكلمات بحيث يمكن فهمها حال سماعها [2]. وأنّ إصابة هذه المنطقة يؤدّي لحدوث مشكلة لغوية[3].

---

[1] الأزهر الزناد، الفلسفة في الذهن، مرجع سابق، ص: 720.

[2] آلان دو براوز، خفايا الدماغ، ط 1، كتاب العربية، تر: زينة ذهيبي، الرياض، 2015، ص: 64، 65.

[3] تيرينس دبليو ديكو، الإنسان اللغة الرمز، التطور المشترك للغة وامخ، ط 1، تر: شوقي جلال، ص: 511.

فإذا اعتبرنا أن اللغة العبرية مثل سائر اللغات تنشط الجزء الأيسر من الدماغ – كما يستنتج من أقوال الباحثين علماء الأعصاب– وعندما أنزل الله وحيه إلى الإسرائيليين في هيأة التوراة اختار العبرية أداة لرسالته، لأنها كانت لغة المجتمع[1].

نجد ذلك تطابقا بين تصرفات بني إسرائيل وخصائص الجزء الأيسر من الدماغ الذي يتميّز هذا الأخير بأنه يتعامل مع الحس القاطع، ينأى عن اللبس، يختزل، يجرد، يدمج، يجمع، فهو موضوعي، ملتزم بالحقائق السائدة المستقرّة، قاطع، حرفي. نجد ذلك يتطابق مع بني إسرائيل وسلوكهم مع نداءات الأنبياء، فلا يؤمنون إلا بالحقائق الملموسة بقولهم: (ادع لنا ربك ينزّل علينا مائدة من السماء – لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) أو ذلك البحث والتحديد المتناهي عن شكل البقرة ولونها وسنها...

فهم ينأون عن اللبس، وكيف يتركون آلهتهم وما ألفوه وما توارثوه، فذلك من باب أولى أن يذبحوا البقرة أو أن يطيعوا أمر موسى عليه السلام أمنا للبس، فهم موضوعيون ملتزمون بالحقائق السائدة عندهم المتوارثة أبا عن جدّ في العقائد الباطلة والبهتان والكذب وعدم اتباع غير سادتهم وكبرائهم، يلتزمون كذلك بالأمر اللفظي الحرفي فلا يشغّلون أفكراهم وعواطفهم مع نبي لهم ربما جاءهم بما فيه خير لهم وصلاحهم.

فنجد تطابقا تاما بين خصائص أذهانهم (النّصف الأيسر للدماغ) وأجسادهم، وهذا ما نطلق عليه الذهن المتجسّد.

ب) مثال عن الجسدنة وكيفية تشكل الكلام بالصورة الذهنية:

في تجربة بالرنين المغناطيسي الوظيفي FMRI تبين وجود ارتباط بين الصور الحركية والمعلومات اللفظية، من خلال تجربة الاندماج العصبي للكلام والنشاط، فقدموا للمشاركين في التجربة كلام غير واضح وفيه كثير من الالتباس هي إرفاقهم بإيماءات

[1] تويشهيكو ايزوتسو، الله والإنسان في القرآن، تر: هلال محمد الجهاد، ط 1، مركز دراسات، 2007، ص: 299.

كذلك غامضة المعنى، ثم جمعت معطيات التصوير المغناطيسي، حيث أظهرت النتائج، وجود نشاط زائد في الدورة الدموية في عدة مناطق في الدماغ كالنصوص الإدارية السفلية partietal lobes وخاصة في الجانب الخلقي للثلم الصدغي stc، الناتج عن انعدام المعنى في الإيماءات التي لا معنى.

فكان تفسير العلماء أن الكلمات تتشكّل ذهنيا على هيئة صور كاملة يختزنها الدماغ، ويستدعيها ويقيس عليها، وأن بناء النموذج المعجمي في الدماغ، يجب أن يبدأ من هذه المسلمة، وليس من المفردة كما هو الحال في المعاجم البشرية.[1]

وتلك العناصر المذكورة آنفا منطقة تربيط المفاهيم اللفظية The verbal conceptual Arociation Area ويقع عند التقاء فصوص المخ الثلاثة، الصدغي والجداري والخلفي، وهي أساسية في نشأة الوعي البشري، فالعديد من العمليات الإدراكية يحتاج إلى فهم اللغة واستعمالها وتلك أهم مسؤوليات هذه المنطقة، تسمية الأشياء وأرشفتها.

-استحضار المفاهيم الإدراكية ومقارنتها.

-استحضار المعاني العكسية للمفاهيم.

-الوظائف المنطقية العليا، خاصة التفكير السببي.

-توليد المفاهيم المجردة وربطها بالوجود.[2]

وكذلك تجارب أخرى قام بها الطبيب النفسي **كينث ديوهيرست** "**k. diohirst**" سنة 1970م على مجموعة رهبان تبيَّن عند معالجتهم أن المناطق السالفة الذكر تنشط أكثر عند ممارستهم الطقوس الدينية وتقل في الأعمال الأخرى اليومية لهم.[3]

---

[1] – عبد الرحمان محمد طعمة، البناء العصبي للغة، دراسة بيولوجية تطورية، ط 1، دار كنوز للمعرفة، الأردن، 2017، ص: 265.

[2] – عبد الرحمان محمد طعمة، المخاطبات، العدد 25، جانفي 2018، ص16.

[3] إدريس أمجيش، اكتساب الدين، www.amahwar.orgK، بتاريخ: 2020/06/20، على الساعة: 10:00.

وهذا ما وقع بالفعل مع بني إسرائيل عندما تعذر عليهم فهم عملية الذبح في قصة البقرة من جهة، وماهيتها من جهة أخرى، بالنظر إلى أنهم لهم تقاليد وأعراف طويلة مع هذا الحيوان توارثته أجيال عديدة، فلم يتقبلوا هذا الطلب من نبيهم موسى عليه السلام، وعدم حضور وترسُّخ المعنى والصورة الذهنية عندهم، جعلهم يماطلون ويخلقون الأعذار، ومحاولتهم الهروب من هذا الموقف الصعب، حينما قالوا: أتستهزئ بنا، أدعو لنا ربك المكررة عدة مرات، السؤال عن ماهيتها، لونها...

لكن عندما أثر فيهم كلام موسى عليه السلام، ودخلت الصورة إلى أذهانهم بمعرفتهم جميع أوصافها، حينئذٍ اقتنعوا بالحجة الدامغة وقالوا الآن جِئتَ بالحق، فذبحوها.

نعرف من كل ما سبق أن الصورة الذهنية تتواجد في أجزاء من الدماغ، وينشط هذا الأخير بتفاعل الجسم معها بشكل أفضل عند معرفة الفكرة ووضوحها، واستحسانها، فيتجاوب معها الفرد إيجاباً، أما إذا كانت الكلمات أو الأفكار غير الواضحة كما وقع مع بني إسرائيل بادئ الأمر، تخمد هذه الأجزاء من الدماغ؛ الجانب الحلقي للثلم الصدغي "**stc**"، ولا يتفاعل معها الفرد، وبالتالي لا تُخزّن لديه فهي غير مفهومة.

المطلب الثاني: علم النفس وسلوك الإنسان.

سأحاول أن أوجز ببعض الأمثلة عن سلوك بني إسرائيل في السورة الكريمة، بتطبيق بعض مبادئ علم النفس، فهذا الأخير الذي يهتمّ بكشف العلاقة بين اللغة والأمراض النفسية، دراسة ما يسمى اللغة الانفعالية.... فهو إذن يبحث في ظواهر اللغة ونظرياتها مستخدما أحد مناهجه[1].

[1] عزيز كعواش، علم اللغة النفسي بين الأدبيات اللسانية والدراسات النفسية، مجلة المخبر، بسكرة، ع07، جوان 2010، ص: 16.

فعلم النفس – كما اتضح – أنه يبين سلوك الفرد أو الجماعات وتصرفاتها الفعلية أو القولية، وذلك من خلال قواعد ومعايير حددت سلفا.

فالجين اللغوي هو العنصر الأساسي في تشكيل ما نعتقده، وصياغة مذاهبنا الفكرية، فاللغة هي مستودع الحقائق[1].

ويُعتبر الدّين من أهم مقومات الحياة، إن الإنسان يحتاج إلى الدليل والمرشد فيما يرتبط بخارج إطار المحسوسات والمشاهدات الحياتية الفعلية، أي المبدأ والمعاد[2].

فرسالة وهدف الأنبياء والأديان هو إثارة الإنسان وتفجيره كامن الطاقة لديه، فهذه الرسالة هي التبشير والإنذار والهداية والشفاء والرحمة، وإخراج الإنسان من الجهل والظلمات وقيادته إلى الإيمان[3].

فهو دور إيجابي إذن للأنبياء عبر الأزمان، فهم بناة الحضارة والرقي بالمجتمعات، وإيقاظهم من ضلالهم وانحدارهم إلى مرتبة الحيوانات.

فالأخلاق تدخل ضمن موضوع العبادة. فمن لا دين له لا أخلاق له، فبالعبادة يسمو الإنسان ويرتقي عقله وفكره.

أمّا بالعودة إلى بني إسرائيل؛ فقد كانت التوراة من أوائل الكتب التي فصل فيها الله تعالى شرائعه التي أنزلها على موسى وهي التوراة التي قاموا بتحريفها وتبديلها[4].

---

[1] عبد الرحمن محمد طعمة، البناء العصبي للغة، ط1، القاهرة، 2017م، ص: 292.

[2] مجيد محمدي، اتجاهات الفكر الديني المعاصر في إيران، ط 1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2010، ص: 238.

[3] المرجع نفسه، ص: 149.

[4] يوسف بن حمود الحوشان، الآثار الواردة عن السلف في اليهود، تفسير الطبري، ص: 333.

وأوّل عنف مرتكب كان ضدّ توراتهم التي حرّفوها حسب أهوائهم بالزيادة والنقصان، ففي رسالة فرويد إلى زميله اينشتاي ن تزامنت مع الحرب العالمية الأولى يشخّص فرويد أسباب الحرب والعدوان، ويحاول إيجاد الحلول، وكان قد أكّد على قوة الحياة (الليبيدو أو الجنس) بوصفها المصدر البيولوجي للدافعية عند الإنسان، واستنتج من هذا التدمير الذي يراه أن الإنسان لا يسير مدفوعا بالليبيدو وحسب بل بجملة أخرى مجهولة من الدوافع اصطلح على تسميتها بغريزة الموت، فوظيفتها تدمير الفرد، ورأى في العدوان المظهر الخارجي لهذه الغريزة، وأكّد فرويد على أنه رغم وجود أساس بيولوجي للدوافع العدوانية فإنّ قوى الكبح تتطور إبّان مرحلة الطفولة كتسمية لحلّ عقدة أوديب، وما يتبع ذلك من تكوّن الأنا العليا أو الوجدان[1].

يذكر كذلك فرويد في رسالته في معرض تشخيصه للعدوان أن من أهمّ أسبابه: تعارض المصالح باستخدام الأسلحة المختلفة ويرجع ذلك لقلة التواصل بين الأطراف، ورأى أنّ أكبر عائق هو عدم تكافؤ القوة بين الأطراف، والحل حسب زعمه بوجود قوّة محايدة (عصبة الأمم)، وذكر كذلك من مشاكل وأسباب العنف: الحقد والكراهية.

أولا: مفهوم العدوان.

عرف منذ عرف الإنسان الطبيعة، أو في علاقة الإنسان بالإنسان، وهو معروف في سلوك الطفل وفي سلوك الراشد، وفي سلوك الإنسان السويّ والمريض، وإن اختلفت الدوافع والوسائل والأهداف والنتائج، سواء أكان هذا التعبير عدوانيا بالعنف أو بالتطرف[2].

---

[1] فرويد لوزنز، ولتر سيرز ميلر وآخرون، سيكولوجيا العدوان، ط 1، دار منارات للنشر، دمشق، 1986، ص: 19.

[2] محمد يوسف الحجاج، التعصب والعدوان في الرياضة، ط 1، مكتبة الأنجلو مصرية، 2002، ص: 165.

1) النظريات المفسرة للعدوان[1]:

تعددت النظريات المفسّرة للسلوك العدواني نتيجة لتعدد أشكال العدوان ودوافعه، فمنها:

أ) النظرية النفسية: يرى فرويد أن العدوانية واحدة من الغرائز، يمكن أن تتجه نحو العالم العام الخارجي أو ضدّ الذات. وكانت نظريته على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: رأى أن العدوانية تسعى إلى تحقيق هدفها للتوحد مع الشيء الجنس (تغلب عليه).

المرحلة الثانية: تقدم تفكيره، في كتابه الغرائز وتقلباتها، حيث ميّز بين مجموعتين من الغرائز هما: (الأنا وغرائز حفظ الذات والغرائز الجنسية) فوجد أن هناك صراعا بين مزاعم الجنسية ومزاعم الأنا (مطالب الأنا ومطالب الجنسية)، فالأنا تكره وتمقت وتتابع بهدف تدمير كل الأشياء التي تمثّل مصدر المشاعر الساخطة عليها، دون أن تأخذ بالحسبان إذا ما كانت تعاني إحباط الإشباع الجنسي وإشباع حاجات حفظ الذات.

المرحلة الثالثة[2]: بدأت هذه المرحلة مع بدء ظهور كتاب "ما وراء مبدأ اللذة" حين أعاد تصنيف الغرائز، فقد أصبح الصراع ليس بين غرائز الأنا وغرائز الجنسية، ولكن بين غرائز الحياة والموت. فغرائز الحياة دافعها الحب والأخرى دافعها العدوان والتدمير، فهي من أجل الذات، وتوجه نحو التدمير.

---

[1] إسماعيل يامنة عبد القادر وإسماعيل ياسين عبد الرزاق، دراسة في الاكتئاب والعدوان، ط 1، دار اليازوري العلمية، ص90.

[2] المرجع نفسه، ص: 98، 99.

ب) نظرية الإحباط: أكّد "جون دولارد، J. Dollard" و"نيل ميلر N. Miller" و"روبر سيزر R. Sizzer" أن الإحباط ناتج عن دافع عدواني يستثير سلوك الآخرين، وأنّ هذا العدوان ينخفض تدريجيا بعد تلقّي /////، ويسمى التنفيس، ووجد العلماء أن هناك علاقة بين الإحباط والعدوان، كما زاد الإحباط زاد العدوان والعكس صحيح[1].

وهناك نظريات أخرى كالنظرية المعرفية والنظرية السلوكية، نظرية التعلم الاجتماعي، لا يسعنا الحديث عنها لمحدودية البحث.

2) أسباب العدوان:

أمّا أسباب العدوان فهي: أسباب بيئية، أسباب تعليمية، وأخرى وراثية.

كما لاحظنا سابقا أن عدوان بني إسرائيل انتشر في كل بقاع الأرض من قتل الأولاد واستحياء النساء، وتكبّر فرعون كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِي ﴾[2] وبعدما جاء موسى بالبيّنات في أوّل لقاء مع فرعون فلم يستفق فرعون من رقدته، ولا نزع عن ضلالته، بل استمرّ على طغيانه وعناده وكفرانه. يقول تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3]، وبعد كل المناقشات والأدلة التي يقدمها موسى عليه السلام لم ينتفع فرعون بشيء من ذلك، فهوى في قمة المرض النفسي والعقلي... وموسى عليه السلام طبيب هذه العلة[4].

---

[1] المرجع السابق، ص: 99.

[2] سورة القصص، الآية: 38.

[3] سورة الشعراء، الآية: 27، 28.

[4] أبو الفداء إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، ط1، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، دت، ص: 285.

وحتى أن أتاه بالشيء الملموس الذي يراه بعينيه وأمام كل الناس "معجزة العصا"، لكنه طغى وتجبّر، وما أعظم من خطاب موجه لفرعون بكل بساطة وسهولة يفهمه الطفل الصغير، يقول تعالى مخبرا عن فرعون أنه أنكر إثبات الصانع تعالى قائلا: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[1]. أي: هو الذي خلق الخلق ثم هدى. لكنه بقي على طغيانه وكفره، فكان الظلم والعدوان العظيم بعد هذا الإحباط في نفس فرعون ومَلَئِهِ من موسى وقوله الحق والإتيان به أن تبعه وجنوده لينتقم منه، ويكون له الكبرياء في الأرض فأغرقهم الله في اليمّ، ونجا موسى وأصحابه من ظلم وكيد الظالمين. يقول تعالى في ذلك: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[2].

يقول تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّـهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3]. ويقول أيضا: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ اللَّـهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[4].

فقد كان ناس من اليهود كتبوا كتابا من عندهم يبيعونه من العرب ويحدثونهم أنه من عند الله ليأخذوا به ثمنا قليلا [5]. وما تكرار لفظ الويل ثلاث مرات إلى دليل على

---

[1] سورة طه، الآية: 49، 50.

[2] سورة البقرة، الآية: 50.

[3] سورة البقرة، الآية: 75.

[4] سورة البقرة، الآية: 79.

[5] يوسف بن حمود الحوشان، الآثار الواردة عن السلف في اليهود، ط 1، دار ابن الجوزي، السعودية، 1433هـ، ص: 333.

خطر ذلك التحريف. والويل: جبل في النار، وهو الذي أنزل في اليهود لأنهم حرفوا التوراة وزادوا فيها ومحوا[1].

يقول تعالى: ﴿ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾[2] بما كان من تبديلهم التوراة، وعلى غضب جحودهم النبيّ ﷺ[3].

وقد لعنوا لعدّة أسباب: بسبب كفرهم وتفضيلهم الشرك وعبادة الأوثان وعلى ما جاء به الرحمن، ولعنوا لوصفهم الله بالصفات الرديئة، ولتحريفهم كلام الله ومعصيتهم مع معرفتهم الحق. ولعنوا على لسان أنبياء الله كداوود وعيسى عليهما السلام لمعصيتهم واعتدائهم وتركهم التناهي عن المنكر، ولعنوا على لسان محمد ﷺ لأمور منها: اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد[4].

وأبرز سماتهم العدوانية في شخصياتهم والتي تظهر في الحقد والحسد والظلم والطمع والجشع والغدر والخيانة والخسّة والمنكر والخبث والختل[5].

ربما كان "ليفي شتراوس " "L.Chtraouss" هو من أقدم من برع في تعريف العنصرية: إنها الاعتقاد بأن سلالة بشرية معينة هي السلالة الفائقة بيولوجيا تميزت بما حظيت به من جينات وكروموسومات متفوق[6].

فالكبرياء القومي ميزة في كل الشعوب، فإذا أحسّ شعب بأنه قوي سهل عليه أن يقول نحن الأفضل، والوصول إلى النفوذ السياسي كثيرا ما يتطلب العنف بمختلف

---

[1] المرجع السابق، ص: 50.

[2] سورة البقرة، الآية: 90.

[3] المرجع نفسه، ص: 102.

[4] المرجع نفسه، ص: 110.

[5] حسن يوسف حمودة، ملامح الشخصية اليهودية، ط 1، كلية الدعوة الإسلامية، القاهرة، ص: 6.

[6] لويجي لوقا كافيللي، الجينات والشعوب واللغات، ط 1، تر: أحمد مستجير، القاهرة، د ط، ص: 18.

أنواعه...، إنّ وهم الخلود يتجاهل كل دروس التاريخ، فالطبيعة البشرية إذن لا ترحّب بالتغيّر.

أعتقد أن من أكبر الصفات السلبية والقبيحة عند بني إسرائيل هي اعتبارهم شعب الله المختار، وأنهم أفضل الخلق وأهداهم، وأنهم وحدهم من يدخلون الجنة.

هذا السبب الذي جعلهم يقتلون أنبياءهم وحتى أخاهم الصغير ألقوه في غياهب الجب، وما الصفات السابقة الذكر إلا نتيجة لهذا الفعل الشنيع ألا وهو الاستكبار في الأرض.

المطلب الثالث: تطبيقات في الدلالة العرفانية.

1) التجـذيـر الابستيمـي فـي النـص:

لم تعد اللغة مجموعة من الأنشطة فحسب، بل هي أجزاء من المعرفة التي تعتمد على بنية كلية، فهناك المستوى الترتيبي، والفونيمي والدلالي... يوازيها في المخ عمليات عرفانية كبرى من الإنتاج والتحليل، تتكامل وتتضافر فيما بينها، [1] واعتبرت الدراسات السابقة في دراسة اللغة كنظام حوسبي شكلي، لا علاقة له بالعالم الخارجي، الذي حاولت اللسانيات العرقانية توليه الأهمية البالغة، وما تلك الجمل في الخطابات إلا تعبيرا عن مضامين عرفانية يحاول محلل الخطاب استكناه المعنى من خلال تجربة الخطاب من جهة وتجربته من جهة أخرى، ولا تخلوا مثل هذه الدراسة من آليات تتحدد بها مواقع المشاركين والأحداث والاستدلال من الخطاب، وهذا ما يطلق عليه التجذير أو التجذر.

[1] – عبد الرحمان محمد طعمة، البناء العصبي للغة، ط 1، دار كنوز، القاهرة، 2017، ص: 224.

فمستويات التجذر تكون من خلال العناصر المشاركة في الحدث من الزمن والمكان وعناصر المشهد وتوزعها في العالم والتجربة، وتجذير العناصر المكونة للمضمون العرفي في العبارة اللغوية، [1] وذلك من خلال تحديد وتجذير كل الضمائر المشاركة في الحدث من إشاريات مختلفة، وظروف وضمائر وخاصة ما جرى لتحديد مواقع الأشياء والأمكنة والمفاهيم، ويقوم التمثيل من خلال: مركز النواة الحديثة، زمن الحدث بالقياس إلى زمن القول، زمن القول بالقياس إلى زمن الحدث، حدث المتكلم وموقفه من حيث التزامه بمطابقته للواقع أو لمعتقده، وجهة الجملة اخبارا أو استخبارا أو أمرا، وجميعها وظائف تواصلية من الأبحاث والتقرير أو الاستفهام.[2]

وإجمالا يعتبر هذا المخطط إدراكات المتكلم الذهنية بالخطاب من حيث تساؤلاته المختلفة عن الحدث بالقبول أو الرفض واعتراضاته.

2) نموذج للتجذير الإبستيمي في قضية البقرة في السورة الكريمة:

يقول الله تعالى: (﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا

[1] – الأزهر الزناد، النص والخطاب، ط 1، دار محمد علي للنشر، وتونس، 2011، ص: 186.

[2] – المرجع السابق، ص: 191.

يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾).[1]

اخترت البقرة لما لها من أهمية في السورة الكريمة في تثبيت العقيدة.

تبنى هذه الدراسة على التدرج التحليلي للأحداث، واعتبار المكان مفقود في هذه القصة، لعدم فائدته والمشاركين مختلفي الصفات والمعارف، تتضمن كذلك أحداث متغيرة متجددة مع تسارع الأحداث، وتظهر لنا تفاصيلها مع هذا الجدول الذي يفصل ذلك.

مكان	زمان	الأشخاص والمخاطبين	الأحداث	الجملة، الأدوات (من النص)
	ماض	موسى	إقبال وتوجه	إذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة
				قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين
	ماض	بنو إسرائيل	قيام	قالوا ادعوا لنا ربك يبين لنا ما هي
	ماض	موسى	قيام	قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون
	ماض	بنو إسرائيل	توجه	قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون
	ماض	موسى	توجه	قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض

[1] – سورة البقرة، الآيات: 66– 72.

	ماض	بنو إسرائيل	توجه	ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون
	ماض	خطاب الله عز وجل	توجه توجه	

قارئ القرآن الكريم، لم تكن له خلفية على مناسبة السورة، يجهل سبب أمر الله بذبح البقرة، وأخره الله تعالى تشويقا، وإعلامه بجدال القوم وإيمانهم المغلوط فيأتي المقطع الثاني لتتضح معالم الخطاب أكثر مع العلم أن الزمان ماض بالقياس على زمن القصة.

مكان	زمان	الأشخاص والمخاطبين	الأحداث	الجملة، الأدوات (من النص)
	ماض	خطاب الله لهم عن طريق سرد قصصي موسى	سرد الأحداث	وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما تكتمون
	ماض		توجه	فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى

عدم التجذُّر إبستيميا في سبب الذبح وعدم الاهتداء في ذهن القارئ بداية القصة يتضح أكثر مع ذكر السبب في نهاية الخبر حيث يجري نوع من التفسير أو الشرح، يكون فيه فك ما كان ملغز، في المقطع السابق، وحتى بنو إسرائيل برغم علمهم بالموضوع إلا

أنهم غير مؤمنين بقدرة الله وجهود نبيهم موسى لذا نجدهم يقولون له: "أتتخذنا هزؤا" ويكثرون التساؤل، وفقدوا الصلة أصلا بتلك الجريمة وذبح البقرة، وفضح الفاعل وإنهاء المشكلة.

لكن عندما تتضح الأمور ويذكر السبب يحصل التبذير آخر في ذهن المتلقي الخبر أو القارئ من جهة وبنو إسرائيل من جهة أخرى، وكذلك القائل في هذا المستوى يكون التحذير العام أي فهم الخبر كاملا عند أطراف العملية التواصلية، إذ هو (الخبر) من العمليات العرفانية الاستدلالية التي بها يكتمل الفهم وما الفهم إلا اهتداء إلى العناصر المكونة لمضمون معرفي ينشط عند السماع.[1]

إذ يتفق أطراف التواصل إدراك المحيط مكانا وزمانا وأشخاصا، لكنهم يختلفون في العمليات الذهنية من حيث الانشاط المفاهيمي المقترن بالمنبهات البصرية، فإذا كان النبي موسى عليه السلام يدرك عظمة الله وقدرته على فضح القائل، فإن بنو إسرائيل غير موقنين بذلك لم يُعملوا أذهانهم في الجانب الإيجابي بقدرة الله على الحل المرضي للجميع، أما القائل فيعلم مصيره، وقد فهم استدلالا أنه مقصود هنا الذبح والاقتصاص منه، وهذا من عمل الذهن، فتراه قد نشطت عنده عمليات إدراكية وذهنية فنجده يتوارى عن القوم ويخلق الأعذار والحجج للدفاع عن نفسه.

غلب على الخطاب ضمير الجمع الغائب، وذلك في معرض إقناع النبي موسى عليه السلام لقومه.

وإذا حاولنا أن نلخص الخطاب، وتذكر الجملة المركزية النواة، فيكون قضاء الأمر متضمنا بأمر الله بذبح البقرة، وتكون الأسئلة المتعددة وإجاباتها فضاءات، من خلال الخطاطات التالية:

---

[1] – المرجع السابق، ص: 20.

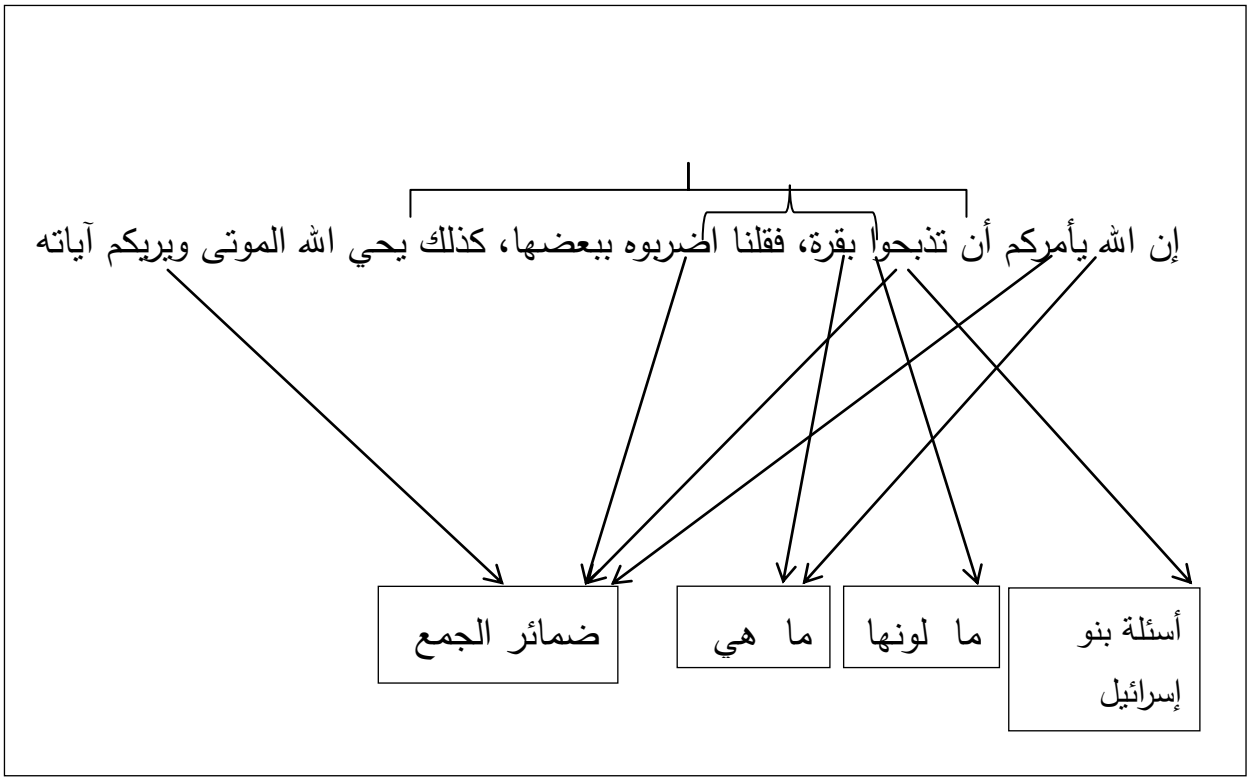

خـلاصـــة:

يقوم التجذير الإبستيمي بوظيفة تقريب صورة الخطاب وإفهامها للمتلقي بأبسط صورة، من خلال تلك الشخصيات المختلفة المشاركة في الخطاب بالإضافة إلى الزمان والمكان، إذا كان لهما علاقة علاقة وهدف في الخطاب، ويتضح ذلك من خلال الضمائر المختلفة والظروف بأنواعها، وأدوات التعيين تعريف وتنكير وتصاريف الفعل المظهرية والزمانية، إذ تنشئ أرضية الخطاب بالتدرج، يتواتر المعطيات وانسجامها.

3) المناويل الاستعارية:

تعتمد على المثال السابق نموذجا أبين فيه اشتغال المناويل الاستعارية في الخطاب القرآني. فهو منوال ذهني أو خطاطه ثقافية جماعية يتوفر فيها إطار متكامل تتحدد فيه العناصر بعلاقتها وانتظامها، وهو أداة من أدوات تنضيد الواقع والتجربة، كما يسمح بتأويل الأشياء والظواهر والوقائع.[1]

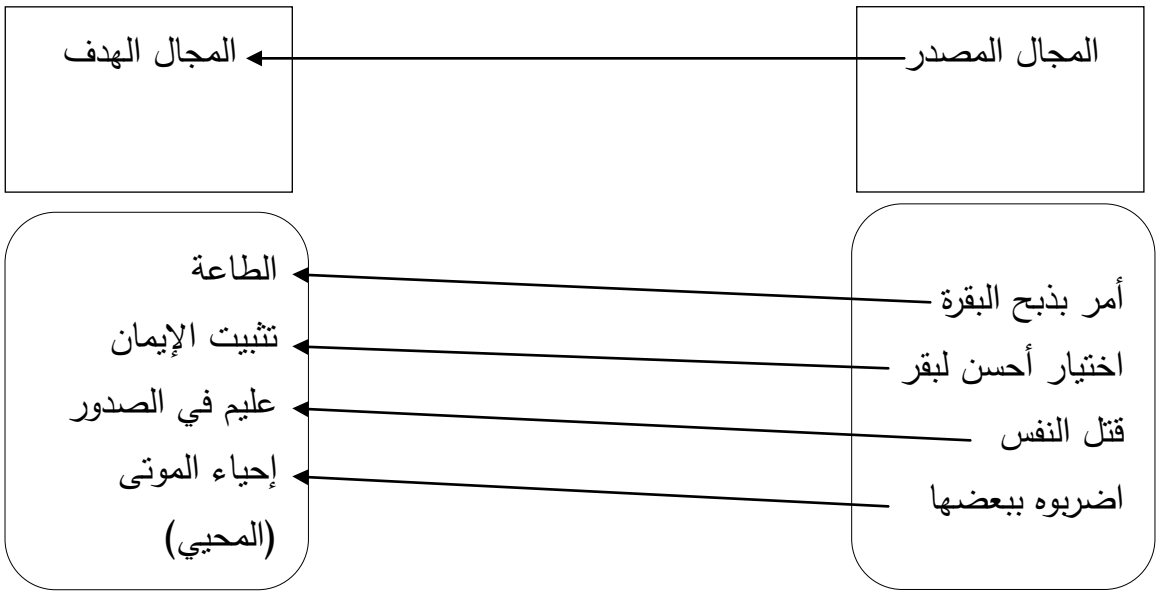

المنـوال المفتـاح فـي قصـة البـقـرة

[1] – الأزهر الزناد، المرجع السابق، ص: 250.

مثال المزج المفهومي في الآيات الأولى للمنافقين:

يقول الله تعالى: "ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمومنين... أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما رحبت تجارتهم وما كانوا مهتدين".[1] نعتمد في هذا التحليل على هذه الآيات التي تتحدث عن المنافقين كما يذكر أصحاب أسباب النزول: الواحدي والسيوطي مثلا.

يعتبر الفضاء المصدر المراؤون الذين يعتبرون خطرا يهدد الأمة الإسلامية في كل وقت وحين.

أما الفضاء الهدف هم: المنافقون، أما الأول فهو الفضاء الظاهر المعاين والمنطق البصري، أما الثاني فهو تمثيل ذهنيا، ذلك أن الذي يتراءى للعيان ومبصر هو المرائي بين الناس، ولكن صورته الذهنية منافق.

ولذلك يمكن نظريا أن يتبادلا الفضاءان موقعيهما، فيكون ما كان مصدرا هدفا، وما كان هدفا مصدرا بشكل قوامه التكافؤ والتطابق.[2]

المجال المصدر: المراؤون المجال الهدف: المنافقون

4) مظاهر التناسب بين الفضائين:

عدم الإيمان (تصديق قولي وجحود عملي): خداع، مكر المرض (ختم الله على قلوبهم: حقد، حسد بغض...)

-اللقاء مع المومنين بالكذب والاستهزاء)

-عدم الشعور بالذنب، والفساد الذي يلحقونه.

---

[1]- سورة البقرة، الآيات: 7-15

[2]- الأزهر الزناد، المرجع السابق.

-حسران المعاملات والعلاقات التي يردونها.

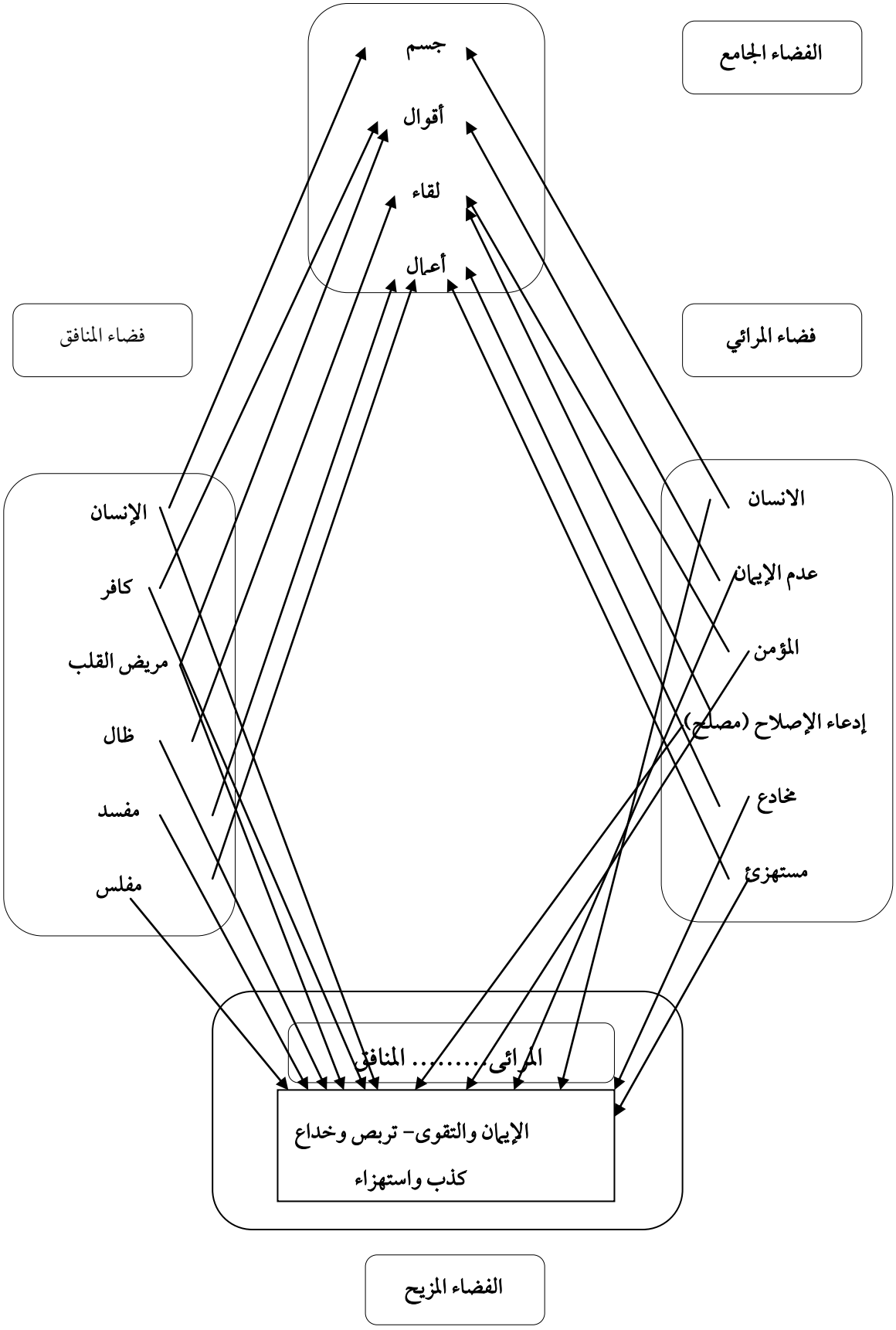

شبكة المزج المفهومي لآيات المنافقين

يتفق الفضاءات المصدر والهدف، بخصائص المميزة لكل منهما، لينتج لنا فضاء جامع بينهما يحتوي على جسم، أقوال، لقاء، أعمال...

وذلك من خلال فضاء المزيج والذي يحصل من خلال اجتماع السمات من الفضاءات المصدر والهدف فينشأ معنى جديد من التربص بالمؤمنين وخداعهم، يمد كل منهما الفضاء المزيج بجملة من السمات المتناسبة ليجتمعا فيه هذا الإنسان متذبذب العقلية، لا هو مؤمن ولا كافر يظهر الكفر، فتبني الصورة ذهنية لهؤلاء الأفراد المخادعين المرائين، فيجب إذن الحذر والتثبت من هؤلاء، وفي الوقت نفسه، لا تستطيع إطلاق لقب منافق عليهم فالحسيب والرقيب هو الله عز وجل.

المطلب الرابع: التعريف بسورة البقرة:

توطئة:

المقصود من هذه السورة: إقامة الدليل على هدى ليتبع فيه كل دال، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب، ومجمعُهُ الإيمان بالآخرة، ودارهُ الإيمان بالبعث.[1]

أما عن البيئة الاجتماعية فقد عاني الرسول ﷺ وأتباعه الاضطهاد والحصار من طرف قريش، التي صدت الدعوة الإسلامية، ومن ثم كان البحث عن قاعدة أخرى للدعوة تكفل لها الحرية والانتشار، فاتجه النبي ﷺ إلى الحبشة ثم إلى يثرب ثم إلى الطائف بحثا عن مكان آمن للدعوة، لكن كل محاولاته باءت بالفشل وبسبب تعنت أهلها وكبرائها، ولاقى من الويلات والأذى الكثير من سفاسف أهلها وصبيانها.

[1] – برهان الدين البقاعي الشافعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ط 1، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، 1987، ص: 9.

بعد ذلك فتح الله عليه وعلى الدعوة الإسلامية من حيث لا يحتسب، فكانت بيعة العقبة الأولى والثانية نصرا دبلوماسيا مؤزرا استطاع أن يقنع أهل يثرب ويتفاوض معهم، الإيمان مقابل الجنة، فدخل بعدها المسلمون في دين الله أفواجا تاركين عقائدهم وما يملكون وراءهم، وتوفر حينئذ للدعوة الإسلامية الأرض والأتباع، لينشر دين الله في كل المعمورة، مع العلم أن المدينة يقطنها اليهود أيضا الذين يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، وأنهم خير الأمم، لذلك جاءت السورة الكريمة محذرة المسلمين من مكرهم وخطرهم، وأنهم لا يؤمنون لا بالمادي الذي يرونه أم أعينهم ولا بالغيب، فهم قوم مرَدوا على الكفر والخداع.

فبدأ بأول السورة أوصاف الفئات الثلاثة للمجتمع العربي آنذاك، من مؤمنين ومنافقين وكفار بالتفصيل، وتفضح هؤلاء المخادعين الذين يمثلون خطرا على الأمة الإسلامية في كل عصر، وتبين لهم بالأدلة والبراهين ذلك، فليحذر هؤلاء العرب في حاضرنا من الذين ارتموا في أحضان اليهود والكفار من كيدهم وكرههم للإسلام.[1]

1) محاور سورة البقرة:

وقد حاول محمد بن عبد الله دراز أن يقسم سورة البقرة إلى مقاصد وأهداف في غاية الوضوح، حيث قال: إن سورة البقرة رغم صولها إلا أنها تتألف من مقدمة وأربعة مقاصد، وخاتمة على النحو التالي:

أ) المقدمة: وهي تحتوي الحديث عن القرآن الكريم وبيان ما فيه من الهداية.

ب) المقصد الأول: يتمثل في دعوة الناس كافة إلى الدخول في الإسلام.

[1] – ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص: 19 إلى 23.

ج) المقصد الثاني: دعوة أهل الكتاب، وخاصة بني إسرائيل لاعتناق الإسلام وترك ما يعتقدون به من باطل وانحراف.

د) المقصد الثالث: نجد فيها عرضا لشرائع الدين بالتفصيل كذكر الصيام، القصاص، الجهاد، أحكام تتعلق بالأسرة.

هـ) المقصد الرابع: الحديث عن الوازع الديني الذي يبعث على التمسك والالتزام بتلك الشرائع، ويبعد عن مخالفتها.

و) الخاتمة: وذلك في بيان صفات المحبين لهذه الرسالة، والدعوة الخالدة، ولهذه المقاصد والغايات، وبيان ما يُرجى لهم في دنياهم وآخرتهم.[1]

2) التحليل المفاهيمي لمحاور سورة البقرة:

وذلك من خلال خطاطة الربط التالية:

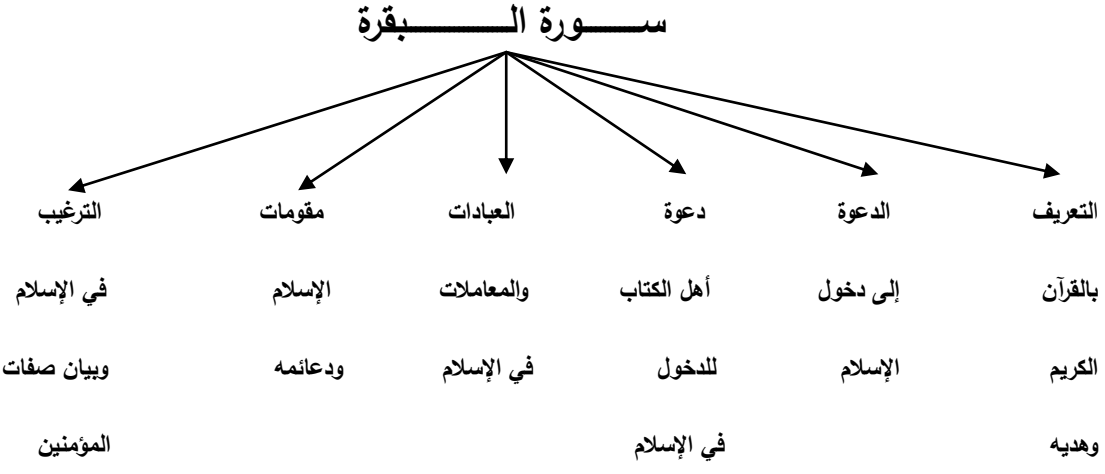

[1] محمد بن عبد الله دراز، النبأ العظيم– نظرات جديدة في القرآن الكريم، ص35.

أنزل الله تعالى آياته للناس من خلال أنبيائه ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ونبي الله موسى الذي بُعث إلى قوم بني إسرائيل ، حاول معهم بشتى الطرق والوسائل ليثنيهم عن عبادة العجل، والتمسك بكتاب الله، فلم ينفعهم ذلك إلا زيادة في الكفر، وخلف من بعدهم خلفٌ اتبعوا آباءهم وأجدادهم فلم يؤمنوا فجاء القرآن الكريم ليحذرنا منهم، وعدم إتباعهم، وتبين السورة كذلك مدى الاهتمام، وتوفي أسباب الإيمان وتقوى الله سبحانه وتعالى من خلال إتباع كتابه، وبما جاء به الرسل، وفعل الخيرات المتنوعة من عبادات ومعاملات.

المبحث الثاني: تحليل الدلالة المفاهيمية للمفاهيم القرآنية.

توطئة:

نشأ الإنسانُ منذ القديم على حبّ الأقوى واتّباعه، فعبد الشمس والقمر والنار والكواكب والأنهار واتّخذها آلهة له، ثم عبد أصنافا من الحيوانات الضّخمة كالبقر، ويتخذ طقوسا جمعية لتحقيق المشاركة والتعبير عن وجدانه.

المطلب الأول: عقائد الأقوام السابقة

1- في الفكر الهندوسي: يعدّ التفكير والإيمان بالله في الديانة الهندوسية من أهمّ العقائد، إلا أن هناك مدرستان مختلفتان تمام الاختلاف هما: النزعة الوحدانية والنزعة التعددية، وإن كانت هذه الأخيرة أقوى وأكثر انتشارا[1].

[1] أحمد شلبي، مقارنة الأديان، أديان الهند الكبرى، ط2، مكتبة النهضة، 1987، ص: 51.

فهذا التّعدّد عندهم مبلغ كبير كالماء والنار والأنهار والجبال وغيرها، وكانوا يدعون تلك الآلهة لتبارك لهم في ذريتهم وأموالهم من المواشي والغلال والثمار، وتنصرهم على أعدائهم[1]. وعندهم الميل إلى توحيد الآلهة فيقبلون عليه بكل قواهم وعواطفهم، فقد جمعوا الآلهة في إله واحد في القرن التاسع قبل الميلاد، واعتبروه مخرج العالم من ذاته، وهو الذي يحفظه ثم يهلكه ويردّ إليه، وأطلقوا عليه ثلاثة أسماء، فهو (براهما) من حيث هو موحّد، وهو (فشنوا) من حيث هو حافظ، وهو (سيفا) من حيث هو مهلك[2].

2- في الديانة المصرية القديمة: كان دائما تعدد الآلهة السمة البارزة للأمم والشعوب القديمة، فقد تأثر المصريون بالطبيعة الجغرافية التي كانوا يعيشون فيها، وبخصوبة أراضيهم، فعبدوا الشمس ونهر النيل ونجمة الشعرى.

فنجد الإله (رع) أساس قوة الشمس في مجمّع الآلهة، وإله السماء (خوريس) الإله الصقر الذي يعني اسمه الكاهن البعيد، وهناك آلهة أخرى التي اعتقدوا أنها تساعد الموتى ومنها (أنوبيس، سوركاريس، خنتمانيس)، وهناك آلهة أخرى على شكل بشر، مثل الإله (مين، بتاح في منف، والإله أتوم في هليوبوليس والإله أمون في طيبة) وكذلك إله الموتى (أوزيس). إضافة إلى تقديسهم للثور والعجل [3] وتجسيمهما للعبادة. فهم يؤمنون بتجدد الحياة بعد الممات، فنجدهم يعتنون بموتاهم، ويقدّسون الفرعون الذي تحوّل إلى إله بسبب مدّ العون لهم، فكانت الغلال وخيرات البلاد ترجع إليه[4].

---

[1] رشدي عليان، وسعدون الساموك، الأديان دراسة تاريخية مقارنة، ط 1، (دت)، ص: 134.

[2] إبراهيم مدكور، دروس في فلسفة التاريخ، ط 1، (د ت)، ص: 12.

[3] جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ط 1، تر: إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة كتب ثقافية، الكوت، 1993، ص: 40- 41.

[4] المرجع نفسه، ص: 41.

وباءت كل المحاولات لتوحيد الآلهة خاصة مع أمنحوتب الرابع القائد الشاب مع تفتت الفراعنة أمامه.

3- العقيدة عند اليهود : انتقلت الثقافة الوثنية إلى بني إسرائيل من خلال إقامتهم عدة قرون في مصر، فنقلوها إلى أجيالهم الأخرى، فسلكت الفلسفة الوثنية والنظرة الوثنية اللاهوتية إلى ثوراتهم، فنجدهم قد أضافوا صفات غير أخلاقية لله تعالى، وكذلك تصوير (يهوه) وكأنه إله بني إسرائيل فقط وليس ربا للعالمين كما كان اعتقاد الفراعنة المصريين بآلهتهم[1].

وكذلك نقلهم عبادة العجل المسمى الإله هاثور عند المصريين إلى ديانتهم، حيث كان العجل رمزا لعبادة الشمس، فتأثر اليهود به باعتقادهم أنها تجلب القوة والرزق[2].

وإذا بحثنا عن تطور الآلهة عند اليهود نجدهم قد عبدوا الإله يهوه الذي يدل كذلك على الخصب، ثم تطور الأمر إلى العجل، ثم استغنوا عنه وأبقوا على القرون ومازالوا يرسمون القرون على الهياكل إلى ما بعد التوحيد، ثم اكتسب يهوه صفات الشمس بعد ذلك، وكان اليهود يعبدونه ومعه سبعة آلهة أخرى هي: السيارات السبعة، فلما ارتقوا إلى التوحيد أفردوه بالألوهية[3].

---

[1] أحمد ديدات، الله في اليهودية والمسيحية والإسلام، ط 1، دار المختار الإسلامي، القاهرة، ص: 21.

[2] محمد بن حسن المبارك، الروافد الوثنية للثقافة اليهودية http://www.saaid.net/ 28 جانفي 2020على 10:00 صباحا.

[3] سلامة موسى، نشوء فكرة الله، ط 1، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012، ص: 26.

4- عقيدة العرب في الجاهلية : مما يجب ملاحظته أن الشعر الجاهلي الذي أمدّنا بفيض من معارف قيمة عن الجاهلية القريبة من الإسلام، لم يمدّنا بشيء مهمّ عن الحياة الدينية عند الجاهليين، فكأنه أراد مجاراة من دخل في الإسلام من التنصّل من أيام الجاهلية ومن التبرّؤ، ومن غضّ النظر عن ذكر أصناه حرّمها الإسلام[1].

فالعرب قبل الإسلام مثل سائر الشعوب الأخرى تعبّدوا الآلهة، وذكّروا في وجود قوى عليا لها عليهم حكم وسلطان، فحاولوا كما حاول غيرهم التقرّب منها واسترضائها بمختلف الوسائل والطرق وضعوا لها أسماء وصفات.

فمنهم من آمن بالله وآمن بالتوحيد، وكان منهم من آمن بالله ويعبد الأصنام زاعمين أنها تنفع وتضرّ، وكان منهم من دان باليهودية، وآخرون بالنصرانية، ومنهم من دان بالمجوسية، ومنهم من توقف فلم يعتقد بشيء، ومنهم من تزندق[2].

هذه الأصنام التي جلبت من الشام من طرف عمرو بن لحي الأزدي منها: إساف ونائلة عند باب الكعبة، الأقيصر عند مشارف الشام، ذو الكفين: صنم بدوس، وهناك أيضا سواع، عائم، العزى، اللات، مناة.... [3].

يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾[4].

فهذه الشعوب اعتبرت الإله بعيدا جدّا، ويعيش في عالمه غير آبه بالناس، ولذا فإنها تتوسّل إلى آلهة أقرب إليها وأكثر دينامية[1].

---

[1] جواد علي، المفضّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط 2، بيروت، لبنان، 1993، ص: 12.

[2] المرجع نفسه، ص: 1227.

[3] شوقي أبو خليل، أطلس القرآن: أماكن أقوام أعلام، ط 1، دار الفكر المعاصر، سوريا، 2000، ص: 161.

[4] سورة نوح، الآية، 71.

وتؤكّد الأخبار أن نشأة الشرك تعود إلى ما كان من تعظيم العرب الشديد للكعبة والحجّ إليها والطواف بها، وبضعف معتقدهم استحسنوا الحجارة التي كانوا يعبدونها والانحراف الذي أصاب دينهم.

المطلب الثاني: مفهوم لفظ الجلالة "الله" (الأسماء الحسنى).

توطئة:

تروم الدراسة الصوتية للمفاهيم القرآنية اسكناه معاني أصوات حروفها، وهذا ما درسه أهل العربية القدامى ورأوا أن المادة الصوتية في الحروف العربية لها أثر في استدعاء المعنى أو الإيماء به، واستدعاء مشاعر خفية وصور مدخرة، وخطرات خيال. وذلك من خلال تحديد صفات الأصوات المختلفة من مجهور ،ومهموس، وشديد، ورقيق... إلخ، وعلاقتها بمدلولها الذي حدده العلماء. والأخذ بعين الاعتبار "السياق"؛ فهو المسؤول عن تحديد الدلالة.

يقول محمد مفتاح: إن السياق العام والخاص هو معيار تحويل المعنى للصوت، ومهما يكن الأمر فإن السياق بمعنييه هو الحكم والفصل، فليس للأصوات دلالة جوهرية.[2]

---

[1] فراس السواح، دين الإنسان، ط 4، دار علاء الدين، سوريا، 2002، ص: 222.

[2] محمد مفتاح، دينامية النص – تنظير وإنجاز، ط01، المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، 1987م، ص62.

1) التحليل الصوتي لمفهوم اسم الجلالة "الله":

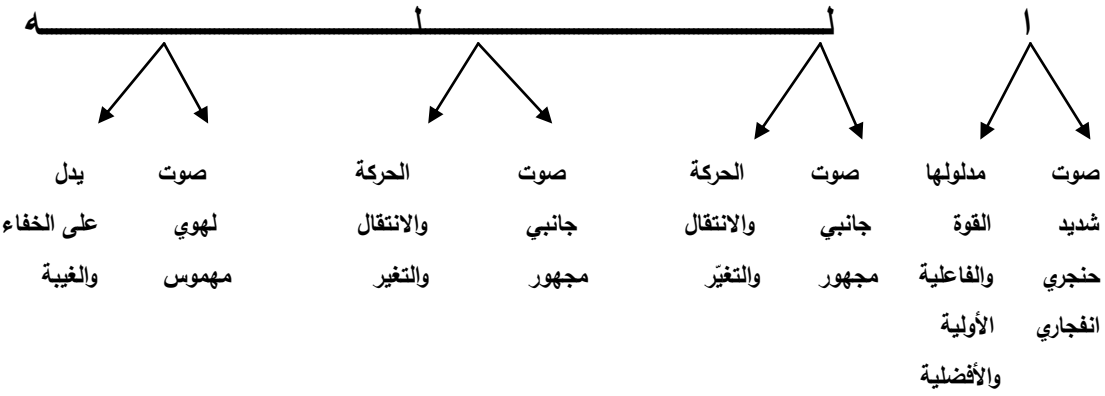

ولابن القيم ملحظ لطيف في التنبه إلى العلاقة بين أصوات لفظ "الله" ومعناه، حيث يقول: الحكمة في وجود الألف في أوله أنها من أقصى مخارج الصوت الحنجرة، قريب من القلب الذي هو محل المعرفة إليه، ثم (الهاء) في آخره مخرجها من هناك أيضا، لأن المبتدأ منه والمعاد إليه، والإعادة أهون من الابتداء. وكذلك لفظ الهاء أهون من لفظ الهمزة؛ لأن الهاء احتكاكية والهمزة انفجارية.[1]

وكذلك صوت اللام المضعّف الذي يدل على التغير من حال إلى حال، إضافة وتأكيدا لاتصاله بألف المد الذي يدل على قدرة الله؛ يقول للشيء كن فيكون.

أ) التّواب الرّحيم:

اقترن هذان الاسمان في أواخر الآيات من سورة البقرة في أربعة مواضع في الآيات التالية:

- يقول الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[2].

---

[1] ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، ج03، ص130.

[2] – سورة البقرة الآية 36.

- ويقول أيضا: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[1].

-ويقول أيضا: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[2].

- ويقول أيضا: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[3].

ترسم لنا الآيات صورة تاريخية بديعة مرتبة ابتداء من سيدنا آدم عليه السلام مرورا وتذكيرا بقوم إسرائيل واستكبارهم وكفرهم بالله إلى دعاء نبي الله إبراهيم وصولا إلى العصاة من كافة الناس.

إذا تأملنا الآيات السابقة وجدنا أن التوبة موضوع أساسي فيها فمن توبة الله على أبينا آدم، إلى التوبة على الكفر الذي ارتكبه بنو إسرائيل إلى دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام، وختمتها الآية الأخيرة إلى كل العصاة الذين يعودون إلى الله فإن الله رحيم تواب على عباده المنيبين إليه، فهذه التوبة من كمال رحمته بعباده وهي من رحمته وتوفيقه يختص برحمته من يشاء، وفيه حث إلى المسارعة والعودة إليه مهما بلغت الذنوب والمعاصي، فالتواب صفة مبالغة، كلما زاد الذنب ورجع يقبل الله توبة العبد فلا يضيع أجره ولا يتغافل عن توبته، ولا يعجل بالعقوبة بل أبوابه وخزائن رحمته مفتوحة.

---

[1] – سورة البقرة الآية 53.

[2] – سورة البقرة الآية 127.

[3] – سورة البقرة الآية 159.

ب) واسع عليم:

اقترن هذان الاسمان في أواخر السورة الكريمة في أربعة مواضع وهي:

يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]، ويقول أيضا: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[2]، وقال أيضا: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[4].

واسع: قال الحليمي معناه الكثير مقدوراته ومعلوماته، والمبسط فضله ورحمته، وهذا تنزيه له من النقص والعلة، واعتراف له بأنّه لا يعجزه شيء... ورحمته وسعت كل شيء.[5]

وقال ابن جرير في معنى "واسع عليم" يسع خلقه كلهم بالكفاية والأفضال والجود والتدبير، وعليم يعني عليم بأفعالهم لا يغيب عنه منها شيء بل بجميعها عليم.[6]

---

[1]– سورة البقرة الآية: 114.

[2] – سورة البقرة الآية: 245.

[3] – سورة البقرة الآية: 260.

[4] – سورة البقرة الآية: 267.

[5] – حلمي محمد فوده، المنهاج في شعب الإيمان، ج1، ص198.

[6] – الطبري، جامع البيان، ج1، ص403.

فهذان الاسمان اقترنا لبيان سعته وعطائه، وأعطى مثالا بطول المشرق والمغرب وبشساعتهما فهو محيط واسع القدرة والملك، فلا يقنط المؤمن بل كل هذه بشارات وتفاؤل خير له من خلال الزيادة في العلم ما يشاء فحدود لا محدودة بعلمه وسعة قدرته.

وذك الإنفاق فلا يعلم أجره إلا دلالة على أهمية الصدقة في الدين الإسلامي مما تزيد في تحدي التآلف والرحمة بين الناس، وذكر في آخر آية أن الرحمة والفضل يختص بهما الله وحده فهو واسع عليم بعباده، كثير الهبات والرحمات والخيرات وليس لذلك إلا إياه.

ج) العزيـز الحكيـم:

اقترن هذان الاسمان في أواخر الآيات من سورة البقرة في الآيات الآتية:

يقول الله تعالى: "ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم".[1]

يقول الله تعالى: "فإن زللتم من بعد ما جاءكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم".[2]

ويقول الله تعالى: "ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم".[3]

ويقول أيضا: "والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء... والله عزيز حكيم".[4]

---

[1] – سورة البقرة، الآية: 128.

[2] – سورة البقرة، الآية: 208.

[3] – سورة البقرة، الآية: 219.

[4] – سورة البقرة، الآية: 227.

ويقول أيضا: "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا... والله عزيز حكيم".[1]

ويقول الله تعالى: "وإذ قال إبراهيم ربِّ أرني كيف تحيي الموتى... واعلم أن الله عزيز حكيم".[2]

العزيز:

العزّ: خلاف الذل، وهو في الأصل القوة والشدة والغلبة، والعز والعزة الرفعة والامتناع، قال الزجاج: العزيز هو الممتنع الذي لا يغلبه شيء، وقال غيره: هو القوي الغالب، وقيل هو الذي ليس كمثله شيء.[3]

جاء اقتران الاسمين في الآيات مختلفا ففي الآية الأولى في دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام إشعارا بقدرة الله سبحانه وتعالى، أما في الآية الثانية والخامسة فكان في معرض التهديد والوعيد بين العدل عن الحق بعدما تبين له، فإن العزيز الحكيم، إذ عصاه العاصي عن علم قهره بقوته فختم بهذا الاسمين الدالين على كمال العزة والحكمة.

أمّا الآية الثالثة ففيها ترغيب بالإصلاح والرأفة باليتامى، أما في الآية الرابعة اقترن الاسمان لبيان أن الله سبحانه وتعالى عزيز في انتقامه ممن عصاه وخالف أمره وشرعه وقدره.[4]

نستنتج من اقتران الأسماء الحسنى في أواخر آيات السورة الكريمة في خمس وثلاثين آية، فضلا عن الأسماء الحسنى التي جاءت منفردة أو مجتمعة في مواضع أخرى من السورة مما يزيد من شرفها وفضلها، وهذا ما يزيد الإنسان معرفة بالله سبحانه وتعالى، ويزداد خشية وحبا له، وبالتالي يبتعد عن معصيته ويجتهد في طاعته.

---

[1] – سورة البقرة، الآية: 239.

[2] – سورة البقرة، الآية: 259.

[3] – ابن منظور، لسان العرب، ط 1، دار صادر، ج 5، بيروت، (د ت)، ص: 374.

[4] – ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ص: 272.

وتفيد هذه الأسماء في كمال الله سبحانه وتعالى وقدرته.

المطلب الثالث: مفهوم لفظ الإيمان.

يُعتبر مفهوم الإيمان في السورة الكريمة من أكثر المفاهيم تواردا، إذ وصل تواردة إلى ثمانية وسبعين مرة بكل تصاريفه المختلفة وتراوحت بين: (يؤمنون، مؤمنون، الإيمان، آمنوا) فكان التوارد بنسبة كبيرة في الآية 221 بأربع صيغ، وكذلك من أكثر الآيات تواردا فيه هذا المفهوم فكان في الآيتين 13 و 91 ونهاية السورة 285. وكأنها خلاصة وبشارة خير يجدها المؤمن حين اتّباعه وطاعته لله عز وجلّ في كلّ ما شرع، وذكر بنعمة الله وشكر، واتّعظ بكل ما سبق من قصص البشر.

وهذه مواضع الصيغ المختلفة في السورة الجليلة: (3، 4، 7، 8، 12، مكررة (4)، 24، 25، 40، 55، 62 مكررة، 74، 75 مكررة، 81، 85، 88، 91 مكررة، 93 مكررة، 97، 100، 103، 105، 108، 120، 135، 136 مكررة، 142، 152، 164، 176، 177، 182، 185، 206، 210، 211، 212، 216، 219 مكررة، 221، 246، 247، 252، 255، 256، 257، 263، 266، 276، 277 مكررة، 281، 282 مكررة، 284 مكررة(3)).

وأذكر بعض الأمثلة على ذلك: يقول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[1].

[1] سورة البقرة، الآيات: من 2- 4.

ويقول تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّـهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّـهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّـهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[3].

1) مفهوم الإيمان:

أ) الإيمان لغة:

يذكر الخليل في العين في مادة أمن: الأمن: ضدّ الخف.

والفعل منه: أمن يأمن أمنا. والمأمن: موضع الأمن.

والأمنة من الأمن: اسم موضوع من أمنت، والأمان: إعطاء الأمنة.

والأمانة نقيض الخيانة. والإيمان: التصديق نفسه، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾[1]. أي بمصدّق، والتأمين من قولك: آمين، وهو اسم من أسماء الله.

---

[1] سورة البقرة، الآية: 13.

[2] سورة البقرة، الآية: 91.

[3] سورة البقرة، الآية: 285.

وناقة أمون، وهي الأمينة الوثيقة، وهذا فعول جاء في معنى المفعول، ومثله: ناقة غضوب[2].

نجد أن الخليل في هذا التعريف اللغوي يذكر أن الإيمان من الأمن وهو ضدّ الخوف، وهو إعطاء الأمن، والإيمان هو التصديق. والأمين هو الوثيق.

أما عند الأزهري: الإيمان هو مصر: آمن يؤمن إيمانا، فهو مؤمن.

واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه: التصديق، وقال النضر: قالوا للخليل: ما الإيمان؟ فقال: الطمأنينة. قال: وقالوا للخليل: تقول أنا مؤمن؟ قال: لا أقوله. وهذا تزكية. وقيل: المؤمن: الذي آمن أولياؤه عذابه.

قال ابن الأعرابي: وقيل المؤمن: الذي يصدق عباده ما وعدهم[3].

فنجد أن الأزهري يتوافق في تعريفاته مع الخليل في مفهوم الإيمان الذي يدور حول التصديق قولا وعملا، وكذلك الطمأنينة، وهي راحة وسلامة في القلب، ويذكر الفروق بين المؤمن والمسلم نذكرها في حينها.

أمّا الفيروز آبادي فيذكر في مادة أمن: الأمن والآمن كصاحب ضد الخوف، أَمِنَ كفرح، أمنا وأمانا، بفتحهما، وأمنا وأمنة محرّكتين، وإمنا بالكسر، فهو أمن وأمين كفرح وأمير. ورجل أمنية، كهمزة ويحرّك: يأمنه كل أحد في كل شيء... مأمون به ثقة...

---

[1] سورة يوسف، الآية: 17.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 2003م، ص: 1567.

[3] أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، ط 1، ج1، مادة أمن، ص: 413 إلى 517 .

وناقة أمون: وثيقة الخلق. وأعطيته من مالي: من خالصه وشريفه، والأمّان: من لا يكتب لأنه أمّي، و ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[1] أي الفرائض المفروضة[2].

يسهب الفيروز آبادي والأزهري في شرح مفهوم الإيمان، والمتتبّع لذلك يجد أنها يقرّان أنه تصديق قولي وعملي، حينما يذكران: الأمانة والثقة والتصديق والطمأنينة وإظهار الخضوع وقبول الشريعة، ويفرّقون بين المؤمن والمسلم. على أن الإيمان تصديق قولي وعملي، ويذكر أنّ المنافق الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان.

أمّا في الوجوه والنظائر لعبد الرحمن الجوزي يذكر في باب الإيمان: الإيمان في اللغة: التصديق، ويطلق في الشرع على ثلاثة أشياء: الإقرار باللسان والاعتقاد بالقلب والعمل بالأعضاء. وذكر بعض المفسّرين أن الإيمان في القرآن على خمسة أوجه: التصديق، الإقرار باللسان من غير تصديق القلب، التوحيد، الإيمان الشرع، الصلاة، وقد ألحق آخرون الدعاء[3].

يذكر عبد الرحمن الجوزي مفهوما مطلقا عاما للإيمان ألا وهو التصديق، ولم يشرحه وذكر معانيه في القرآن الكريم التي هي ستة.

أما في مقاييس اللغة لابن فارس: أمن: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق... والعرب تقول: رجلٌ أُمّانٌ إذا كان أمينا... وبيت آمن ذو أمن[4].

---

[1] سورة الأحزاب، الآية: 72.

[2] محي الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص: 74.

[3] جمال الدين أبي فرج عبد الرحمن بن الحوزي، نزهة الأعين، النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص: 146.

[4] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ص: 71، 72.

أما في لسان العرب فيذكر ابن منظور: أمن: الأمان: والأمانة بمعنى: وقد أمنت فأنا أمن، وآمنت غيري من الأمن والأمان، والأمن: ضدّ الخوف. والأمانة ضدّ الخيانة والإيمان ضدّ الكفر... ضدّ التكذيب وهو بمعنى التصديق... وفي الحديث: الأمانة غنى أي سبب الغنى... والتاجر الأُمّان (بالضمّ والتشديد) هو الأمين، وقيل: هو ذو الدين والفضل[1].

تتفق جميع المعاجم العربية في أن مفهوم الإيمان هو التصديق الظاهر والباطن، ويتّصف صاحبه بالثقة والأمان والطمأنينة يجدها في قلبه، فهو بعيد عن الخيانة والنفاق والكذب، وهذه أعمال وترجمة للسان، ولم أجد شرحا للمفهوم في هذه المعاجم المذكورة على الأقل فيه مفهوم الإيمان في الجاهلية.

ويبدو أن الكلمة تطورت في معناها من الأمن ضدّ الخوف أولا ثم إلى الأمانة ضدّ الخيانة، ثم إلى الإيمان بمعنى التصديق... فارتبط الإيمان بالصدق ارتباطا سلوكيا حتى صار كأنما هو معناه[2].

ب) الإيمان اصطلاحا:

التعريف المختار والمتّفق عليه إلى حدّ كبير للإيمان عند أهل الحديث هو أن:
الإيمان قول وعمل يزيد وينقص [3]، والقول والعمل سببان ونظامان وقرينان، لا تفريق بينهما، فلا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بالإيمان[4].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص: 164.

[2] عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ط1، الأردن، ص: 255.

[3] عبد الله بن الزبير الحميدي، أصول السنة، ط1، الآثار، القاهرة، 2013، ص: 05.

[4] المريني، شرح السنة الجامع الفريد في متون العقيدة والتوحيد، ص: 19.

وذلك متعلّق بالنية والاعتقاد الصادقين بالله وبما شرّع لعباده من تعاليم وأحكام وعبادات لابدّ أن تتبع كما أمر.

وكان أحمد بن حنبل يرى ما ذكرنا إضافة إلى أهمية العمل في الإيمان، إذ يذهب إلى أنّ [1]: الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالقلب، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويقوى بالعلم ويضعف بالجهل، وبالتوفيق يقع، وأن الإيمان اسم يتناول مسميات كثيرة من الأفعال والأقوال والذكر والحديث، عن النبي ﷺ قال: (الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلى الله وأدماها إماطة الأذى عن الطريق) وعنده أن الصلاة يقع عليها اسم إيمان وقراءة القرآن يقع عليها اسم إيمان[2].

وهذا ما دافع عنه ابن تيمية بشكل صارم، ويعدّه من أصول أهل السنة والجماعة، ويرى أنّ الدين والإيمان قول وعمل مع التوضيح أن المقصود بالقول والعمل هنا قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح... [3].

فبهذا المعنى الجديد الذي يم يكن موجودا قبل الإسلام وأُحدث بسبب نزول القرآن الكريم ومجيء الإسلام، فالإيمان إذن قول وعمل؛ فهما شرطا الإيمان لا يحصل إلا بهما، ولا يكون العبد مؤمنا إلا إذا توفر الشرطان السابقان.

---

[1] فاتح محمد سليمان، التطور الدلالي لمصطلحات العقيدة، ط 1، دار الكتب العلمية، (د ت)، ص: 217.

[2] أحمد بن حنبل، العقيدة، ط 1، دار قتيبة، تح: عبد العزيز عز الدين السيروان، سوريا، 1408هـ، ص: 117.

[3] ابن تيمية، العقيدة الواسطية، ص: 133. .

2) خطاطة التحليل الصوتي:

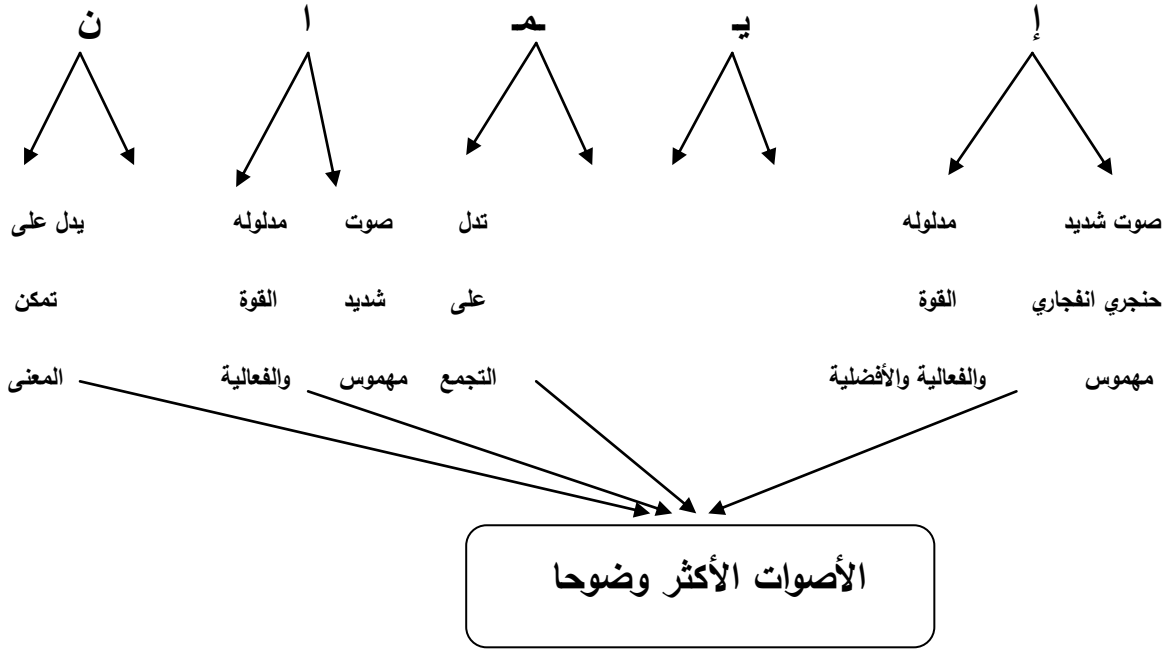

تعتبر أصوات هذا المفهوم أكثر سهولة ووضوحا في النطق، وأكثرها إيقاعا ، فهذه الأصوات تُشهر بنفسها، إضافة للأصوات المفتوحة التي تدل على انتشار الصوت وارتفاعه مع ملاحظة أن هذه الأصوات هي الأكثر انتشارا في القرآن الكريم.

وامتازت هذه الأصوات بانسيابية لطيفة، وإيقاع جميل مع انعدام الأصوات الشديدة مما زاد ارتياحا في النفس.

3) التحليل الدلالي لمفهوم الإيمان في سورة البقرة:

المثال 01: يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّـهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

أ – **سبب النزول**: يذكر الواحدي: أن الأربع آيات من أول هذه السورة نزلت في المؤمنين، وآيتان بعدها نزلتا في الكافرين، وثلاث عشرة آية بعدها نزلت في المنافقين[2].

الناس: اسم جمع لا مفرد له من لفظه أصله الأناس للتخفيف حذفت همزته.

الواو: استئنافية، من الناس: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، من: اسم موصول وهو مبتدأ مؤخر، يقول: فعل مضارع، والفاعل هو، آمنا: فعل ماض، ونا: فاعل، وجملة آمنا: مقولة القول في محل نصب مفعول به، بمؤمنين: جار ومجرور [3].

ب – تفسير: هذا فريق آخر له ظاهر الإيمان وباطنه الكفر، وهو لا يعدو أن يكون مبطّن الشرك أو مبطّنا التمسك باليهودية، ويجمعه كله إظهار الإيمان كذبا.

وتقديم الخبر للتشويق، ومعرفة حالهم، إذ هذا النفاق يجمع: الكذب، الجبن، المكيدة...

فهؤلاء من أهل يثرب، وبعضهم من اليهود الذين أظهروا الإسلام... وعن ابن عباس أن المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كانوا ثلاثمائة من الرجال ومائة وسعين من الناس... ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[4] دالا على انتفائه عنهم في الحال، لأن اسم الفاعل

---

[1] سورة البقرة، الآية 07.

[2] أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، ط 1، دار الإصلاح، الدمام، السعودية، 1992، ص: 21.

[3] أحمد عبيد الدعّاس وأحمد محمد حميدان، إعراب القرآن الكريم، دار الفارابي، سوريا، دمشق، 2004، ص: 11.

[4] سورة البقرة، الآية 07.

حقيقة في زمن الحال... فما حصل معنى الإيمان حصول الاعتقاد بما يجب اعتقاده، وحاصل معنى الإسلام إظهار المرء أنه أسلم نفسه لاتباع الدين. فالأعمال هي غاية من الإيمان والإسلام[1].

المثال 02: يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[2]

عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام وأصحابه، وبذلك أنهم حين آمنوا بالنبي ﷺ قاموا بشرائعه وشرائع موسى... فقالوا إنا نقوى على هذا وهذا، وقالوا للنبي ﷺ إنّ التوراة كتاب الله فدعنا فلنعمل بها، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[3]

على أن المؤمنين أمروا بأن يدخلوا في الطاعات كلها، وأن لا يدخلوا في طاعة دون طاعة، أو في شعب الإسلام وشرائعه كلها، وأن لا يدخلوا بشيء منها.[4]

أ- الصورة الذهنية: تجسيم المعنوي إلى مادي.

يصور لنا القرآن الكريم الصور الذهنية تدخل القلوب والعقول بكل عفوية وتلقائية، وتتخذ الكلمات في التشكيل شكلا دلاليا عضويا متميزا، بحيث تصبح الدلالات الحيثية والخيالية مشاهدة مرأى العين، فإذا كان السلم الذي هو شيء معنوي، الاستسلام والطاعة، ولكنه صورته لنا وشيئا ماديا محسوسا ومرئيا كالبيت أو الفضاء الشاسع يدخل إليه

---

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ط1، تونس، دت، ص: 262، 272.

[2] – سورة البقرة، الآية 208.

[3] – أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، ط 1، دار الاصلاح، السعودية، 1992، ص: 43.

[4] – أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: 124.

المؤمنون كافة ضيوفا كراما دعوة من الله عز وجل، فلا شك أنه فضاء للرحمة وللخير وصلاح حالهم مقتصر على الذين آمنوا به وصدقوه قولا وعملا، وفي المقابل نجد صورة الأعمال الشيطانية التي تضر المؤمن في دينه ودنياه، وكأنها تدرج واسترسال للوقوع في مصيدته، لذا يؤكد الله سبحانه وتعالى أنه عدو والعدو لا يرضى الخير لخصمه أبدا.

المثال 03: يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾[1].

أ- **سبب النزول:** نزلت في المنافقين كما يذكر الواحدي تناسب وترابط بين الآية 12 و13 بوجود أداة العطف الواو.

فهنا وصف ما كانوا يعملون مع المؤمنين وإيهامهم أنهم منهم ولقائهم بوجوه الصادقين، فإذا فارقوهم وخلصوا إلى وقادتهم خلعوا ثوب التستّر وصرّحوا بما يبطنون.

والمراد من الإيمان في قولهم: آمنا الإيمان الشرعي الذي هو مجموع الأوصاف الاعتقادية والعلمية التي تلقّب بها المؤمنون، كل ذلك مجرد قول لا بعقد القلب هنا وجه، وإذا عادوا إلى شياطينهم أظهروا الوجه الحقيقي[2]. يظهر من المتآلين أن الإيمان هو عمل بالقلب وتصديق بالجوارح بعمل الصالحات.

المثال 04: يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿6﴾ خَتَمَ اللَّـهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿7﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّـهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿8﴾ يُخَادِعُونَ اللَّـهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿9﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّـهُ

[1] سورة البقرة، الآية 13.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، المرجع السابق، ص: 290.

مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿10﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿11﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿12﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿13﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿14﴾ اللَّـهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿15﴾ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿16﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّـهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿17﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿18﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّـهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿19﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّـهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّـهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿20﴾[1].

أ- **سبب النزول** : يذكر الواحدي أن الأربع آيات من أول هذه السورة نزلت في المؤمنين وآيتان بعدها نزلتا في الكافرين وثلاث عشرة آية بعدها نزلت في المنافقين[2].

فإذا كان ما صدق من الآيات في الكفار زمن رسول الله ﷺ أمثال أبي لهب وأبي جهل والوليد ابن المغيرة وأضرابهم كما يذكر ذلك، فإن مفهوم الآيات عام لكل كافر ومنافق بالله جحود بسائر نعمه، فاللعنة والختم على القلوب وكل الحواس مصيره، زاد تأكيد ذلك أنّ حرف التوكيد في بداية الآيات عنوانا بارزا لاشكّ فيه.

---

[1] سورة البقرة، الآية من 6 إلى 20.

[2] أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، ط1، دار الإصلاح، الدمام، السعودية، 1992، ص: 21.

تكشف هذه الآيات عن طبيعة الكافرين والمنافقين، وترسم لهم صورة حسّية غاية في التجسيم والتجسيد، وتبيّن خطورة الجرم الذي وقعوا فيه عن قصد وتعمّد منهم وكان لهم أن يهتدوا لكنهم فضلوا أن يلعبوا هذا الدور الضال، وتبين كذلك سبب عنادهم ومظاهر ذلك، فالختم مثلا للصندوق لكن الله تعالى ذكر ختم القلوب فهي سبب كل المصائب، فهي لا تستفيد من نفحات وعبير الإيمان، ومن هدي الكتاب حسدا وبغضا من عند أنفسهم، وكذلك الجوارح من سمع وبصر، فهو مساعدا القلب ومحركاه، فكل هذه الأعضاء في الحقيقة عطّلها أصحابها عمدا فزادها الله ختما وإغلاقا ولعنا، فهم لا يستجيبون لنداءات الإيمان من الله ورسله من الناس، استهزاء وتكبّرا فزاد هذا الصندوق مرضا على مرض.

يقول ابن كثير: فتشبّثهم في شرائهم الضلالة بالهدى وصيرورتهم بعد البصيرة إلى العمى، بمن استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها، وتأنس بها وأبصر ما عن يمينه وشماله...، فبينما هو كذلك إذ انطفأت ناره وصار في ظلال شديد، لا يبصر ولا يهتدي، فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضا عن الهدى، واستحبابهم الغي عن الرشد، وفي هذا دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا، لذلك ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات الشرك والكفر والنفاق لا يهتدون ولا يعرفون طريق النجاة[1].

ب- الصورة الذهنية: التجسيم بالحركة.

وتتواصل المشاهد المرعبة لهؤلاء القوم الذين كذّبوا وجحدوا وستروا الحق، فيجعلون أصابعهم في آذانهم خوفا ورعبا من تلك الصواعق والأمطار الشديدة والسحاب الداكن يغطّي الكون، وبرق ورعد ترتجف قلوبهم وعقولهم، هل من منقذ، هل من مجيب ترتفع الصيحات، تتداخل الأصابع في الآذان والأسماع تكاد تخترقها... فهذه الصور الحيّة،

[1] ابن كثير، المرجع السابق، ص180.

تزيد المؤمن يقينا بالله ورهبة منه، وتصور أحوال المنافقين والكافرين، وهي طريقة القرآن العجيبة التي تجسّم أحوال النفوس كأنها مشهد محسوس.

إنّ خواء القلب سرعان ما يبين ويظهر وينكشف هذا المستور، فها هو المطر يتساقط غزيرا على الحجر الأملس، ويتلاشى التراب ويضيع، ويبدو في مجال الرؤية، هذا الحجر في قساوته وحجريته وجدية، كما ينكشف القلب، فلا ثمر ولا جزاء ولا مثوبة.

فدلّ المنّ على نفسية المرائي وخداعه لتضاف إلى الناس لتوضح النفسية المرائية، فإذا كان ما صدق الآية هو عدم المنّ والأذى في الصدقات عامة مادية أو معنوية.

فإنّ مفهوم الآية هو أنّ المؤمن الذي يمنّ ويؤذي بصدقاته يخرجه الله من الإيمان الذي كان فيه على الإطلاق لأنه فعل ذلك حبا للشهرة والمكانة كلمعان الحجر يغسل بالمطر، فلا يستفيد شيء من ذلك ولا يهديه الله وهم من الكافرين.

فالإيمان إذن هو الإخلاص لله في القول والعمل، فعمل الصالحات الخالصة لله من شروط الإيمان.

ثمّ يقابل هذه الصورة المجسّمة يلازمها المفاهيمي مباشرة، فالإيمان يتسيّد المشهد كله، الإيمان الذي يملأ القلب، إنه القلب المتحرّك النابض ظاهرا وباطنا.

إنّها الجنة الخصبة المثيرة، قائمة على ربوة عالية، يتساقط المطر عليها فتتفتح المسام ليتغلغل إلى الأعماق، بل إن الرذاذ وحده كاف للحياة، كما تحيي الصدقة قلب المؤمن فيزكو وتزداد صلته بالله، ويزكو ماله كذلك، ويضاعف له ما يشاء، هكذا توضح الصورة المجسّمة لقارئ القرآن عامة بين صورتين: الأولى كانت النفس كالحة خاوية، فارغة منقسمة على نفسها، وفي الثانية كانت النفس عامرة بالإيمان ثبتها سبحانه وزادها من خيره ونعمه.

إنّ الدلالة المفاهيمية هنا هي أن الصدقة برهان تكشف عن حقيقة الإيمان الصادق تلك النفس التي تبحث عن مرضات الله، فالصدقة إذن تدعيم للإيمان وتثبيت تدلّ على صدق سريرة صاحبها بأنه مؤمن حق الإيمان بالله وبكل ما أنزل.

المثال 05: يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّـهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [1].

الصبر: حبس النفس على احتمال المكاره، وتوطيدها على تحمّل المشاقّ، وتجنّب الجزع.

والمعنى: يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر استعينوا على إقامة دينكم والدفاع عنه، وعلى فعل الطاعات وترك المعاصي بالصبر الجميل والصلاة المصحوبة بالخشوع والإخلاص والتذلل للخالق، فالإيمان الذي خالط قلوبكم يستدعي منكم القيام بالمصاعب واحتمال المكاره، ولقاء الأذى[2].

أ- الصورة الذهنية: التجسيم من خلال وصف المعنوي بالمحسوس.

تُصوّر لنا الآية الكريمة الصبر والصلاة كمعينين وأداة محسوسة، يعتمد عليها المؤمن في حياته، رغم كونهما من العبادات المعنوية خلقا وعبادة، رغم ذلك فهما شاخصان أمام الصابر المصلي، يقدّمان له العون مادام متمسّكا بهما.

فساهم هذا التقريب المحسوس من خلال المعنوي بتقريب الفكرة لذهن المؤمن والقارئ عموما، لما لهما من دور في حياته، فهما من عماد الدين وركائزه.

هذه بعض الدلالات المفاهيمية لمفهوم الإيمان، وما يتصل بالموضوعات التي قرنت به، زيادة لفهم المعنى:

---

[1] سورة البقرة، الآية: 152.

[2] محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، ط 1، دار المعارف، المعهد الأول، القاهرة، 1992، ص: 311.

الآية	الماصدق	المفهوم
2 إلى 4 5-6	صفات المتقين الذين يؤمنون بكل ما أنزل من ربهم ويعلون الصالحات. صفات الكفار المختوم عليهم فهم لا يؤمنون.	كل من آمن بالله وبما أنزل من ماديات أو معنويات وعمل صالحا فهم من المفلحين المهتدين. كل من كفر بالله وما أنزل عليه مختوم على قلبه لا يفلح في الدنيا وله في الآخرة عذاب عظيم.
24	بشارة المؤمن الذي يعمل الصالحات بالخلود في الجنة.	بشارة المؤمنين بالخير.
40	خطاب بني إسرائيل بأن يؤمنوا بكتابهم ويتمسّكوا به ويتقوه.	خطاب لكل الناس أن يؤمنوا بما أنزل من القرآن، ولا يتاجروا فيه، ويتقوه.
61	خطاب لأهل الديانات السماوية ودعوتهم للإيمان.	خطاب لأهل الديانات السماوية وإلى كل الأعراق ودعوتهم للإيمان.
74 75	من لم يؤمن بكتب الله وحرّفها لا يطمع في إيمانه كما فعل بنو إسرائيل.	عدم الإيمان بالكتاب وتحريفه لا يزيد إلا كفرا ونفاقا.
84	خطاب بني إسرائيل وذكر جرائمهم بسبب ابتعادهم عن كتابهم فهم الخاسرون.	نتائج الكفر بالله وخيمة في الدارين.

108	عدم اتباع الكفار، فهم يدعون للكفر بل اتباع الهدى والإيمان، والعمل الصالح يؤجر عليه.	لن ترضى عنك اليهود، ولا النصارى حتى تتبع ملتهم.
107	خطاب للمسلمين بعدم اتباع عادات بني إسرائيل من كثرة الأسئلة التي تخرج من الإيمان.	الجدال وكثرة الأسئلة تؤدّي للكفر.
120	مدح الذين يتمسّكون بالكتاب تلاوة وتدبّرا وعملا.	من آمن بالله حقّ الإيمان بما أنزل لهم الجنّة.
135	خطاب للمسلمين أن يؤمنوا بالله وبكل ما أنزله الله من كتب ورسل.	الإيمان قول وعم.
152	خطاب للمؤمنين بالعمل الصالح من صبر وصلاة والله معهم.	الإيمان يحتاج المقوّمات، وزاد من الأعمال البدنية والنفسية، منها الصلاة والبرّ.
177 178 182 185 206	من المواضيع الهامة في معاملات المؤمن: القصاص، الصوم، الدعاء، الربا، الدخول في السلم.	ترجمة الإيمان الحق في معاملات المؤمن المختلفة من عبادات وأعمال صالحة وقوانين لحياة أفضل.

212	الإيمان بالحق لا يأتي عبثا، بل بالابتلاءات والمحن والشدائد والفتن.	امتحان وابتلاء المؤمن ليميز الصادق من الكاذب.
255	الله ولي المؤمنين وثمرته الوقاية من الظلال، والكفار أولياؤهم الطاغوت.	عدم الإكراه أو التعصّب أو التشدّد في الدين، والتمسّك بحبل الله المتين (الكتاب).

3) مفهوم الكفر في سورة البقرة:

ورد ذكر مفهوم الكفر في السورة الكريمة خمسة وأربعين مرة، وورد ذكره في القرآن الكريم كله خمسمائة وعشرين آية[1].

أمّا في سورة البقرة فقد تواردت بصيغ: الكافرين، كفروا، تكفرون، كفر، كافر، يكفر، كفار. أما مواضع هذه الصيغ فكانت في الآيات التالية: (5، 18، 23، 25، 27، 37، 38، 60، 84، 88 مكرر (3)، 90، 92، 97، 98، 101 مكرر (3)، 104، 107، 108، 120، 125، 151، 160 مكرر، 170، 190، 210، 215، 252، 255، 263، 270، 275، 285. وهذه نماذج من ذلك:

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّـهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّـهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[1].

---

[1] عودة خليل أبو عودة، التطوّر الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ط 1، مكتبة المنار، الأردن، 1985، ص: 272.

[2] سورة البقرة، الآية 06.

ويقول تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[2].

أ) الكفر لغة:

الكفر (بالضمّ) ضدّ الإيمان ، ويفتح كالكفور، والكفران بضمّهما، وكفر نعمة الله، وبها كفروا وكفرانا جحدها وسترها، وكافره حقّه جحده.

وكفور: كافر، ج كفر، بضمّتين، وكفر عليه يكفر، غطّاه. والشيء: ستره.

والكافر: الليل، والبحر والوادي العظيم، والنهر الكبير، والسحاب المظلم والزارع والردع.

والكَفر: تعظيم الفارسي ملكه، وظلمة الليل، واسوداده، ويكسر، والقبر والتراب والقرية.

وأَكْفَرَ: لزمها كاكتفر، والخشبة الغليظة القصيرة، أو العصا القصيرة...

والكفّارة (مشددى): ما كفّر به من صدقة وصوم ونحوهما... أكفره: دعاه كافرا.. وكفّر عن يمينه: أعطى الكفّارة[3].

يبدو أن المفهوم يدور حول الستر والجحود والتغطية، لذلك سمّي البحر والليل والسحاب "كافر" لأنهم يسترون ويغطّون الأشياء، فلا تظهر للعيان.

أما في مقاييس اللغة كفر: الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدلّ على معنى واحد وهو الستر والتغطية، يقال لمن غطّى درعه بثوب: قد كفر درعه.

---

[1] سورة البقرة، الآية، 89.

[2] سورة البقرة، الآية، 105.

[3] محي الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص: 1425.

والمكفّر: الرجل المتغطّي بسلاحه، فأما قول لبيد:

حتى إذا ألقت يدا في كافر وأجنّ عورات الثغور ظلامها

فيقال: إن الكافر مغيب الشمس، ويقال بل الكافر: البحر، وكذلك فسّر قول الآخر:

فتذكّرا ثقلا رشيدا بعدما ألقت ذكاء يمينها في كافر.

والنهر العظيم كافر، تشبيه بالبحر، ويقال للزارع كافر لأنه يغطّي الحبّ بتراب الأرض، قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾[1] .

والكفر ضدّ الإيمان، سمّي لأنه تغطية الحق، وكذلك كفران النعمة جحودها وسترها، والكفر من الأرض: ما بعد من الناس، لا يكاد ينزله ولا يمرّ به أحد[2].

تتطابق شروح ابن فارس مع الفيروز آبادي في مفهوم الكفر، فيذكر الأول أنه: الستر والتغطية، ثم يذكر له معنى ثان ألا وهو ضدّ الإيمان فهم كفران النعمة وجحودها، ويذكر الكفر المكان البعيد من الأرض، وهذا ما نستنتجه من معنى الكفر وهو الستر والتغطية.

وهو ضدّ الإيمان ونقيض الشّكر، وجحود النّعمة وفق السياقات المختلفة.

---

[1] سورة الحديد، الآية 20.

[2] أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ص: 897.

ب) الكفر اصطلاحا[1]:

1- **عند أهل الحديث:** هو عدم الإيمان بالله ورسله، كفر تكذيب أو استكبار وإباء أو شكّ وريب أو إعراض، ومن لم يحصل في قلبه التصديق فهو كافر على حدّ قول ابن تيمية.

2- عند المعتزلة: هو أنّ الكفر عبارة عن نقص في الاعتقادات والأعمال والأقوال التي يقوم بها الإنسان، ويصل إلى الكبائر التي يستحقّ بها العقاب العظيم والخلود في النار.

3- **عند الأشاعرة:** فهو ضدّ الإيمان، والجهل بالله عز وجلّ، والتكذيب به وعدم تصديق الرسول ﷺ في شيء مما جاء به... وتكذيبه في بعض ما علم مجيئه به ضرورة.

يتّضح من كل ما سبق أنّ القرآن الكريم وظّف المعنى اللغوي لمفهوم الكفر مع إضافة للمعنى الاصطلاحي المرتبطة بالإسلام والدين.

4) خطاطة التحليل الصوتي:

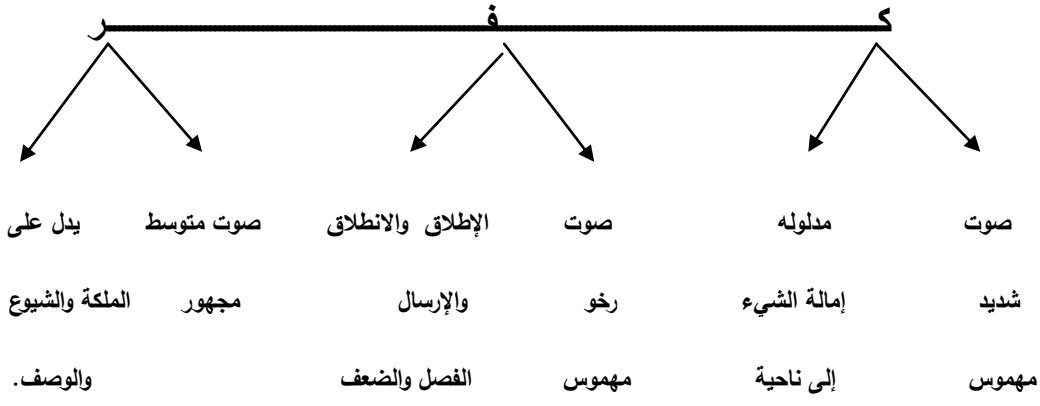

[1] فاتح محمد سليمان، التطور الدلالي لمصطلحات العقيدة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص: 375.

تدل معاني أصوات المفهوم من خلال خطاطة الرّبط، الصوت الشديد الذي يدل عل بداية الانحراف العقدي بادئ الأمر، إضافة إلى نشر ظلاهم من جهة، وضعفه من جهة أخرى، وهذا ما يدل عليه صوت الفاء الضعيف، ليُظهر لنا الصوت الأخير عن جهريتهم، وعلانيتهم في المرحلة الأخيرة، ومدى طغيانهم وشيوع الأمر فيهم بشكل رهيب لا يُصدّق.

المثال 01: يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ اللَّـهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .

أ- **سبب النزول:** قال الضحّاك: نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته. وقال الكلبي يعني اليهود[2].

وهذه الأصوات: الغنّة الميم والنون المكررة خاصة في أواخر الآية توحي حقيقة بالأسى والحزن والمصيبة التي حلّت بهم.

ب- التفسير: يذكر الرازي أنّ من صدّق ما جاء به الرسول ﷺ فهو مؤمن، ومن لم يصدّقه في جميع ما جاء به أو في بعضه فهو كافر[3].

---

[1] سورة البقرة، الآية 05.

[2] أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، ص: 21.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب، ص: 283.

فهذه صورة للكافرين وهي تمثّل مقومات الكفر في كل أرض وفي كل حين، وهنا نجد التقابل تامّا بين صورة المتقين وصورة الكافرين، فالإنذار أو عدمه سواء بالقياس إلى الكافرين، فالنوافذ المفتوحة هنا مغلوقة هناك، والوشائج الموصولة هنا مقطوعة هناك[1].

ج- صورة ذهنية: التخييل الفني والتجسيم.

رسمت الآية الكريمة صورة ذهنية ولوحة متخيّلة، هاهي حواسهم المختلفة من سمع وبصر، وحتى أعضاؤهم قد أحكم إقفالها، وطبع عليها من الخارج أختاما لا تستقبل خيرا إطلاقا، بسبب جحودهم وسترهم للحقيقة لا ينفع معهم أي نداء.

المثال 02: ويقول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَـٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[2].

الذين: اسم موصول في محل رفع مبتدأ. آتيناهم: فعل ماض، ونا: فاعل والهاء مفعول به. الكتاب: مفعول به ثان. يتلونه: فعل وفاعل، والهاء مفعول به. والجملة في محل رفع خبر، يكفر: فعل مضارع والفاعل هو[3].

الآية متعلقة بما قبلها، فهما في سياق الحديث عن اليهود ومكرهم وكفرهم، وكذلك الآيات التي تليها تذكر ذلك.

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ص: 33.

[2] سورة البقرة، الآية 120.

[3] أحمد عبيد الدعّاس، أحمد محمد حميدان، إعراب القرآن، ط1، دار الفارابي، دمشق، 2004، ص: 52.

فمنطوق الآية أن المؤمنين هم الرابحون يتلون الكتاب حق تلاوته دون غيرهم فهم الفائزون، أما مفهوم الآية أن المصدّقين بالكتاب هم الفائزون ومن جحده فهم الخاسرون بما فيه الكتاب، ومن باب أولى لا يتلونه فهم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

فذكر الله تعالى: الإيمان هو تصديق وعمل، هذا العمل متمثّل في التلاوة المتدبّرة بقلب صادق، والكفر ضدّ الإيمان كما بينته الآية، فهو جحود بالله وبما أنزل.

المثال 03: يقول الله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[1]

مثلُ: الصِّفة والشَّأن، ينعِقُ: وهو الصياحُ، الدعاءُ والنداء، قيل بمعنى واحد، وقيل: الدعاء الغريب والنداء للبعيد، ومعناها: مثل من يدعوا الذين كفروا إلى الحق كمثل الذي ينعق أي الداعي إلى الحق، وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها، ووجه الشبة أن البهية تسمع الصوت ولا تفهم المراد، وكذلك الكفار كانوا يسمعون صوت رسول الله ﷺ وألفاظه، وما كانوا ينتفعون بها وبمعانيها.[2]

أ- التصوير الفني بالتخييل:

فهذا التصوير هو حركة تنشأ في الذهن من خلال بعض التعبيرات، فتلك النداءات للإيمان المتكررة بكل حُرقة للدخول في دين الله، لكنهم لا يسمعون ولا يتّعظون، فالله ختم على قلوبهم وحواسهم فلا يستجيبون.

---

[1] – سورة البقرة، الآية 171.

[2] – محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، ط 1، دار المعارف، المجلد الأول، القاهرة، 1997، ص: 311.

فذلك الجحود وكتمان الحق أزال عنهم عقولهم وجرَّدهم من حصولهم على الحق والإيمان.

يعتبر مفهوم الكفر من المفاهيم المتواردة كثيرا كما بينته في الدراسة، إذ تجمع معاجم اللغة أنه: الستر والتغطية وجحود النعمة، يقول لبيد:

يعلو طريقة متنها متواتر في ليلة كفر النجوم غمامها.

ويقول أيضا:

حتى إذا ألقت يدا في كافر وأجنّ عورات الثغور ظلالها

والكافر هنا الليل سمّي به لكفره الأشياء أي سترها.

ونجد أيضا تطورا ملحوظا في شعر الأعشى إذ يقول:

فلا تحسبنّ كافرا لك نعمة على شهيد شاهد الله فاشهد

فهنا يدلّ المفهوم على جحود النعمة.

ويعتبر هذا المفهوم من المشترك الدلالي، إذ هناك علاقة وطيدة بين المعاني الجديدة والمعنى الأساسي الذي ذكرناه من جهة والمعاني المولّدة من جهة أخرى. فبعدما كانت الدلالة اللغوية محصورة بين جانبها المادي المحسوس وشيء يسير من الجانب المعنوي كما ارتأينا مع شعر الأعشى، إذ تطور مع نزول القرآن الكريم بشكل قويّ وسريع ليظهر المفهوم عن أهميته الكبرى في الحياة الإسلامية مطلع نزول القرآن، فيشمل: ستر الأشياء المعنوية غير المحسوسة كستر النعمة وستر البرهان والآية والدليل، وهذه خطاطة الربط تظهر ذلك[1]:

[1] محمد أحمد الشاكر، المفضليات، ط 1، دار المعارف، القاهرة، (د ت)، ص: 220.

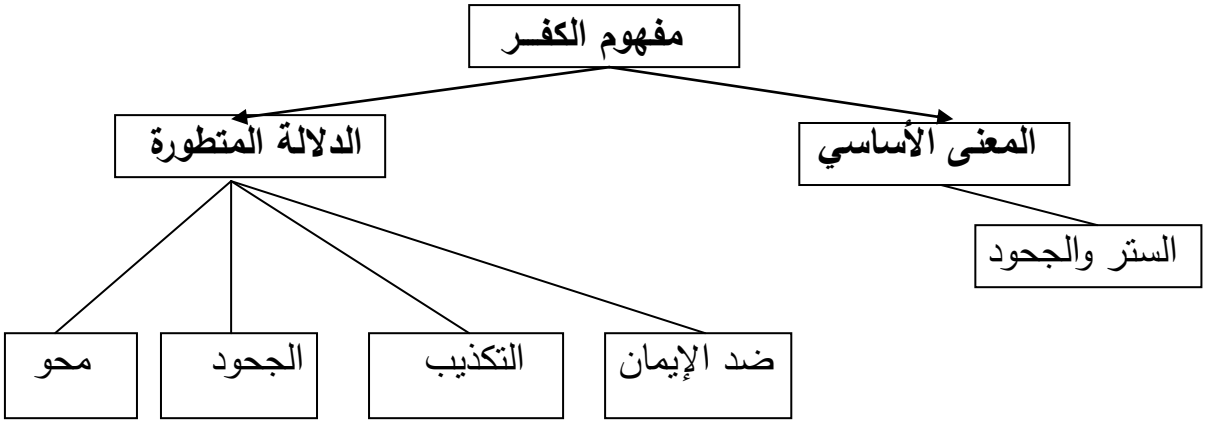

وهو الكفر وعدم التصديق وعدم الشكر الذنوب فتحصل إذن تخصيص الدلالة بعدما كانت عامة، مع الاحتفاظ بالدلالة اللغوية للمفهوم وتطويرها للشيء المعنوي.

فدلالة الجحود ذكرت كثيرا في معرض الحديث عن بني إسرائيل وسترهم للحقيقة ولكتابهم، وذكر دلالة محو الذنوب في موضع واحد الآية 270 في خطاب للمؤمنين بحثّهم على الصدقات، ويبدو أم موضوع الصدقة له الأهمية الكبيرة في السورة الكبيرة، فبِهما يعرف المؤمن من المنافق وهي برهان وضياء يرتقي بها المؤمن إلى مصافّ المتّقين.

5) مفهوم الكتاب في سورة البقرة:

ورد ذكر المفهوم الكتاب بتصاريفه المختلفة في السورة الكريمة إحدى وأربعون مرة، فمعظم الصّيغ جاءت بلفظ الكتاب التي سنفضّل في دلالتها لاحقا، والتي تدلّ إجمالا على صحف الله لعباده، أما صيغة (كُتِبَ) فقد ذكرت مرّتين (178- 183) وفي القرآن كله

ذكت 10 مرّات لتدلّ على معنى فُرِضَ [1]. وهذه مواضع الصيغ: (2، 43، 52، 78، 79، 84، 86، 88، 101 مكررة، 108، 112، 120، 143، 145، 150، 158، 173، 176، 177، 179، 214، 216، 233) فكانت أكثر الآيات ورودا لهذا المصطلح أو المفهوم، فكان في آية الدّين (281) وذكر فيها تسع مرات لأهمية الكتابة وتقيد المعاملات المختلفة، إضافة للشهود، فدين الله لا يترك صغيرة ولا كبيرة، وليس عبثا أو تهاونا كما يرى ويشاهد الآن، يقول فيها الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾[2]. فهذا أمر كرر للجماعات والأفراد بتقييد المعاملات وكتابتها. وتوارد أربع مرات في الآية 21.

وتوارد المفهوم أيضا مرّتين وثلاث مرات في الآيات: 179 والآية 182.

أ) كتب لغة:

الكتب ضَمُّ أديمٍ إلى أديمٍ بالخياطة، يقال: كتبت السّقاء، وكتبت البغلة: جمعت بين شفريها بحلقة، وفي التعارف ضمّ الحروف بعضها إلى بعض بالخطّ، وقد يقال ذلك للمضموم بعضها إلى بعض باللفظ، فالأصل في الكتابة: النظم بالخطّ لكن يستعار كل واحد للآخر.

ولهذا سمّي كتاب الله وإن لم يكتب كتابا...، والكتاب في الأصل مصدر وهو اسم للصحيفة[3].

---

[1] محمد التونجي، المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص:415.

[2] سورة البقرة، الآية 282.

[3] الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن، ط3، دار القلم، تح: صفوان عدنان داوودي، سوريا، 2002، ص: 699.

وفي لسان العرب: الكتاب معروف، والجمع كتب، كتب الشيء كتبه كتبا وكتابا وكتابة، وكتّبه: خطّه، والكتبة: اكتتابك تنسخه، وقيل كتبه خطّه، واكتتبه: استملاه، وتقول: اكتتبني هذه القصيدة أي أملها عليّ، والكتاب: ما كتب فيه.

والمكاتبة والتكاتب بمعنى. والكتاب مطلق: التوارة، وجائز أن يكون القرآن وأن يكون التوراة، قول للزجاج على الآية: ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ وقيل: الكتاب ما أثبت على بني آدم من أعمالهم، والكتاب: الصحيفة، والمُكتب، المعلم، والكتاب الحكم والفرض والقدر... [1].

ويذكر الفيروز آبادي في محيطه مادة "كتب" كتبه كتبا وكتابا: خطّه، ككتّبه واكتتبه أو كتّبه: خطّه، واكتتبه استملاه كاستكتبه.

والكتاب ما يُكتب فيه، والدواة، والتوراة، والصحيفة، والفرض، والحكم، والقدر.

والكُتبة بالضمّ: السير يخرز به، وما يكتب به، وما يكتب به حياء الناقة لئلا ينزى عليها، والخرزة التي ضمّ السير وجهيها، وبالكسر: اكتتابك كتابا تنسخه، وكتب السقاء: خرزه بسيرين كاكتتبه، والكاتب العالم، والاكتتاب تعليم الكتابة كالتكتيب والإملاء، والمكتب كمقعد: موضع التعليم، واكتتب كتب نفسه في ديوان السلطان، والمكتوتب: المنتفع الممتلئ، والكتيبة: الجيش أو جماعة الخيل. كتّبها تكتيبا هيّأها، وتكتّبوا تجمّعوا [2].

يتّفق ابن منظور والفيروز آبادي في كل معاني هذه التصاريف المختلفة بمفهوم الكتاب وأجمعت على أنه: "الجمع والضمّ لأن الكتاب يجمع بين دفتيه الكلمات والجمل بعضها مع بعض ويضمّ الحروف بالخطّ، فهو مضموم غير متفرّق، فهو كالكتيبة العسكرية في نظامها وقوّتها وتجمّعها".

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، امرجع السابق، ج1، ص: 698.

[2] محي الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط 1، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص: 1392.

أمّا ابن فارس فيذكر في مادة "كتب" الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدلّ على جمع شيء إلى شيء، من ذلك الكتاب والكتابة، يقال: كتبت الكتاب اكتبه كتبا،. يقولون: كتبت البغلة إذا جمعت شفري رحمها بحلقة، والكتبة الخرزة والكتب: الخرز، ومن الباب الكتاب وهو الفرض، ويقال للحكم الكتاب، لقوله تعالى: (يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ) [1]. ومن الباب كتائب الخيل، يقال تكتّبوا الكاتب يقال له العالم[2].

وكذلك ابن فارس ذكر دلالة المفهوم من الجمع والفرض والحكم، فالكاتب اسم فاعل من كتب وهو العالم الذي يكتب.

أما في الوجوه والنظائر: الأصل في الكتب: الجمع فكأنّ الكاتب هو جامع الحروف، والكتبة الخرزة. وذكر أهل التفسير أنّ الكتب في القرآن الكريم على خمسة أوجه: الأمر والجعل والقضاء والفرض والحفظ[3].

يُفترض الاستكناه معاني ودلالات الخطاب القرآني أولا، البحث في عناصر السياق المختلفة لتتضح الصورة أكثر، ومن هذه العاصر التي ذكرها باحثي لسانيات النص منهم فانديك "Vandik"، براون ويول "Brown– yoll" وهاليداي "T. Halliday" وغيرهم، المتكلم والمتلقي الزمان والمكان، البيئة الاجتماعية وأحوال المخاطبين والمستمعين... إضافة لمعرفة المكي والمدني، وضرورة معرفة سبب النزول آيات، وما له من دور بارز في إيضاح المقصد من الآية، فيزيل الغموض.

---

[1] سورة البينة، الآية 2–3.

[2] أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ط 1، دار إحياء التراث العربي، تح: محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان، بيروت، لبنان، 2001، ص: 886.

[3] جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ط3، مؤسسة الرسالة، تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، بيروت، لبنان، 1987، ص: 514، 515.

يذكر الطاهر بن عاشور أن من أسباب النزول ما ليس المفسر يفي عن علمه، لأن فيها بيان مجمل وإيضاح خفي وموجز، ومنها ما يكون وحده تفسيرا، ومنه ما يدل المفسر على طلب الأدلة التي بها تأويل الآية أو نحو ذلك.[1]

والذي حدا بتمام حسان إلى القول بأن الأصوليين قد أجمعوا على من يتصدى لاستخراج الأحكام من القرآن: ألا يغفل عن بعضه في تفسير بعضه، وأن لا يغفل عن السنة في تفسيره، أن يعرف أسباب النزول، أن يعرف النظم الاجتماعية عند العرب.[2]

وذلك ما ذكره علماؤنا الأوائل منهم النيسابوري الواحدي من شروط المفسر، إضافة لمعرفته بكلام العرب وحفظ كتاب الله وسننه، ومعرفته الدين المكي وزمان ومكان نزوله، فنُجمل هذه العناصر باختصار، أما عن المتكلم هو الله سبحانه وتعالى منزِّل القرآن مُنجما على الملك جبريل أولا الذي بدوره ألقاه على قلب النبي محمد ﷺ، فسورة البقرة مدنية بإجماع علماء الأمة، أما زمن النزول فهو بعد الهجرة والآيات تختلف أزمنتها بين الليل والنهار بحسب مناسباتها.

أما المخاطبون فهم الرسول ﷺ ومن خلاله لكل المسلمين، جاء الخطاب ليرسم دعائم الدولة المسلمة والمجتمع الجديد في المدينة المنورة.

---

[1] – ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، ط 1، مؤسسة التاريخ العربي، ج 1، بيروت، لبنان، 2000، ص: 45.

[2] – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط 5، عالم الكتب، القاهرة، 2006، ص: 348.

6) الخطاطة من خلال التحليل الصوتي لمفهوم الكتاب:[1]

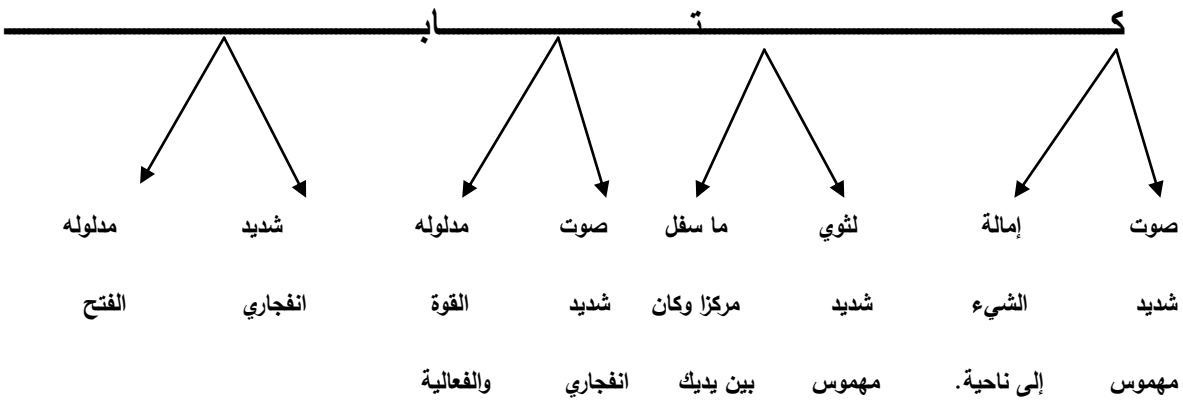

يتضح من خلال الخطاطة أدى اقتران الصوتين الكاف والتاء إلى تلك القوة والشدة المتمثلة في إمالة الشيء من ناحية إلى أخرى؛ وهي مدلول الكاف إلى تطابق مع تقليب صفحات الكتاب إضافة إلى المد في صوت التاء الذي أفاد كثرة القراءة والاستمرارية لتنتهي عملية البحث، والتقليب بصوت الباء الذي ينقطع معه خروج الهواء.

أمثلة عن مفهوم الكتاب في السورة الكريمة:

المثال 01: يقول تعالى: ﴿الم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

أ- **سبب النزول:** أربع آيات من أول سورة البقرة، نزلت في المؤمنين وآيتان في الكافرين، وثلاثة عشر آية في المنافقين[3].

---

[1] منال نجار، مرجع سابق، ص27.

[2] – سورة البقرة الآية: 01.

[3] – الواحدي، أسباب النزول، ص: 15.

ب- تفسيرها: وقد جوز صاحب الكشاف على احتمال أن تكون حروف الم مسوقة مساق التهجي لإظهار عجز المشركين .... أن يكون اسم الإشارة مشارا به إلى (ألم) باعتباره حرفا مقصودا للتعجيز ... هي الكتاب أي منها تراكيبه، ألم الإشارة مبتدأ والكتاب خبر ... وضع اسم الإشارة للحضور والقرب لأنه المشار إليه حينا، فالكتاب هنا لما ذكر في مقام التحدي بمعارفه أو يصدق معانيه ونفع إرشاده.

والكتاب فعال بمعنى المكتوب أما مصدر كاتب المصوغ للمبالغة، وإما فعال بمعنى مفعول، واشتقاقه من كتب بمعنى جمع وضم لأن الكتاب تجمع أوراقه وحروفه وتسمية القرآن كتابا إشارة إلى وجوب كتابته لحفظه، ومعناه أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص [1]، ومن أين يكون الريب أو الشك، ودلالة الصدق أو اليقين كامنة في هذا المطلع، الهدى نور ودليلا ... التقوى في القلب[2].

يتّضح من خلال ما سبق أن مفهوم الكتاب هنا هو القرآن الكريم المحفوظ من عند الله فلا بد وأن يكون مفهوما واضحا لا لبس ولا غموض فيه، هدى ورحمة وبيانا وشفاء للمتقين.

المثال 02: يقول الله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[3].

---

[1] – محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التقرير والتنوير، ط 01، الدار التونسية للنشر، جـ 01، تونس 1984، ص: 221.

[2] – أبي القاسم جار الله، محمود بن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف، ط 01، دار المعرفة، تح: خليل مأمون رشيد، لبنان، 2009، ص: 35.

[3] – سورة البقرة الآية: 78.

أ- **أسبلب النزول:** نزلت في الذين غيروا صفة النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابهم وجعلوه آدم سبطا طويلا، وكان ربعة اسمرا، وقالوا لأصحابهم وأتباعهم، أنظروا إلى صفة النبي الذي يبعث في آخر الزمان، ليس يشبه نعت هنا[1].

ب- تفسيرها: يكتبون الكتاب المحرف بأيديهم تأكيدا وهو من مجاز التأكيد[2].

فالكتاب في هذه الآية هو التوراة التي انزلها الله تعالى على موسى عليه السلام لبني إسرائيل.

ج- التلميح والانتقاد:

تظهر الآية الكريمة التخبط واللامبالاة لبني إسرائيل والاستهزاء بدينهم، والجحود به هو المسكوت عنه في الآية.

فيأتي التوبيخ واللوم لهم بسبب عدم الالتزام بطاعة الله واتباع كتابه، فهم يأخذون ما تهوى أنفسهم ويتركون ما كرهوه، وهم أولى بالاتباع من غيرهم بصفتهم أولي علم ويعرفون كتابهم وما جاء فيه، لكنهم قوم لا يعقلون، غابت عنهم عقولهم بسبب كفرهم كما توضحه الآية.

المثال 03: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[1].

---

[1] - أبي الحسن علي بن احمد الواجدي النيسابوري، أسباب النزول، ط 01، دار الإصلاح، الدمام، السعودية، 1992، ص: 26.

[2] - أبي القاسم جار الله، محمود بن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: 84.

أ- **سبب نزولها:** نزلت في يهود أهل المدينة ونصارى أهل نجران، وذلك أن وفد نجران لما قدموا إلى النبي ﷺ، أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم، فقالت اليهود ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والإنجيل، وقالت لهم النصارى ما أنتم على شيء من الدين، فكفروا بموسى والتوراة فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

فسبب الاختلاف بين الفريقين هو الجهل والعناد والغريب أنهم يتلون الكتاب الذي عندهم، والحال أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب وحقهم ألا يكفروا وعندهم التوراة والإنجيل، فكل كتاب مصدق للثاني شاهد بصحته، وكذلك كل كتب الله، فقد تشابهوا بصنيعهم هذا مع من ليس له علم بالكتاب كعبدة الأصنام والمعطلة وغيرهم، وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم[3].

يؤكد ابن عاشور كلام للزمخشري أنهم أهل علم وكتاب، لا يليق بهم المجازفة، ومن يفهم الإنصاف بأن يبينوا مواضع الخطأ عند مخالفيهم وتشابههم حينئذ مع المشركين الذين لا يعلمون وهم من مشركي العرب[4].

فنجد المعنى الثالث للكتاب هاهنا هو الإنجيل وهو كتاب النصارى، أما أهل الكتاب هم اليهود والنصارى وهم أهل علم لأن نزل بهم الكتاب.

---

[1] – سورة البقرة الآية: 113.

[2] – أبي الحسن علي بن احمد الواجدي النيسابوري، أسباب النزول، ط 01، دار الإصلاح، الدمام، السعودية، 1992، ص: 36.

[3] – أبي القاسم جار الله، محمود بن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: 92.

[4] – محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التقرير والتنوير، ط 01، الدار التونسية للنشر، جـ 01، تونس 1984، ص: 678.

ب- المفارقة بالخفاء:

فهناك معنيين للخطاب معنى ظاهر يبين من لفظه، وآخر مسكوت عنه يستجليه المتلقي، ففي قوله تعالى: "وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب"، فالمعنى الظاهر هو التنابز والعداوة بين اليهود والنصارى وهم يملكون كتاب بينهم، أما الآخر الخفي هو عدم إيمان الفريقين بكتابهم وعدم التمسك به وتلاوته، وذلك سبب العداوة المستشرية بينهم لتحلق بكل البشر بما فيهم المسلمين، وهو نوع من أنواع المفارقة اللغوية التي يظهر فيها المعنى الباطن، فيه عنصر الخفاء وهو المقصود.

المثال 04: يقول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾.[1]

أ- سبب النزول : قال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي، نزلت في أصحاب السقيفة، الذين اقبلوا مع جعفر ابن أبي طالب من الحبشة كانوا أربعين رجلا من الحبشة وأهل الشام، وقال الضحاك، نزلت في من آمن من اليهود، وقال قتادة وعكرمة: نزلت في أصحاب الرسول ﷺ.[2]

ب- التفسير: هم مؤمنو أهل الكتاب لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت الرسول الله ﷺ، أولئك يؤمنون بكتابهم دون المعرفين ومن يكفر به منهم فأولئك هم الخاسرون، حيث اشتروا الضلالة بالهدى.[3]

---

[1] – سورة البقرة، الآية: 120

[2] – أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، ط 1، الإصلاح، الدمام، 1992، ص: 40.

[3] – أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: 94.

فأهل الكتاب إذن هما اليهود والنصارى أصحاب كتاب التوراة والإنجيل، والظاهر من الآية بالكتاب سائر الكتب السماوية من التوراة والإنجيل والزبور والفرقان... الخ، فهو خطاب موجه خاصة لأولي العلم الذي يحكمون بما أنزل الله ولسائر الأمم من آمن بالله وبالكتاب يتلوه حتما حق التلاوة والتدبر أما من كفر به، فلا يعطيه حقه، وجزاؤه بيَّنه الله أنهم خاسرون في اختياراتهم.

ج- التقابل:

وهو وجود مقابلة وتناظر بين تركبين لغويين أراد الله سبحانه وتعالى أن يوضح لنا في هذه الآية الكريمة علامات وأمارات إتيان الحق وهو الإيمان بما أنزل الله من الكتاب وتلاوته حق التلاوة قراءة وتلاوة وتدبرا، وفي مقابل ذلك نجد صفات من يكفر ولم يؤمن بالكتاب هم الخاسرون، ويفهم من ذلك الحذف أنهم لم يتمسكوا بالكتاب ولم يقرؤونه ولم يتلونه حق التلاوة، فهؤلاء من الكافرين به، فجاء أسلوب المقابلة من خلال تقابل الكلمات الإيمان والكفر، قصد منها المقارنة بين المفهومين، مما يساعد المتلقي على فهم المقصود، ويقارن بين الحالين، فيتجنب أحدهما وهو المطلوب فعله، فهو ترغيب والحث على الإيمان بالله حق الإيمان.

المثال 05: يقول الله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾.[1]

يذكر ابن عاشور أن الخطاب موجه لبني إسرائيل عامة ويجوز أنه موجه لأحبارهم وعلمائهم من باب أولى فهم الأخص بالبر.

[1] – سورة البقرة، الآية 44.

وكثرة الاستفهامات والتعجب هو من باب التوبيخ من حالهم التي لم تنفع معهم صلاتهم من فعل الخيرات ونسوا أنفسهم تهاونا وعمدا وعندهم التوراة تتلى عليهم، فكل هذا من كمال غفلتهم واضطراب بالهمّ[1].

فالآيات الخمس التي تسبق هذه الآية هي خطاب لبني إسرائيل فيه كثير من الرحمة واللين معهم، يقول تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾،[2] ورغم التهم والتوراة بينهم يتلونها إلا أنهم عصوا الله فالجهل بالسنن والغفلة، بسبب الغرور، وبسبب تقادم العهد واستقرار الأحوال، فيحاول القرآن الكريم إعادة هذه السنن والتكرار مع التنويع يسبب علاج هذا الداء[3].

ويذكر الزمخشري أن الهمزة للتقريع مع التوبيخ والتعجيب من حالهم، فكانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، ثم يعيد التوبيخ كذلك في آخر الآية يقبح واستقباح ما فعلوه وهم يتلون التوراة[4].

نجد من خلال كتابي التفسير التحرير والتنوير والكشاف أن مفهوم الكتاب هو التوراة التي نزلت لبني إسرائيل لتقوم عليهم الحجة، فلم يعملوا بها تهاونا وعصيانا لذا نجد الله تعالى يستقبح ويستهجن ذلك ويراه من اضطراب العقول وغفلتهم المتعمدة الراضية بالكفر، فالتوراة كتاب منزل من الله على موسى عليه السلام وقد دخلها التحريف بعد موته[5].

---

[1] – محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص: 477.

[2] – سورة البقرة، الآية: 39.

[3] – حسن بن صالح الحميد، سنن الله في الأمم، ط 02، دار الفضيلة، مصر، 2011، ص: 191.

[4] – أبي القاسم جار الله، محمود بن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف، ط 01، دار المعرفة، تح: خليل مأمون رشيد، لبنان، 2009، ص: 74.

[5] – أبي عبدالله عامر عبدالله فالح، معجم ألفاظ العقيدة، ط 01، الرياض، 1997، ص: 74.

المثال 06: يقول الله تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾،[1] الكتب هنا يقصد بها كل الكتب السماوية ما دام المؤمن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فالإيمان بالرسل يقتضي الإيمان بما جاؤوا به من كتب منها: القرآن والتوراة والإنجيل والزبور.

يذكر الحافظ في أهمية الكتاب يقول: وعبت الكتاب، ولا أعلم أبر، ولا خليطا أنصف، ولا رفيقا أطوع، ولا معلما أخضع، ولا صاحبا اظهر كفاية، ولا أقل جناية، ولا اقل إملالا وإبراما، ولا أحفل أخلاقا، ولا أقل غيبة ... ولا ازهد في جدال، ولا اكف عن قتال، من كتاب، ولا أعلم نتاجا في حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه، وإمكان وجوده، يجمع من التدابير العجيبة والعلوم الغريبة، ومن آثار العقول الصحيحة، ومحمود الأذهان اللطيفة، ومن الحكم الرفيعة[2].

أحب الجاحظ الكتب والمطالعة منذ الصغر اكترى لذلك دكانا كان يجمع فيه ما شاء من الكتب لذلك، يعتبر أول قتيل جراء سقوط كتب على رأسه، دافع عن اللغة العربية وأهلها، من روائعه التي لا تمحى البيان والتبيين، والحيوان، اعتبر دارس العلم والكتابة والنشر والتأليف من خير ما يؤديه الفرد، فإذا كان الغرب يفتخرون بالبنيان كما يقول فالحضارة العربية تفتخر بأنها حضارة علم وكتاب وإذا كان البنيان يبلى ويزول فالكتابة باقية أبد الدهر، ويكفينا فخرا بكتاب الله وكتب العلماء التي مازلنا ننهل منها.

فالاهتمام بالكتاب يقودنا إلى كل ما يتعلق به، مثل القراءة ، والعلم والمعرفة، غذ جميعها عناصر لازمة وحلقات متصلة بالكتاب فهو عنوان لقيم حضارية تعتز بها الأمم

---

[1] – سورة البقرة، الآية: 286.

[2] – أبي عثمان عمر ابن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، ط 02، تح: عبدالسلام محمد هارون، ج 01، 1965، ص: 83.

وتفاخر، وهو عنوان لتنوع العلوم وتشابكها وللإبداع والتنوع والتفوق، ويكفينا فخرا وتشريفا أننا نملك ونقرأ كتاب الله القرآن الكريم ففيه صلاح دنيانا وآخرتنا، فالتمسك به بقراءته بتمعن وتدبره والعمل به.

فلولا الكتب المدونة والأخبار المخلدة والحكم المخطوطة التي تحصن الحساب وغيرها، لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر، ولبطلت العهود والشروط والسجلات ... وكل عهد وعقد[1].

يجد من خلال الدراسة اللغوية التي قمت بها لمفهوم الكتاب في الصورة الكريمة أن معناه الأساسي هو المكتوب أو المخطوط وهذا العنصر المعنوي الثابت الذي يتحرك مع الكلمة أينما استعملت، لكن ليس هو تمام المعنى، فهناك معاني ودلالات أخرى نستشفها من خلال سياق الآيات، فهذا المفهوم الجديد، حاز على أهمية خاصة كرمز لمفهوم وتصور ديني أحاطت به هالة من القداسة، حينما ارتبطت معاني كلمات قرآنية هامة مثل: الله الوحي، التنزيل النبي، الأهل ... .

فالكتاب هو دستور الشعوب قديمها وحديثها وبه ترتقي أو تنحط، فهذا الانحطاط مثلا كان يسبب التحريف للكتاب أو عدم وجوده أصلا في الشعوب البائدة قديما، وكان رقيها بالتمسك والعمل به. فلفظ كتب ومشتقاته له دلالة خاصة في سورة البقرة فإذا كانت أول سورة في القرآن تحث على القراءة فهذه السورة فيها آية واحدة مكرر فيها المفهوم عدة مرات ل يكن في أي آية أخرى دلالة الحث على الكتابة وتقييد المعاملات المختلفة بين الناس، وبها تحفظ الأمانات والعهود والمواثيق، وتستقر الحياة الاجتماعية وتزدهر.

فبفضل الدين الإسلامي على المجتمع عامة واللغة العربية خاصة بانت دلالات جديدة وتركت أخرى، ونقلت مفاهيم غير معروفة في العصر الجاهلي مثل مصطلح

---

[1] – المرجع السابق، ص: 48 و 69.

العقائد أو العبادات فكان هذا النقل والتغير سريعا، فبفضل القرآن الكريم وكثرة استعمالاته المختلفة في يوميات المسلم. ويعتبر مفهوم الكتاب من المشترك اللفظي فالكلمة الواحدة لها عدة معاني مختلفة حسب السياق وهي:

أ- **القرآن الكريم** : وهو كلام الله عز وجل المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف، مبدوء بسورة الفاتحة مختوما بسورة الناس[1].

ب- التوراة: كتاب الله المنزل على موسى عليه السلام، رسالة هداية لبني إسرائيل، وقد حرفوه ولهم توراة أخرى.

ج- الإنجيل : كلمة تعني البشارة، وهو الكتاب الذي أنزله الله تعالى علي سيدنا عيسى عليه السلام، ولم يعد الإنجيل موجودا، بل هناك أناجيل عدة: إنجيل متى، لوقا، يوحنا، مُرقصْ.[2]

د- الزبور: وهو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على داود عليه السلام، وهو كلمة أعجمية كالتوراة والإنجيل، ويعرف عندهم بالمزامير، وهو أحد أسفار العهد القديم.[3]

أولا) بيان نزول الكتب الأربعة ومواقيتها:

وقال أبو زرعة الدمشقي: حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني معاوية بن صالح عمن حدثه قال: "أنزلت التوراة على موسى في ست ليال خلون من شهر رمضان، ونزل الزبور على داوود في اثنتي عشرة ليلة تلت من شهر رمضان، وذلك بعد التوراة بأربع مائة واثنتين وثمانين سنة، وأنزل الإنجيل على عيسى بن مريم في ثماني عشرة ليلة خلت من

[1] – أبي حامد محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ط 01، القاهرة، (د ت)، ص: 101.

[2] – محمد أحمد الحاج وبسام علي، العموش، قاموس العقيدة، ط 1، الأكاديميون للنشر والتوزيع، (د ت)، ص: 47.

[3] – نافع عبد الله حمادي، مجلة آداب الفراهيدي، تكريت، العراق، ع 40، 2020، ص10.

شهر رمضان، بعد الزبور بألف عام وخمسين عاما، وأنزل الفرقان على محمد ﷺ في أربعة وعشرين من شهر رمضان".[1]

نجد في كل ما سبق أنّ مفهوم الكتاب من المفاهيم التي تدخل في دائرة المشترك اللفظي، لأنه يدل على معان متعددة، وتغير دلالته بشكل سريع مع نزول القرآن الكريم، وقد أوردت ذلك المعاجم اللغوية، إضافة لجذره اللغوي الثلاثي الصحيح كتب وتصريفاته في مواضع كثيرة من السورة.

فمفهوم الكتاب له اشتراك لفظي مع عدّة دلالات وهي: الكتب السماوية، القرآن الكريم، التوارة، الإنجيل، الزبور، وتتخذ هذه الأخيرة حسب سياقها المستعمل.

فهذا التطوّر مرتبط بعلاقة المحاورة متصلة بنفس الفكرة ودلالة الكتاب فجاء التخصيص والتحديد للمفهوم.

فانتقل المفهوم من معناه الأقلّ أو الأساسي، وهو المكتوب بين دفّتين وهو العنصر المعنوي الثابت الذي يتحرّك مع الكلمة أينما استعملت.

فالمعنى المتطوّر والمتشكل مع بداية نزول القرآن الكريم، احتلّ أهمية خاصة كرمز المفهوم وتصور ديني خاص، فقد ارتبط بكلمات لها أهميتها وقداستها مثل: الله، الوحي، التنزيل، النبي، الأهل (أصحاب الكتب السماوية)، فهو المعنى النسبي وهو عنصر هام للغاية يفوق بأهميته المعنى الأساسي[2].

---

[1] – أبي الفداء إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، ط 3، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، 1988، ص: 686.

[2] محمد باقر سعيدي روشن، منطلق الخطاب القرآني، دراسات في لغة القرآن، ط 1، بيروت، لبنان، 2016، ص:235.

ثانيا) الـدلالــة المفـاهيميــة لمفهـوم الكتــاب:

استعمل لفظ الكتاب معرفا للدلالة على كتب الله: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والزَّبور، كما بينا في تفسير الآيات.

ويعد مفهوم الكتاب من المشترك اللفظي، لأنه يدل على معان متعددة تظهر في المعجمات وفي التفاسير، وذلك من خلال تتبع المفهوم وتغيراته المختلفة على حسب السياقات، وهذا حسب خطاطة الربط التالية:

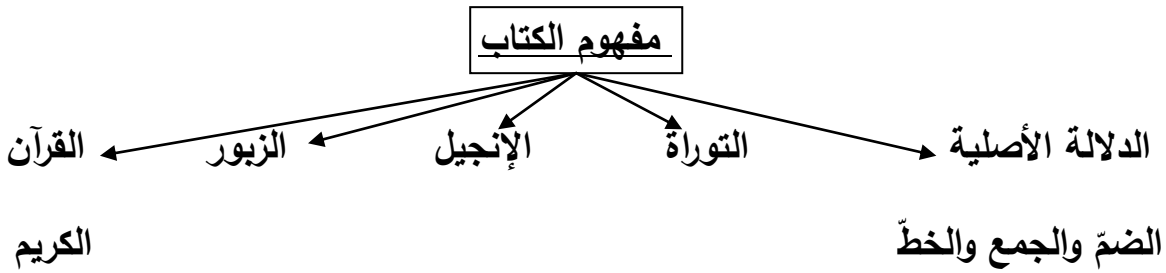

فجاء هذا التغير من العام إلى الخاص بعدما كان يشير لفظ الكتابة إلى الجمع (تخصص الدلالة) والضم والخط، أصح المفهوم مع دخول الإسلام له معنى خاص بالكتب السماوية المختلفة، ويعتبر هذا التغير سريعا مع دخول الإسلام الجزيرة، وتدارس القوم لكتاب الله، والسبب الرئيسي لهذا التغير هو التغير الديني والاجتماعي الحاصل في الجزيرة العربية خاصة وبلاد المسلمين عامة، وحاجتهم لهذا التغير اللغوي والثراء المعرفي، فتتجدد مفاهيم وتزول أخرى، وله صبغة جمالية في هذا النماء والتغير والاستمرارية.

7) مفهوم التقـوى فـي السـورة الكـريمـة:

توارد مفهوم التقوى بمشتقاته المختلفة في السورة الكريمة اثنان وثلاثون مرة، وهذه المواضع هي الآيات: 1، 20، 23، 40، 47، 62، 65، 178، 179، 182، 186، 188، 193، 196، 201، 204، 210، 221، 222، 229، 231، 235، 239، 277، 280، 281، 282.

والمتمعن في مواضع ذكر المفهوم في السورة، يجده لم يوضع جزافا، فهناك قضايا ومحاور كبرى تقوم عليها السورة، وهي من المعاملات والعبادات المهتمة عند المسلمين، قُرنت بهذا المفهوم لعظيم شأنها ولخطورة المساس بها أو الانحراف عن منهجها ومنها: شهر رمضان وما فيه فوائد للمؤمنين، أفعال البر في الآية 188- الشهر الحرام وما فيه من حرمة في 193 مكرر – في قضايا النساء والطلاق والرضاعة وفيها من دور اجتماعي خطير بها يصلح المجتمع وكذلك الأمانة وفي الكتابة في المعاملات المختلفة وما لها من دور في حفظ العهود والمواثيق، وبها تنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات ولكل حق حقه.

ومن الملاحظ كذلك لم يكن هناك علاقة بين هذا المفهوم وبني إسرائيل إلا في مواضع قليلة منها الله، الطور، وذكَّرهم بنعمه عليهم لعلهم يتَّقون، أما معظم المواضع التي ذُكر فيها المفهوم فكان خطابا للمؤمنين في معاملاتهم المختلفة، وتحقيق ذلك يحقق لهم التقوى والمفازة، عكس بني إسرائيل الذين لم يؤمنوا من الأساس فكيف بهم يتقون، وخاصة الذين كانوا قبل ظهور الإسلام.

1) التقوى لغة واصطلاحا:

أ) التقــوى لغة:

التقوى من وقى، والواو، والقاف، والياء: كلمة واحدة تدل على دفع الشيء عن شيء بغيره، والوقاية: ما يقي الشيء، واتق الله: أي اجعل بينك وبينه كالوقاية.[1]

ويذكر الأصفهاني: وقى: الوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه، يقال: وقيت الشيء أقيه وقاية، وقاء، وقى: الوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه، يقال: وقيت الشيء أقيه وقاية، وقاء، قال تعالى: فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقَّاهم نظرة وسرورا،[2] والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف، ثم سمي الخوف تارة تقوى، وصار التقوى في تعاريف الشرع: حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور.[3]

والتقوى: الخشية والخوف وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، واصله وقيا، قلبوه للفرق بين الاسم والصفة... والتقيَّة عند بعض الفرق الإسلامية إخفاء الحق، ومصانعة الناس في غير دولتهم من التلف، وتقوى الله خشيته.[4]

المُتَّقي: من يقي نفسه عن تعاطي ما يعاقب عليه من فعل أو ترك، وأصل الاتقاء: الحجز.[5]

يعتبر هذا المفهوم من المتعارف عليه عند العرب ودلالته مما سبق هي مادية عندهم أول الأمر، وهي مجانية الشيء ووضع فاصل وحاجز للحماية منه.

---

[1] – أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس، ط 1، دار الجيل، ج 6، بيروت، لبنان، (د ت)، ص: 131.

[2] – سورة الإنسان، الآية 11.

[3] – الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ط 2، دار القلم، مادة وقى، بيروت، لبنان، 1997، ص: 881.

[4] – مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ط 2، ج 2، ص: 1052

[5] – شهاب الدين أحمد بن عماد بن الهاشم، التبيان في تفسير غريب القرآن، ط 1، دار الغرب الإسلامي، 2003، ص: 47.

نجد ذلك عند مجموعة الشعراء منهم: عنترة، مزرد بن ظرر الذبياني، المدار بن منقذ... إذ يقول عنترة في معلقته:

إذ يتَّقونَ بين الأسنَّةِ لم أَخِمْ عنها ولكنِّي تضايق مقْدمِي

ثم نجد التغير الدلالي للمفهوم عند زهير ابن أبي سلمى ليدل معنى أخلاقي وديني تربوي إذ يقول:

وقال سأقضي حاجتي ثم أتَّقِي عدوَّي بألف من ورائي مُلجمِ

ويقول:

من يجعل المعروف من دون عرضه يَفرهُ ومن لا يتَّقِ الشُّتم يشتمِ.

ب) التقـوى اصطـلاحــا:

هي الاستقامة على الطاعة لله ورسوله ﷺ بإخلاص، ومحبة وصدق وخشية لله بالغيب، وفق ما بين من أؤتمن على بيان القرآن، كما تعني الحرص على كل ما فيه قربة إلى الله تعالى،[1] وهي عند الفارابي علم القلب بقرب الرب.

فالتقوى هي: اسم جامع لفعل الطاعات، وترك المنكرات.

وقال أبو المسعود رحمه الله التقوى: كمال التوقي عما يضره في الآخرة، وقال المبار كفوري رحمه الله: التقوى أن يترك ما لا بأس به، خوفا مما فيه بأس، وقيل التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل.[2]

---

[1] – الصالح محمد الديب، التقوى في هدى الكتاب والسنة وسير الصالحين، ط 1، دار القلم، ج 1، 2000، ص:15.

[2] – محمد الصالح المنجد، أعمال القلوب، ط 1، الرياض، السعودية، 2017، ص: 91.

نرى من التعريفات السابقة أن التقوى محلها القلب، ولا تُنال بمجرد القيام بالأعمال الظاهرة، وإما تحصل باقتران الإيمان القلبي مع الأقوال والأفعال الظاهرة خشية ومراقبة وإجلالا للعلي القدير.

2) التحليل الصوتي لمفهوم التقوى:

وذلك من خلال خطاطة الربط التالية:

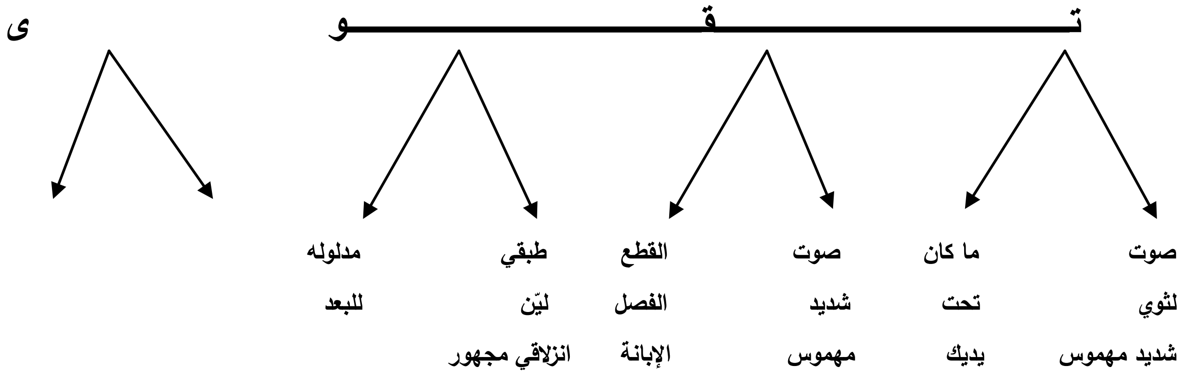

3) تحليل للمفهوم في السورة:

المثال 01: يقول تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[1]

أ- سبب النزول:

أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن متوكلون، ثم يقدمون، فيسألون الناس، فنزلت هذه الآية،[2] ويذكر ذلك أيضا الواحدي.

---

[1] – سورة البقرة، الآية 196.

[2] – أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط 2، دار الفيحاء، كتاب الحج، باب قوله تعالى: وتزود فإن خير الزاد التقوى، رقم 1523، الرياض، 1999، ص: 247.

ب- تفسير:

والمراد بالتقوى على هذا: اتقاء السؤال، وبذل ماء الوجه... وهو غير ظاهر من العبارة، بل المتبادر منها أن الزاد، هو زاد الأعمال الصالحة، وما تذكر من الخير والبر، [1] فكما أنه لا يصل المسافر إلى مقصده إلا بزاد يبلغه إياه، فكذلك المسافر إلى الله تعالى، والدار الآخرة، لا يصل إلا بزاد من التقوى، فجمع بين الزادين الظاهر والباطن، [2] فاللباس المعنوي ها هنا، هو الخشوع والطاعة والتقوى.[3]

يظهر من كل ما سبق أن مفهوم التقوى خير زاد للآخرة من خلال الخوف والطاعة لله، والعمل بما أنزل، وترك ما نهي، فهي زاد القلوب والأرواح.

وما دام زاد التقوى ذكر في سياق فريضة وموسم الحج وكرر اللفظ مرتين ليدل على قيمة والدور الكبير لهذه الفريضة وما يجني منها المؤمن الفائدة العظيمة والزاد المعنوي على الأقل، وهو خير زاد كما بينه سبحانه وتعالى، ليدل كذلك على أهمية العبادات المحسوبة وما لها من دور في تنمية الخوف والخشية من الله ومراقبته.

ج- الصورة الذهنية: التجسيم من خلال وصف المعنوي بالمحسوس.

فنجد في هذه الآية التصوير الفني البديع إذ يعبر عن المعنى الذهني والحالة النفسية والمفهوم المعنوي بالحادث والصورة المحسوسة والمشهد المنظور، فإذا المعنى الذهني حركة وهيئة ، فاعتبر التقوى زاد يحمله الإنسان لوقت الحاجة يعينه على مصاعب الطريق إضافة لبدء الآية بفعل الأمر الجمعي وتزودوا دلالة على الاستمرارية في أخذ الزاد مقرونة بأداة التوكيد إن وتكرار الزاد ما يزيد الآية تأكيدا وأهمية في حياة

---

[1] – محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الكريم، ط 1، دار المعرفة، ج 2، بيروت، 1993، ص: 229.

[2] – ابن قيم الجوزية، بدائع التفسير، ط 1، دار ابن الجوزي، المجلد الأول، 1427 هـ، ص: 170.

[3] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط 1، مكتبة الصفاء، ج 1، 2002، ص: 282.

المؤمن، وكما يقول رسول الله ﷺ "خيركم عند الله أتقاكم"، فنجد كلمة خير مقرونة بالتقوى، دلالة على خيريتها بأنها أفضل الخصال التي يجب أن يتصف بها المؤمن.

المثال 02: يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّـهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [1].

خطاب لجميع الناس ولم يميّز بين مؤمن وكافر بأن يعبدوه وحده، وأعطى لهم السبب الذي يعرفه كل مخلوق أنه خلقهم وخلق من قبلهم لعلكم تخلفونه.

فأمرهم بتوحيد الألوهية، وهو عبادته، واحتجّ عليهم بتوحيد الربوبية الذي هو خلق الناس الأولين والآخرين، وخلق السموات والأرض وما فيهما، وتسخير الرياح وإنزال المطر، وإثبات النيات، فلا يليق بهم أن يشركوا معه غيره ممن يعلمون أنه لم يفعل شيئا من ذلك ولا من غيره، فالطريق الفطريّ لإثبات توحيد الألوهية: الاستدلال عليه بتوحيد الربوبية، فالإنسان يتعلّق أولا بمصدر خلقه، ومنشأ نفعه وضره، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الوسائل التي تقرّبه إليه وترضيه وتوثق الصلة بينه وبينه، فتوحيد الربوبية باب لتوحيد الألوهية[2].

المثال 03: يقول تعالى: "ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم".[3]

سبب النزول: قال الكلبي، نزلت في عبد الله بن رواحة نهاه عن قطيعة فتنبه بشير بن النعمان وذلك أن ابن رواحة حلف أن لا يدخل عليه أبدا ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين

---

[1] سورة البقرة، الآية: 20، 21.

[2] صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، عقيدة التوحيد، ط 1، دار القاسم، السعودية، (د ت)، ص: 32.

[3] – سورة البقرة، الآية 222.

امرأته ويقول: قد حلفت بالله أن لا أفعل، ولا يحل لي إلا أن أبر في يميني، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[1]

تفسير: ومعنى الآية كان الرجل يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم أو إصلاح ذات البين... ثم يقول: أخاف الله أن أحنث في يميني فيترك البر، إرادة البر في يمينه. فقيل هذه الآية يعني حاجزا لما حلفتم عليه، وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين.[2]

أخرج بن جرير وابن المنذر وابن حاتم والبيهقي في مسنده عن ابن عباس، ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم، يقول: لا تجعلني عرضة ليمينك أن لا تضع الخير، ولكن كفر عن يمينك واصنع الخير.[3]

يتّضح مما سبق أن فعل الخيرات واجبة للمؤمن فهي تهدي للتقوى بكثرة أعمال البر المختلفة وما يرافقها من إخلاص وطمعا في مرضاة الله ليصبح المؤمن مطيعا لله ويخشاه، وهذه التقوى تؤدي بدورها إلى خير الأعمال هو إصلاح بين الناس، فالتقوى إذن حلقة وصل بين البر والإصلاح.

المثال 04: يقول الله تعالى: "ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون"،[4] قال الشعبي: كان بين حَيَّين من أحياء العرب قتال، وكان لأحد الحَيَّين طول على الآخر، فقالوا: نَقتل منا الحر منكم، والمرأة الرجل فنزلت: يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص.[5] تصور لنا هذه الآية مشهدا واقعيا في اقتصاد لغوي بديع، فذلك التطاحن والقتال الدموي في أعراق العرب، ونار الحقد بين الأطراف المتصارعة بسبب قتيل عندهم، تطور ليصير عداء بين القبائل وقطيعة وهجاء، تأتي هذه الآية بكلمتين

---

[1] – أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، ط 1، الإصلاح، الدمام، 1992، ص: 79.

[2] – أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف، المرجع السابق، ص: 130.

[3] – عبد الرحمان ابن كمال جلال الدين السيوطي، تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور، ط 1، دار الفكر، ج 1، بيروت، لبنان، 2011، ص: 642.

[4] – سورة البقرة، الآية 178.

[5] – أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، المرجع السابق، ص: 43.

القصاص، والحياة لتوقف حمام الدم وتعيد القلوب إلى بعضها، وتحفظ وتكرم الأنفس وما يلقَّى ذلك إلا المتقين الذين يخافون الله تعالى ويخشونه ويطيعونه.

مثال 05: قال الله تعالى: **﴿ وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى واتقونِ يا أولي الألباب.﴾**[1]

والتشبيه في هذه الآية تشبيه بليغ، تشبيه التقوى بالزاد بجامع التقوى والمشبه التقوى والمشبه به الزاد والأداة والوجه محذوفان، تقديرهما الكاف والتقوية والامتناع، وأما الزاد فيقوي لصاحبه، والتقوى تقوي النفس وتمنعها من المعاصي، والغرض من هذا التشبيه بيان حال المشبه وهو التقوى التي تشبه الزاد في كل تقوية.

تُجمع جميع الشروحات والتفاسير لدلالة لفظ التقوى، بأنها لا تخرج من إحدى الدلالات الآتية: الإيمان، خشية الله ومهابته، دوام الطاعة والتزام العمل، الصلاح.

فهذه الدلالات تعد مرتكزات التقوى وأبعادها المعرفية والنفسية والسيكولوجية والاجتماعية، الحضارية، القاضية لبناء شخصية المسلم متوازنة وفاعلة، والضامنة بتأسيس مجتمع سليم وقوي، والكفيلة بالإسهام في حضارة إنسانية كونية قائمة على قيم الخير والتعاون عليه، فهذا المفهوم إذن هو مفهوم إيجابي عملي، وليس تجريدا مثاليا، وليس مفهوما سلبيا يرتبط بالزهد والكف عن العمل.

فهذا المفهوم لم يأتِ من فراغ، بل من خلال الإيمان بالله حق الإيمان والعمل الصالح من صدقات وعبادات وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وهناك مواسم تزداد فيها التقوى وتنمو مثل الصوم، الحج، كما بينته الصورة الكريمة.

وهذه دلالات المعاني المشتركة لمفهوم التقوى:

أ- **الخشية** : فالخاء والشين والباء إذا قلبت تدل على العظمة، والخيش أي اللباس الغليظ،[1] فالخشية خوف مشوب بتعظيم المخشي، وصادر عن علم ويقين صادق بعظمته، حتى وإن كان الخاشي قويا.[2]

---

[1] سورة البقرة، الآية 196.

ب- الخوف : فغالبا ما يكون لأجل ضعف الخائف، وإن كان الذي يخيفه أمر يسير أو هين فالفاء والواو والفاء إذ قلبت تدل على الضعف.

ج- ملاحظة : يعتبر هذين المفهومين من المترادف وهو تتابع شيء خلف شيء فهو ترادُف.[3]

د- الطاعة : تستعمل لموافقة أمر الله، فلا تجوز العبادة لغير الله تعالى، والطاعة فعل المأمورات ولو نُدباً، وترك المنهيات ولو كراهة.[4]

هـ- الوقاية من الذنوب: بالابتعاد عن ما حرّم الله والاقتراب والدّنُوُّ إلى فعل الخيرات.

4) الـدلالــة المفاهيميــة لمفـهـوم التقـوى

يتضح من كل ما سبق من دراسة مفهوم التقوى، وتغيراته الدلالية المختلفة، أنه يعد من المشترك الدلالي، فالكلمة الواحدة لها عدة دلالات تحكمها علاقات مجازية.

فالمجاز هو الذي يؤدي إلى خروج المفردة عن معناها الحقيقي إلى معنى آخر وفقا لعلائق مختلفة تتباين في درجة الوضوح والخفاء.[5]

أمّا المعاني المستنتجة من مفهوم التقوى فهي حسب هذه الخطاطة الربط التالية:

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص220.

[2] – أبو عبد الله بدر الدين محمد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ط 1، إحياء الكتب العربية، ج 1، بيروت، لبنان، 1957، ص: 78.

[3] – ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج 11، ص: 13.

[4] – أبو البقاء الحنفي، الكليات، ص: 155- 156.

[5] – محمد شندول، الاشتراك اللغوي والمعنى السياقي، ط 1، جامعة قرطاج، تونس، (د ت)، ص: 5.

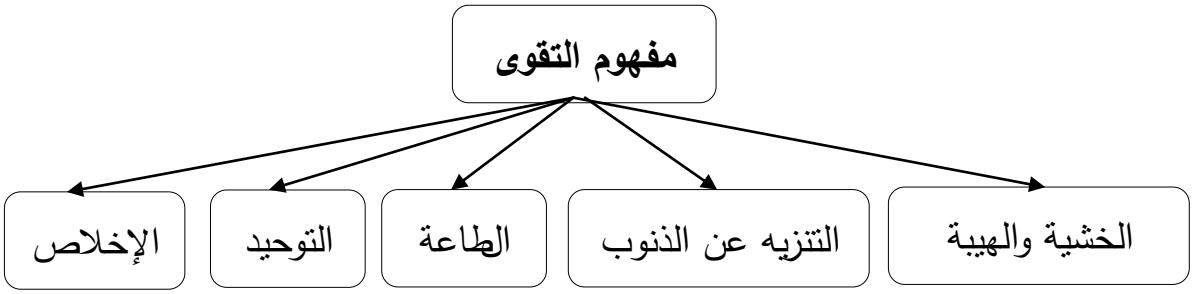

فهذه الدلالات الجديدة لم يكن أيام الجاهلية تحت مسمى التقوى، وما إن جاء القرآن ظهرت هذه الدلالات فهو تحول وتغير سريع، فهو انتقال من العام المادي المجرد إلى الخاص المعنوي (تخصيص الدلالة).

إن تقوى الله عن طريق الوصول إلى الله، هي سبب محبته ورضوانه... إن أهل التقوى هم أهل السعادة الحقيقية والشرف العظيم، فهي وصية الأولين والآخرين، وصى بها الأنبياء أقوامهم، وبها خير الدنيا والآخرة، فهي سبب تيسير الأمور وتفريج الكروب، وجلب الأرزاق.[1]

المبحث الثالث: مفهوم موسى في سورة البقرة

المطلب الأول: مفهوم موسى.

توارد لفظ موسى عليه السلام في السورة الكريمة ثلاثة عشر مرة، وهذه المواضع هي الآيات: 50، 52، 53، 54، 59، 60، 66، 86، 91، 107، 135، 244،

[1] إسماعيل حسني، مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم، ط1، مركز معرفة الإنسان، عمان- الأردن، 2017، ص94.

246، وكرر أو توارد في القرآن العظيم كلمة مائة وستة وثلاثون مرة، وهذا ملخص لمضمون الآيات التي ورد فيها المفهوم.

يقص علينا القرآن الكريم نبأ بني إسرائيل، وتبيانُ طغيانهم وعصيانهم وكفرهم بالله، فهم المخاطبون من قبل موسى عليه السَّلام، ومن مظاهر ذلك الكفر: اتخاذهم العجل إله من دون الله، طلبهم رؤية الله جهرة، كفرًا وتكبرًا، وعندما أمرهم الله على لسان نبيهم بذبح بقرة ليُريهم جرائمهم لعلهم يهتدون راوغوا وأكثروا الأسئلة، ولم يتقبلوا ذلك الأمر كعادتهم.

لتبيِّن الأربع آيات الأخيرة للمسلمين وتحذرهم أن لا ينساقوا وراء هؤلاء القوم، فلا إيمان لهم بدليل أوضحه، فحتى أجيالهم من بعدهم ورثت الكُفر والذل والهوان وكثرة الجدال والفتن، ومن يسايرهُم ويطيعهُم فقد خسر الدارين.

1) موسى لغة:

موسى اسم النبي صلوات الله على محمد نبينا وعليه وسلم، عربي، مُعرَّب، وهو "مز" أي ماء، و"سا" أي شجر، لأن التابوت الذي فيه وجد بين الماء والشجر فسمي به، وقيل: هو بالعبرانية موسى ومعناه الجذب لأنه جذب من الماء.[1]

وموسى بن عمران بن قاهث، من ولد لاوى بن يعقوب، كليم الله ورسوله وُلد بمصر زمن فرعون ملك العمالقة، وبينه وبين آدم عليه السلام ثلاثة آلاف وسبع مائة

[1] – أبي الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، ط 1، دار صادر، المجلد 6، مادة (موس) بيروت، لبنان، (د ت)، ص: 224.

وثمان عشرة سنة، وبين وفاته والهجرة ألفان وثلاث مائة وسبع وأربعون سنة... وهو بالعبرانية موشا (فمو): هو الماء، و(سا) الشجر...[1]

2) حياته:

فحين ولدته أمه خافت عليه من بطش فرعون لأنه كان يقتل الذكور منهم، فألقتْه في اليم، ليلتقطه آل فرعون، فأراد قتله حين نظر إليه وأوجس منه خيفة، لكن امرأته عارضته على ذلك وأبدت إعجابا به وقرَّرت تربيته فعاش متنقلا بين أحضان أمه ترضعُه وتأخذ عليه أجرا رحمة الله بهما وبين قصر الملك، فلما بلغ اشدَّه أتاه الله النبوة والحكم وبعثه لبني إسرائيل نبيا.*

3) فضـلـه:

أما فضله غزير، شهير، فهو من أكثر الأنبياء ذكرا وتواردا في القرآن الكريم، ذكره المفسرون أمثال الطبري والألوسي والشوكاني وغيرهم، لكني أورد ما ذكره الله عز وجل في فضله بقوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا ورسولا نبيا ﴾،[2] ويقول أيضا: ﴿ولقد فتنا قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ﴾،[3] وبوصف بالقرب والمناجاة والمحبة

---

[1] – محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، ط 1، مطبعة حكومة الكويت، تح: محمود محمد الصنادي، 2004، ص: 524.

* – لمزيد من المعلومات فيما يخص حياة موسى عليه السلام بالروايات التوارثية والقرآنية ينظر لكتاب، فراس السواح، القصص القرآني ومتوازياتها التوراتية، ص: 75.

[2] –سورة مريم، الآية 51.

[3] – سورة الدخان، الآية 16.

والاصطفاء والإيمان والصلاح والهدى والرحمة وقول الحق والإخلاص والضِّياء والسلطان المبين والميثاق الغليظ والوجاهة.[1]

4) التحليل الصوتي لمفهوم موسى:

وذلك من خلال خطاطة الربط التالية:

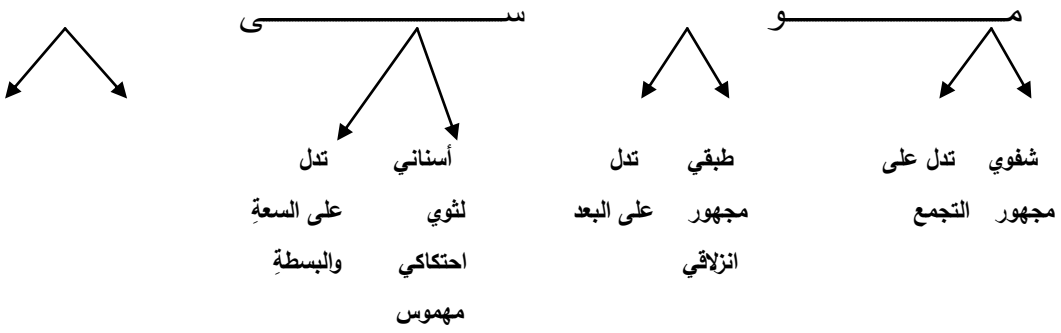

فدلالة الميم الشفوية المتصلة بالواو، حيث يخرج الهواء منطلقا للبوح بأعماق النفس تدل على الجمع والضم، أما السين التي تدل على السعة والبسطة، من خلال ذلك يتضح أن المفهوم يدور حول قوة موسى وصبره، وبين دعوته لدين الله الواحد.

5) التحليـل الـدلالـي لمفهـوم لفـظ مـوسـى:

المثال 01: يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾[2]. المواعدة مفاعلة من الجانبين، وهي مناجاة موسى لربه أربعين ليلة

---

[1] – أبي البقاء محمد بن برهان المقدسي الشافعي، الدرر النظيم في أخبار موسى الكليم، ط 1، دار الكتب العلمية، تح: محمود علي محمود العلو، بيروت، لبنان، (د ت)، ص: 158.

[2] – سورة البقرة، الآية 50.

تمهيدا لإعطائه التوراة، [1] وهذا التذكير يحمل في طياته التعجب من أمرهم، لأنهم قابلوا نعم الله بأقبح أنواع الكفر والجهالة، حيث عبدوا في غيبة نبيهم ما هو مثال في الغباوة والبلادة وهو العجل، وجملة وأنتم ظالمون حالية مقيدة لاتخذتم، ليكون اتخاذهم العجل معبوداً، مقرونا بالتعدِّي والظلم، [2] فموسى كليم الله من أكثر الأنبياء تواردا في القرآن الكريم، فقد استدعاه الله عز وجل، لهذا التربص أربعين يوما استعدادا روحيا ونفسيا لهؤلاء القوم الأكثر ظلما وقسوة وعصيانا لأنبيائهم قتلا وصدودا، الذين لم يلبوا أن عبدوا العجل بعد مغادرته.

﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.[3]

فموسى هو رسول الله لبني إسرائيل، وصاحب شريعة التوراة، وهو موسى بن عمران ولد بمصر في حدود سنة ألف وخمس مائة قبل ميلاد عيسى، وأمه تسمى "يوحانذ"، وكان زوجها قد توفي حين ولدت موسى، وتزوج من كبربا بنت شعيب، بعدها بعشرة سنين أوحى الله إليه أن يخر لبني إسرائيل بمصر وينقذهم من ظلم فرعون.[4]

والفرقان مصدر بوزن فعلان مشتق من الفرق، وهو الفصل أُستعير لتمييز الحق من الباطل... والظاهر أن المراد هنا المعجزة أو الحجة... وقوله لعلكم تهتدون، هو محل المنة والنعمة عليهم، [5] فهنا تذكير متواصل ومحاولة إقامة الحجة والمسؤولية لعلهم يرشدون ويهتدون.

---

[1] – محمد سيد طنطاوي، تفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط 1، دار المعارف، المجلد الأول، بيروت، لبنان، 1996، ص: 120.

[2] – محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص: 798.

[3] – سورة البقرة، الآية 52.

[4] – محمد الطاهر بن عاشور مرجع سابق، ص: 499.

[5] – المرجع نفسه، ص: 503.

المثال 02: يقول الله تعالى: وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون.[1]

الآيات صريحة في أن نزول الشريعة كان بطور سينا وأن خروجهم كان ليعطيهم الأرض المقدسة التي كتب الله لهم، والمراد بالمواعدة هنا أمر الله موسى أن ينقطع أربعين ليلة لمناجاة الله تعالى، وعطف يتم للتراخي الترتيبي، إنما اتخذوا العجل تشبها بالكنعانيين الذين دخلوا إلى أرضهم وهم الفينيقيون سكان سواحل بلاد الشام، فإنهم كانوا عبدة أوثان وكان العجل مقدسا عندهم، وكانوا يمثلون أعظم الآلهة عندهم بصورة إنسان من نحاس له رأس عجل جالس على كرسيه لا يتفطن لها الناس، فكانوا يقربون إليه القرابين، وربما قربوا إليه أطفالا صغارا، فإذا وضع الطفل على ذراعيه اشتوى فظنوا ذلك أمارة قبول القربان فتبا لجهلهم وما يصنعون.[2]

برغم البراهين العظيمة التي رأوها رؤيا العين إلا أن إيمانهم ضعيفا، وأشربوا في قلوبهم حبّ عبادة الأوثان. يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾.[3]

وهو قتل بعضهم بعضا، وروي أن الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره فلم يكن المضي لأمر الله إليه فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها... فقتلوهم إلى المساء، حتى دعا موسى وهارون وقالا يا رب، هلكت بنو إسرائيل البقية، البقية، فكشفت السحابة، ونزلت التوبة... وكانت القتلى سبعين ألفا، وهذه الفاءات الأولى، الأولى

---

[1] – سورة البقرة، الآية 50.

[2] – الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص: 50.

[3] – سورة البقرة، الآية 53.

للتسبيب لأن الظلم سبب التوبة، والثانية للتعقيب، والثالثة متعلقة بمحذوف، فكان فيه من التقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم، إلى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة، أبلد من ذكور، حتى عرفوا أنفسهم لسخط الله، [1] فالذي لا عقل له وحط من قيمته فكان عبدا لحيوان لا يستحق العيش.

أ) التهكم:

"وإذ واعدنا موسى" تذكر لنا الآية قصة عبادة القوم للعجل بعد مغادرة نبيهم، ففي ظاهر القول تذكير وحكاية القصة، ولكن المقصود بذلك والمعنى الباطن هو التهكم، بأنهم قوم ظالمون لأنفسهم، لم يستطيعوا انتظار نبيهم الذي أنقذهم من بطش فرعون ويريد لهم الخير دائما. فهو توبيخ لصنيعهم باتخاذهم العجل إله.

المثال 03: يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّـهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[2]

الواو عاطفة، إذ ظرف زمان معطوفة، موسى فاعل، والجملة مضاف إليه، [3] فكلام موسى هو تحريض على التوبة لأنها رجوع عن المعصية ففيها معنى الشكر... وقوله فتاب عليكم هو تذكيرهم بالنعمة، وعطف الفاء إشارة إلى تعقيب جرمهم بتوبته تعالى

[1] – الزمخشري، تفسير الكشاف، المرجع السابق، ص: 77.

[2] سورة البقرة، الآية 53– 54.

[3] – أحمد عبيد الدعاس وأحمد حمد حميدان وآخرون، إعراب القرآن الكريم، ط 1، دار النمير للطباعة، سوريا، دمشق، 2004، ص 28.

عليهم، وعدم تأخيرها إلى ما بعد استئصال جميع الذين عبدو العجل، وجملة إنه هو التواب الرحيم خبر وثناء على الله، وتأكيده بحرف التوكيد.[1]

فهذه دعوة وخطاب النبي موسى عليه السلام للتوبة من الظلم المرتكب، ولا يقبل الله سواها، تزكية وتطهيرا للنفس، [2] فجاءهم باللين واللطف وذكرهم أسباب خطئهم وعلل ذلك بـ: ذلكم خير لكم عند بارئكم، تعليلية وتحريضية على الامتثال والطاعة، وبرغم جرمهم وعبادتهم الأصنام إلا أن الله تاب عليهم بعدما صدر منهم صدق توبتهم.

أ) مفارقة أسلوب الحكيم:

ويتم ذلك بالتخلص من العثرات والمواقف المحرجة، وقد تحمل معاني عدة يفهمها المتلقي.[3]

في قوله تعالى: "وإذ قلتم يا موسى لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون"، كثر طغيان والكفر بالقوم فطلبوا رؤية الله عز وجل، شروط الإيمان فما كان من جواب لهم سوى العذاب الأليم وهم ينظرون، فترك الإجابة المباشرة، والإعراض عن ذلك لأنه لا ينفع معهم بعدما وصلوا إلى هذه الدرجة من العصيان والطغيان سوى إتيان بخبر هو أنفع منه.

[1] – الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص: 505.

[2] – أبي القاسم عبد الكريم القشيري تفسير القشيري، ص: 146.

[3] عاصم شمادة علي، المفارقة اللغوية في معهود الخطاب العربي، مجلة الأثر، ع10، ماليزيا، دت، ص10.

ب) المفارقة البنائية:

وهي تعتمد على معرفة مقصد المؤلف الساخر، الذي هو من نصيب المستمع، ومن مظاهرها في النص القرآني أن يجعل النص القرآني المحكم متكلما آخر ينزل بغيره تهكما، فيصير هذا التهكم ذاته وقد انقلب إلى تهكم بالمتكلم الأول نفسه، وهذا التهكم يخفي على المتكلم أو يجهله لكنه مدرك لدى متلقي النص [1]، وهذا ما حدث في الآية الثانية، حينما كفر القوم وطلبوا رؤية الله عز وجل، فأخذتهم الصاعقة مباشرة، تقريظا واحتقارا لفعلهم الشنيع الذي ليس له رد إلا العقاب لعلهم يرجعون.

المثال 04: يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾،[2] طلب السقيا عند عدم وجود الماء أو حبس المطر، وذلك عن طريق الدعاء لله تعالى في خشوع واستكانة،... وكانت العيون اثني عشرة عينا، لأن بني إسرائيل كانوا اثني عشرة سبطا، ففي هذا الانفجار إكمال للنعمة عليهم، حتى لا يقع بينهم تنازع كل قد علم مكان شربه فلا يتعداه، إرشاد وتنبيه إلى حكمة الانقسام.[3]

بعد ما رحمهم الله من قلة الماء الذي به تستمر وتزدهر الحياة أمرهم بالشكر وعدم الفساد لتبين هذه الآية رحمة موسى عليه السلام بقومه، وأنه يريد لهم الخير والفلاح، فأظهر الله من خلاله هذه المعجزة ليرجعوا إلى الله ويؤمنوا به.

---

[1] المرجع السابق، ص08.

[2] – سورة البقرة، الآية 59.

[3] – محمد سيد طنطاوي، تفسير الوسيط للقرآن الكريم، ص: 146.

إن الذي قدر على إخراج الماء من الصخرة الصماء، كان قادرا على إروائهم ماء ولكن لإظهار أثر المعجزة فيه، وإيصال محل الاستغاثة إليه.[1]

المثال 05: يقول الله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾.[2]

أ- سبب النزول : قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي أمية ورهط من قريش، قالوا يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبا، ووسع لنا أرض مكة، وفجر لنا الأنهار خلالها تفجيرا نؤمن لك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[3]

أم حرف عطف خاص بالاستفهام وما في معناه هو التسوية، والاستفهام الذي يعد هاهنا إنكار وتحذير، فهو خطاب للمسلمين بقرنية رسولكم فيكون التحذير من تسلسل الأسئلة كما فعل بنو إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام الفضية للكفر فقد وقع في الارتداد والشبهات.[4]

ويذكر الزمخشري في قوله تعالى: ومن يتبدل الكفر بالإيمان، من ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها، [5] فكثرة الأسئلة والجدال، يجلب لصاحبه الشبهات والظلال والتشبه باليهود، وهي صفات غير حميدة يجب على المؤمن الابتعاد عنها.

---

[1] – أبي القاسم عبد الكريم القشيري، تفسير القشيري، ص: 48.

[2] –سورة البقرة، الآية 107.

[3] – أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، مرجع سابق، ص 34.

[4] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، المرجع السابق، ص: 668.

[5] – الزمخشري، الكشاف، ص: 91.

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.[1]

التابوت صندوق التوراة، وكان موسى عليه السلام، إذا قاتل قدمه، فتسكن نفوس قومه ولا يفرون، أما قوله تعالى: "وبقية" هي رضاض الألواح، وعصا موسى، وثيابه، وشيء من التوراة، وكان رفعه الله تعالى بعد موسى، وهم أنبياء بني إسرائيل بعده يستفتحون به، فلما غيرت بنو إسرائيل غلبهم عليه الكفار، أما قوله آل موسى وآل هارون، قلت الأنبياء من بعد يعقوب بعدهما، ويجوز أن يراد مما تركه موسى وهارون، والآل مقحم لتفخيم شأنهما.[2]

فبنوا إسرائيل كعادتهم لا يؤمنون بأنبيائهم فأراد نبي لهم أن يثبت لهم أن طالوت ملكا لهم يقودهم للحرب، وآيته أن يأتي لهم بالتابوت وما فيه تحمله الملائكة ليزدادوا سكينة وقوة، فهم مقبلون على حرب مع عدو لهم، سلبهم كل حقوقهم، ربما هذا الدليل والمعجزة يزدادوا بها إيمانا.

تعتبر الشخصية الأبرز في العملية التواصلية، والأهم هي شخصية موسى عليه السلام، وهو مرسل الخطاب من قبل الله تعالى إلى بني إسرائيل وليس لفرعون الذي لم يذكر إلا في آيتين متتابعتين حين هلاكه، فالدعوة والرسالة كانت لقومه من أجل حياة أفضل لهم وترك ما ورثوه من أخلاق سيئة وكفر وعقائد باطلة، فكان لهم نعم الداعية يرجوا ويعمل لهم الخير دائما، كتفجير الماء لهم حين أهلكهم الظمأ، وإنقاذهم من فرعون

[1] – سورة البقرة، الآية 246.

[2] – الزمخشري، مرجع سابق، ص: 142.

كل مرة، والدعاء لهم، فكان صابرا برغم كفر قومه وعنادهم وهذه أهم الصفات والدلالات المفاهيمية المستخرجة من الآية الكريمة.

الآية	دلالتها
50	– أربعون يوما كافية للتحضير الروحي والنفسي لتحمل الرسالة الإلهية، ونقض قومه اليهود بعبادتهم للعجل.
52	– شريعة الله تعالى لموسى عليه السلام هي التوراة فيها هدى وبرهان
53	– القول اللين لقومه، بتشخيص الداء بذكرهم أخطاءهم والسبب في ذلك وإعطاءهم العلاج المناسب، وتبشيرهم بالعفو والتوبة عنهم، لعلهم يرجعون.
54	– مواصلتهم للعناد والجدال، ومخاطبتهم لسيدنا موسى عليه السلام، لكن الأمر والعقاب جاء من عند الله تعالى، لأن الأمر فيه كفر ظاهر وبين لا يحتاج لنقاش معهم.
59	– من بين معجزاته أنه شق لقومه اثنتا عشرة عينا، كل قد علم مشربه، لم تعجبهم بيئتهم عصيانا وقتلا وفسادا في الأرض، وعدم شكران النعم فأمرهم الله بتغييرها، إلى مصر فإن لهم ما سألوا.
60	
66	– أمرهم موسى بذبح بقرة لله، فأكثروا السؤال.
86	– شريعة موسى التوراة لقومه والذين جاؤوا من بعده من الأنبياء لبني إسرائيل، لم يزد القوم إلا كفرا وعدوانا.
244	– لم يتغير بنو إسرائيل بعد موسى عليه السلام من نقض للعهود، والخيانة

246	وكثرة الجدال والخوف من الحروب. – إرث الأنبياء فيه البركة والحق والسكينة والهدى، وهذه الآية تتناسب مع الآية الأولى في ذكر موسى عليه السلام، التي خطر الله له إعداده للرسالة السماوية في أربعين يوما، ما زاد لقصته انسجاما تاما.

6) التطـور الـدلالـي لمفـهـوم مـوسـى:

تندرج ظاهرة الاشتقاق تحت ظاهرة التطور اللغوي العام، وهي محاولة لتفسير العلاقة بين أصوات الكلمات ومدلولاتها، إذ يقوم بتفسير بعض التطورات الدلالية،[1] ويعتبر مفهوم موسى وتشكل دلالته من الاشتقاق الدلالي، وسمي موسى لأن التابوت الذي كان فيه بين النقطة آل فرعون وجد في ماء وشجر والمو: هو الماء بلغتهم، والسا: هو الشجر بلغتهم.[2]

فهو إذن اسم مركب من كلمتين مو، سا، جاء محاكاة للطبيعة التي وجد فيها سيدنا موسى عليه السلام، وقيل هو اسم في اللغة المصرية القديمة، ومعناها الطفل.[3]

وأصبح هذا اللفظ متداول في أشعار العرب فنجد مثلا عبد الله بن رواحة يقول:

فثبَّتَ الله ما أتاكَ من حُسنٍ تثبيتَ موسى ونَصرٍ كالذي نُصِروا.

فانتشر المفهوم عند العرب بفضل القرآن الكريم، بعدما كان المفهوم عبري، ونستطيع أن ندرجه أيضا ضمن الدخيل، لأنه كما قلت ليس لفظا عربيا بل هو عبري، فصار متداولا عن العرب، فاشتق منه كثير من الناس أسماء لهم أو ألقاب.

---

[1] – عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي، ط 1، مكتبة المنار، الأردن، 1958، ص: 61.

[2] – أبي عبد الله محمد النابلسي، مبهمات القرآن، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ت)، ص: 56.

[3] – ابن عبد السلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ط 1، شركة القدس للنشر، القاهرة، (د ت)، ص: 226.

ووجود ألفاظ في البيئة العربية وأخرى مولدة، دليل واضح على أثر العوامل السياسية والاجتماعية... فهي حياة كل لغة من خلال التجارة، الشعر، ظهور الإسلام.

فظاهرة الدخيل يمكن تفسير بها كثير من الكلمات التي وردت في القرآن الكريم وفي الشعر الجاهلي قبله. [1] وعلى كل تظهر أصوات المفهوم واضحة سهلة المخرج من طرف الفم ووسيطه، لا يوجد فيه أي تعقيد لذلك ترك على حاله لم يتغير.

المطلب الثاني: مفهوم إسرائيل في السورة الكريمة.

فجاءت كلمة إسرائيل في القرآن الكريم مقرونة بكلمة بني في القرآن الكريم إحدى وأربعون مرة، أما في سورة البقرة فذكرت ست مرات مقرونة ببني إخبارا عن بني إسرائيل.

وإذا نظرنا إلى هذه المواضع التي وردت فيها كلمة (بنو إسرائيل) فإننا نجد أنها كانت تعرض أطرافا ولقطات ومشاهد من تاريخ بني إسرائيل، ابتداء مما قبل موسى عليه السلام إلى ما بعد بعثة عيسى عليه السلام، [2] وهذه الآيات هي: الآية 39، 46، 82، 121، 209، 244.

وهذا شرح موجز لهذه الآيات: أنعم الله على بني إسرائيل جعلهم خير الأمم وأعطاهم ما لم يعط أحدا من العالمين فضلل عليهم الغمام في شدة الحر، وأنزل عليهم المن والسلوى عساهم يؤمنوا ويتعظوا، وأمرهم ببعض العبادات والطاعات من عدم الشرك به وطاعة الوالدين والإحسان لليتامى والمساكين وذي القربى والقول الحسن، لكنهم كفروا بأنعم الله، وجحدوا بها، ولم تفلح معهم النداءات من رسلهم فما زادهم إلا استهزاء بالله

[1] – عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي، مرجع سابق، ص: 63.

[2] – صلاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، ط 1، دار القلم، دمشق، 1419 هـ، ص: 34.

ورسله والمؤمنين فسألوا الله القتال وهو منهي عنهم لكنهم نكصوا ولم يقاتلوا ولم يتعظوا بالأمم السابقة بسبب شركهم وعدم إخلاصهم لله.

1) الدلالة اللغوية لمفهوم إسرائيل:

(إسرائيل) اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وقد ذكروا أنه مركب من إسرا وهو العبد وإيل اسم من أسماء الله تعالى فكأنه عبد الله وذلك باللسان العبراني، فيكون مثل جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، قال ابن عباس، وقيل معنى إسرا، صفوة، وإيل الله تعالى، فمعناه صفوة الله، روي ذلك عن ابن عباس وغيره، وقال بعضهم إسرا مشتق من الأسر وهو الشد فكان إسرائيل معناه الذي شده الله وأتقن خلقه، وقيل أسرى بالليل مهاجرا إلى الله تعالى فسمي بذلك، وقيل أسر جنيا كان يطفئ سرج بيت المقدس وكان اسم الجني إيل فسمي إسرائيل وكان يخدم بيت المقدس، وكان أول من يدخل ويخرج قاله كعب، وقيل أسري بالليل هاربا من أخيه عيصو إلى خاله...

وإسرائيل هو يعقوب، [1] وهو من المفاهيم المرادفة لليهودي عند كثير من الدارسين، [2] ولفظ إسرائيل، قد استعمل مرادفا لبني إسرائيل منذ أيام يعقوب، ومن أبناء يعقوب تكونت أمة بني إسرائيل، وكانوا على ديانة أبيهم يعقوب وشريعة جدهم إبراهيم عليه السلام.[3]

يظهر ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ

---

[1] – محمد بن يوسف الشهيداني عيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط 1، دار الكتب العلمية، ج 1، بيروت، لبنان، 1993، ص: 325.

[2] – المقريزي تقي الدين، تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، ط 1، دار الفضيلة، القاهرة، 1997، ص: 18.

[3] – عرابي رجا، سفر التاريخ اليهودي، ط 1، الأوائل للنشر، سوريا، 2004، ص: 73.

إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾،[1] وإسرائيل هو اسم يعقوب عليه السلام، والد يوسف الصديق، وإليه ينتسب اليهود.[2]

2) التحليل الصوتي للفظ إسرائيل:[3]

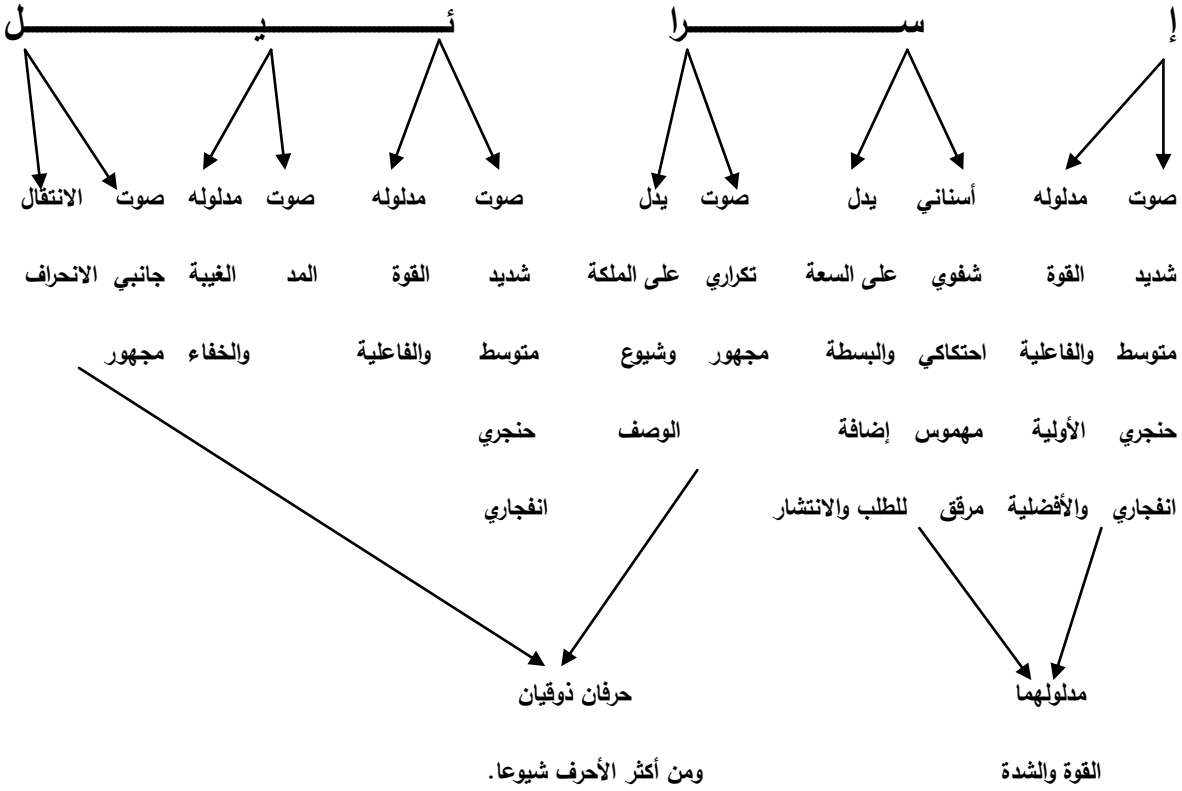

تحكي معاني أصوات المفهوم الجهرية كما تبين لنا الخطاطة على قوة وانتقال القوم من مكان إلى آخر، هذه القوة المتمثلة في نعم الله على قوم بني إسرائيل وتكرار وشيوع جحودهم، كما يوضحه حرف الراء المتصل بالمد، فالياء بعد ألف المد توحي بكثرة

---

[1] – سورة البقرة، الآية: 133.

[2] – محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط 1، السعودية، (د ت)، ص: 108.

[3] منال نجار، القيم الدلالية لأصوات الحروف في العربية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مج 24، ع09، 2010، ص24.

الطلب والجدال والإلحاح على المعصية، وأنهم لم يشكروا نعمه، فكانت عاقبتهم التيه وعدم الاستقرار، كما يوضحه صوت اللام في آخر المفهوم.

3) التحليل الدلالي لمفهوم إسرائيل:

المثال 01: يقول الله تعالى: "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون".[1]

إسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب له، ومعناه في لسانهم صفوة الله، وقيل عبد الله، وهو بزنة إبراهيم وإسماعيل غير منصرف مثلما لوجود العلمية والعجمة، وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الإنجاء من فرعون وعذابه، ومن الغرق ومن العفو باتخاذهم العجل، والتوبة عليهم وأوفوا بما عاهدتموني عليه من الإيمان بي والطاعة لي، أوف بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب، فلا تنقضوا عهدي.[2]

فالإحالات العديدة بمميزاتهم وهم في ما يقارب عشرين آية تعود لهؤلاء القوم دلالة على محوريتهم ومركزيتهم في السورة،[3] جرت سنته أن يناديهم بنداء العلامة في الخطاب لقوم موسى عليه السلام، يا بين إسرائيل، يعقوب يذكر الله تعالى خطاب بني إسرائيل بعد ذكر قصة آدم وهبوطه للأرض، وكان هؤلاء القوم هو أول الأمم بالامتحان في هذه الأرض، فذكرهم بنعمه الجليلة وأن يؤمنوا به ليجزيهم أحسن ما عملوا.

ليعيد التأكيد والذكر في الآية 46، خطابهم لهم بذكرهم لنعمه وأن فضلهم على العالمين وذلك أكبر نعمة، هذه الأخيرة التي تقرن دائما بالله تعالى.

---

[1] – سورة البقرة، الآية: 39.

[2] – أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف، مرجع سابق، ص: 73.

[3] – أبي القاسم القشيري، تفسير القشيري، المسمى لطائف الإشارات، ص: 65.

المثال 02: يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾.[1]

فميثاق بني إسرائيل أريد به أسلافهم بامتثال ما أنزل الله من التوراة، وكذلك المراد ببني إسرائيل المتقدون والمتأخرون منهم، فأول ميثاقهم لا تعبدون خبر في معنى الأمر.

وكذلك بالوالدين إحسانا هو أمر مؤكد لما دل عليه تقديم المتعلق على متعلقه، هما بالوالدين إحسانا، ثم توليتم خطاب للحاضرين، والتولي الإعراض وعدم الالتزام، إلا قليلا منكم، إنصاف من حافظ على العهد،[2] فهذا الميثاق لم يتعهدوا به ولم يوفوا به.

المثال 03: يقول الله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾،[3] "سل" أمر الرسول ﷺ أو لكل أحد، فهو سؤال تقريع لتلك الآيات على أيدي أنبيائهم وهي معجزاتهم، وهي شاهدة على صحة دين الإسلام.

وكما تحتمل الأمرين استفهامية وجبرية تفيد التقرير.[4]

والسؤال هنا قد لا يكون مقصورا على حقيقته، إنما هو أسلوب من أساليب البيان للتذكير بكثرة الآيات والخوارق، اسم ما كان منهم إلا التردد والتلكؤ ونكوص عن السلم الذي يظل كنف الإيمان[5]، فهؤلاء القوم برغم التذكير بالنعم التي أغدقها الله عليهم بجعلهم

---

[1] – سورة البقرة، الآية: 82.

[2] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص: 584.

[3] – سورة البقرة، الآية: 209.

[4] – الزمخشري، تفسير الكشاف، مرجع سابق، ص: 124.

[5] – سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 250.

شعب الله المختار، إن تمسكوا بكتابهم المنزل على نبيهم موسى عليه السلام، وأتاهم من خيرات الأرض، لكنهم أعرضوا عن ذلك وزادوا عن ذلك بأن بدلوا نعمه بأن حرفوا التوراة ولم يعملوا بها، وهذا أكبر ظلم ارتكبوه، فبتبديل النعمة يكون عاقبتها الزوال.

أ- التهكم:

وهو إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال، ففي الآية الكريمة قوله تعالى: "سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب"، فهو حكاية وأخبار عن قوم بني إسرائيل بكثرة النِّعم التي حباهم الله تعالى بها، لكنهم لم يرعوها حق رعايتها، فتذكر الآية التحذير والوعيد لمن لا يشكر الله ولا يحافظ على نعمته، كما فعل بنو إسرائيل، فهذا توبيخ وتقريع لهم، فالمعنى غير المباشر هو كفرهم الذي يستحقون عليه العقاب.

المثال 04: يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾[1].

"لنبي لهم" هو يوشع أو شمعون آو اشمويل "ابعث لنا ملكا أنهض للقتال معنا أمير بصير في تدبير الحرب، "عسيتم"، ألا تقاتلوا بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال، وقد أخرجنا من ديارنا وأبناءنا، ذلك أن قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم، فأسروا

[1] – سورة البقرة الآية ص 244.

من أبناء ملوكهم 440 والله عليم بالظالمين، وعيد لهم على ظلمهم والقعود عن القتال وترك الجهاد[1].

فهذه الحماسة البالغة ما لبثت أن انطفأت شعلتها وتهاوت على مراحل الطريق ... فهذه الظاهرة البشرية في المجتمعات التي تبلغ تربيتها الإيمانية مبلغا عاليا من التدريب ... فلا بد من أن لا يقف الاندفاع مع أول ابتلاء، كما حدث مع بني إسرائيل ولم يلتزموا بما عاهدوا به، وهذه سيمتهم بالنكوص عن الوعد، والتفرق في منتصف الطريق[2].

يأتي الخطاب لنبي إسرائيل بعد ذكر قصة آدم عليه السلام وهبوطه للأرض وكأن هؤلاء أول الأقوام ابتلاء فيها والحق أنهم أكثرهم أنبياء فقد اختارهم الله وفضلهم على العالمين ليتمسكوا بكتابه.

فيأتي هذا الخطاب بأسلوب المصلحة والمنفعة المتبادلة التي يفهمونها اذكروا نعمتي عليكم وأوفوا بعهدي ذلك الميثاق ألا يعبدوا إلا إياه ولم يقل احمدوا أو اشكروا ولكن ذكر الذكر وهو الاعتراف القولي الظاهر والقلبي، وبالمقابل ستحصلون على الجزاء والثواب وتحصلون على حب الله ورضوانه ليضيف سبحانه وتعالى الرهبة والخشية منه، لأن عقابه شديد لكل من كفر به وتمرد زجرا لهم.

إن مفهوم الآية هو الخطاب الله لبني إسرائيل أن يتمسكوا بكتابه وأن يحمدوه ويخافوه ولهم الجنة على ذلك فهو مفهوم كلي ينطبق على كل المؤمنين.

المثال 05: يقول الله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

[1] – الزمخشري، تفسير الكشاف، مرجع سابق، ص 41.

[2] – سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 311.

وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾[1]، فهذا خطاب لليهود من رسول الله يذكرهم بأسلافهم الذين أخذ الله عليهم ميثاقه بالإيمان وعمل الصالحات لكنهم أعرضوا إلا قليلا منهم إنصافا من حافظ على العهد [2]، ترسم لنا الآية مشهدا متحركا لبني إسرائيل وكيف تراجعوا فتنصلوا من مواثيقهم ومعاهداتهم ليتطور الحال بهم للإعراض والصد عن سبيل الله إلا قليلا منهم أما في الآية المفهوم جزئي ينطبق على بني إسرائيل زمن موسى عليه السلام، وهو هنا تتطابق مع ما صدق الآية.

4) الدلالة العلائقية لمفهوم إسرائيل في السورة الكريمة:

رقم الآية	دلالة ما صدق (إسرائيل)	دلالة المفهوم (إسرائيل)
39	قوله تعالى "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وافوا بعهدي أوف ..." لما صدق خطاب لبني إسرائيل والوفاء بعهد الله والرهبة والخوف منه.	الإيمان بالله وعدم الكفر
82	قوله تعالى "وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله ...." الما صدق أخذ الله على بني إسرائيل الميثاق أن يؤمنوا به وبكل ما جاء به لكنهم أعرضوا	عدم الإيمان بالله ونقضهم للعهود

[1] – سورة البقرة الآية 82.

[2] – طاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 584.

209	قال الله تعالى "سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله ..." الما صدق كثرة النعم على بني إسرائيل وتوبيخهم على عدم المحافظة عليه.	وعيد لكل من يكفر بنعم الله ولم يحافظ عليها
244	قال الله تعالى "ألم ترى إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ..."	الخذلان وقض العهود حتى مع الأجيال اللاحقة لبني إسرائيل تشابهت قلوبهم

المطلب الثالث: مفهوم البقرة في السورة.

يُعتبر مفهوم البقرة، وهو عنوان السورة الجليلة، من أهم المفاهيم الممكنة تحليلها، لأنه بوابة الولوج في عالم الخطاب، فلا يمكن الدخول لتحليل خطاب دون النظر إلى العنوان، فهو مفتاح الخطاب وخارطته المبدئية.

1) مفهوم البقرة:

أ) العنوان لغة:

فابن فارس يعرفه بأنه: "يدل على ظهور الشيء وأعراضه، والآخر يدل على الحبس لأنه أبرز ما فيه وأظهره".[1]

[1] – ابن فارس، مقاييس اللغة، ط 1، تح، محمد عبد السلام هارون، بيروت، لبنان، 1979، مادة (عنن)، ص: 310.

ب) العنوان اصطلاحا:

أمّا اصطلاحا فهو مقطع لغوي أقل من الجملة يمثل نصا أو عملا فنيا. [1]

وبارتباطه باللغة فهو خلاصة الخطاب لا يتعدى الكلمة أو بضع كلمات تشرحه وتبين معالمه، فهو علامة لغوية تعلو النص لتسمه وتحدده وتغري القارئ بقراءته، [2] وهنا تبرز أدوار ووظيفة العنوان في تحديد معالم النص أو الخطاب الإجمالية، وجذب وتشويق المتلقي، فيجعله يغوص في أعماقه واستكناه خباياه.

أما توارد مفهوم البقرة في السورة الكريمة فقد جاء مذكورا خمس مرات، وهي من أكثر الحيوانات تواردا في القرآن الكريم في سورة واحدة، يليه لفظ العجل الذي ذكر أربع مرات يحتل المرتبة الثانية في عدد التوارد في سورة واحدة، مما يجعل البحث والتحليل في أسراره أمرا ضروريا في فهم السورة الكريمة، أما مواضع التي ذكر فيها اللفظ فهي في الآيات المتوالية: الآية 67 و68و69و70و71 من نفس السورة وهي:

1 -يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾.[3]

2 -قوله تعالى: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾[4].

---

[1] – سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية، ط 1، دار الكتاب اللبناني، الدار اللبناني، الدار البيضاء، 1995، ص: 155.

[2] – عبد القادر رحيم، علم العنونة، دراسة تطبيقية ط 1، دار التكوين، سوريا 2010، ص: 45.

[3] – سورة البقرة، الآية 67.

[4] – سورة البقرة، الآية 68.

3 قوله تعالى: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾[1]

4 قوله تعالى:﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ [2]

2) التحليل الصوتي لمفهوم البقرة:

من خلال الخطاطة التالية:[3]

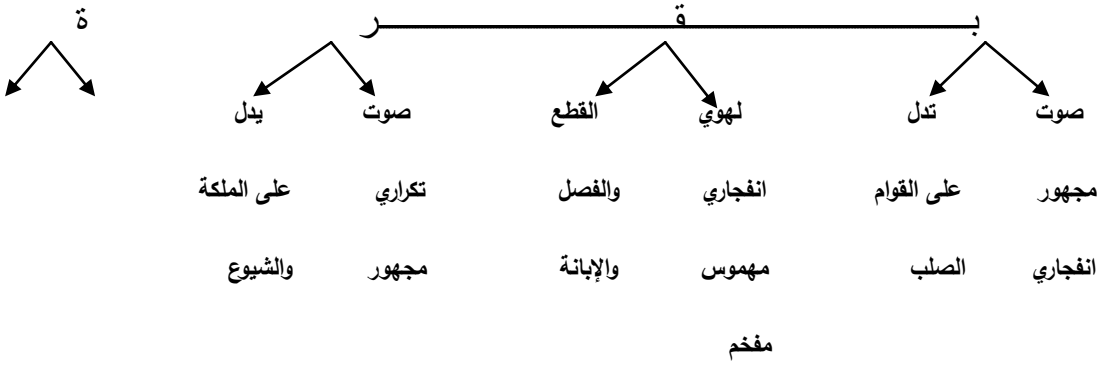

يوحي اقتران صوتَي الباء والقاف اللذان يمتازان بالجهرية والشدة بقوة وصوت البقرة الشديد، وعنفوانها، حيث ينحبس الهواء عند النطق، ويعيق مرور النفس، إضافة إلى شيوع وتكرار، واستمرارية صوتها القوي الشديد إضافة للحركات المفتوحة الثلاثة التي تدل على القوة.

---

[1] – سورة البقرة، الآية 69.

[2] – سورة البقرة، الآية 70.

[3] منال نجار، القيم الدلالية لأصوات الحروف في العربية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مج24، ع9، 2010، ص27.

المثال 01: قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون، ويذكر ابن القيم الجوزية عبر في هذا الخطاب:[1]

-أن الإخبار بها من أعلام نبوة الرسول ﷺ

-الدلالة على نبوة موسى عليه السلام، الدلالة على صحة ما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم، من معادن الأبدان وقيام الموتى من قبورهم.

-أنه لا ينبغي مقابلة أمر الله بالتعنت وكثرة الأسئلة، بل يبادر إلى الامتثال.

والملاحظ في هذه الآية القصد اللفظي الواضح، في براعة القرآن الكريم وبلاغته، فالنبي الكريم في معرض إقناع القوم، وحثهم على ذبح البقرة، دون جدال أو تماطل، ونلاحظ كذلك تكرار صوت القاف المجهور الشديد واتصاله بالمد، "قال، يقول" تتخللها أداة التوكيد مكررة، "إن، إنها" وما تحمله من غنة، دلالة على قوة النداء وإصراره على توصيل المعلومة بأقصد الكلمات إضافة للتأكيد والاستمرار، فالتواصل في الأحرف الشديدة، والرجاء والتلطف واللين في أحرف الغنة، زيادة على الحذف المتعمد لاسم الجلالة: "الله" في إنه يقول، وحذف الموضوع الرئيس البقرة، لعدم الإثارة والتعصب لهدف إيصال الفكرة سريعا لأذهان القوم قصد التأثير والإقناع، إضافة للصورة الحسنة التي رسمتها صفات البقرة في الآية الكريمة زادت استحسانا وقبولا لدى القوم، فدخلت الأذهان وارتاحت لها النفوس، خاصة مع وجود صوت السين الذي يفيد الانتشار زاد الصورة توسعة وامتناعا وإثارة.

---

[1] ابن القيم الجوزية، بدائع التفسير، مررجع سابق، ج01، ص215.

أ- مفارقة المفهوم والتصور:

فهي تدل على العملية العقلية التي يقوم بها الفهم لإدراك تلك المعاني أو تكوينها، وتبنى على موقف التعارض مع الضحية أو مفهومها للأشياء وعلى احتجاجها وغايتها النقد الأخلاقي والتهذيبي.[1]

ففي قوله تعالى: "وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزؤا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين".

فالآية الكريمة تبين الفهم الخاطئ والمعارض من قوم إسرائيل لنبيهم ومقصده، ولم يتخيلوا هذا الأمر بالذبح مع تعلقهم بالبقر وما علاقة الجريمة التي وقعت عندهم بالبقرة، لذلك نجدهم يستغربون ويتعجبون من هذا الأمر الغير مفهوم بقولهم أتستهزئ بنا.

ب- مفارقة السلوك الفردي:

ترسم لنا هذه المفارقة صورة السلوك الحركي الذي تقع منه أو عليه عناصرها أو مكوناتها من خلال حركة عضوية أو حركة جسمية عامة، تبرز فيها عناصر خاصة مثيرة للغرابة والسخرية، والمفارقة هنا تبين على رسم هذا السلوك الحركي الغريب في دوافعه ومسبباته والذي ينطوي على مغالطة شنيعة، رسما لغويا يبنى على دلالة ثانية.. [2]

إذ ترسم لنا الآية السبعون مدى التردد والارتباك الحاصل لدى القوم، بعد قبولهم بعملية الذبح، إثر وابل من الأسئلة قابلها حكمة وبلاغة النبي موسى عليه السلام، من خلال قوله تعالى: "فذبحوها وما كادوا يفعلون"، ومدلول كاد نفي مقاربة الفعل... وقد يستعمل نفيها للدلالة على وقوع الفعل بعد بطء وجهد... ومعناها كاد ما بفعل...وقوله

---

[1] عاصم شمادة علي، مرجع سابق، ص08.

[2] المرجع نفسه، ص09.

تعالى وما كادوا يفعلون ولم يقل يذبحون كراهية إعادة اللفظ تفننا في البيان، وهذا من غرائب الاستعمال الجاري على خلاف الوضع اللغوي.

ج- المفارقة بالتعريض:

ويذكر كذلك الطاهر بن عاشور في نفس الآية، وفي قوله تعالى: "وما كادوا يعقلون" تعريض بهم بذكر حال من سوء تلقيهم الشريعة تارة بالإعراض والتفريط وتارة بكثرة التوقف والإفراط، فاستخدموا أسلوب المواربة بكثرة أسئلتهم.[1]

المطلب الرابع: مفهوم العجل في سورة البقرة.

ورد ذكر لفظ العجل في القرآن الكريم عشر مرات، منها أربع مرات وردت في سورة البقرة.

ويعتبر هذا اللفظ الحيواني ثاني أكبر لفظ تكرر في السورة بعد لفظ البقرة، وهو من نفس الحقل الدلالي للمجترات التي تتكون من: البقرة، والضأن والماعز.

أما مواضع ذكر المفهوم فهي: الآيات: 50، 53، 91، 92.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾[2].

[1] الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، المرجع السابق، ص556.

[2] – سورة البقرة، الآية: 50

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾[2].

وقوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [3].

1) مفهوم العجل:

أ) العجل لغة:

والعجل ولد البقرة والجمع عجاجيل، والأنثى العجلة، وبقرة معجل أي ذات عجل وقيل سمي عجل لاستعجال بني إسرائيل عبادته، وكانت مدة عبادتهم له أربعين يوما، فعوقبوا في التيه أربعين سنة، فجعل الله كل سنة في مقابلة يوم[4].

---

[1] – سورة البقرة، الآية: 53.

[2] – سورة البقرة الآية 91.

[3] – سورة البقرة الآية 92.

[4] – الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ط 01، (د ت)، ص 574.

ذكر الخليل في العين: العجل، العجلة، وربما قيل: رجل عجل وعجل واستعجلته، أي حثته وأمرته أن يعجل في الأمر، وأعجلته وتعجلته خراجه أي كلفته أن يعجله ... والعجل عجل الثيران ويجمع على أعجال ... وقد تجيء في الشعر نعتا للإبل[1].

وقال تعالى ﴿عَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴾[2]، تقول عجلت الشيء أي سبقته وأعجلته استحثثته ... العاجلة: الدنيا، العجيلي، ضرب من السير السريع، المعجال من الحواصل، التي تضع ولدها قبل غناه ... وقال الليث الاستعجال طلب العجلة والعجل: عجل الثيران واحدته عجلة أبو عبيدة عن الكسائي ولد البقرة عجل و الأنثى عجلة، ويقال عجول وجمعه عجاجيل[3].

ذكر الزهري في تهذيبه عدة معاني للفظ عجل كانت معروفة عند العرب قبل الإسلام منها: تعجيل الأمر قبل حدوثه والإسراع والتسرع، وذكر معاني من بيئة العربي: الطين، النبات، الشجر ... ويذكر في آخر شرحه عجل الثيران، ولد البقرة من تضعه أمه إلى شهر، أما عند ابن فارس العين والجيم واللام أصلان صحيحان يدل أحدهما على الإسراع والآخر على بعض الحيوان، فالأول العجلة في الأمر يقال هو عجل وعجل لفلان واستعجلت فلان حثثته، وعجلته أي سبقته والعجالة ما تعجل من شيء، العاجلة الآخرة ... العجل ولد البقرة وفي لغة عجول والجمع عجاجيل والأنثى عجلة وعجولة، وبذلك سمي الرجل عجلا[4].

يذكر ابن فارس كسابقيه نفس العاني فيذكر في معنى عجل الإسراع، بعض الحيوان يقصد به الناقة، العجل، الحالي (الآني)، المنتج قبل أوانه، العجول: الوالدة التي

---

[1] – الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ط 01، دار الكتاب، ج 02، ص 163-164.

[2] – سورة الأعراف الآية 150.

[3] – ابي منصور محمد بن أحمد الأزهر الأزهري الهروي، تهذيب اللغة، ط 01، دار الكتب العلمية، تح: أحمد عبدالرحمان مخيمر، ج 01، مادة حرف العين المضاعف، الثلاثي الصحيح، بيروت، لبنان، ص 336 إلى 339.

[4] – أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، ص 714-715.

فقدت ولدها، تعدت ابن فارس على أصلين مختلفين في الجذر عجل، لا رابط بينهما في المعنى .... الإسراع والآخر على بعض الحيوان ولم يلحظ الصلة الدلالية بين الأصلين من المعنى الحسي إلى المعنى المجرد في الذهن فقد انتقلت دلالة عجل من الحيوان المعروف إلى معنى الإسراع[1].

ويذكر كذلك الباحث قدوري عبد أن مادة عجل أصابه انزياح في الدلالة فقد أصبح يدل على المدور من الأشياء بعد ما كان يدل على معنى العجلة وذكر انشقاق المادة في اللغات السريانية الآرامية الحبشية ...

ويذكر مرتضى الزبيدي في مادة عجل والعجل والعجلة محركتين: السرعة قال الراغب العجلة طلب الشيء وتحريه قبل أوانه ... حتى قيل العجلة من الشيطان العجلان: شعبان سمي بذلك لسرعة مضيه ونفاده بأن الصوم يفجأ في أخره ...

والعجل بالكسرة ولد البقرة قال الراغب: تصور فيه العجلة إذا صار ثورا وقال أبو خيرة هو عجل حين تضعه أمه إلى شهر ج عجاجيل والأنثى عجلة وعجولة وجمع العجل عجول والبقرة معجل كمحسن ذات عجل.

والعجلة بالتحريك: الآلة التي يجرها الثور العجول المنية [2].

يوضح بإسهاب مادة عجل ليضيف عن سابقيه العجلة في القرآن مذمومة وفي العبادة محمودة وذكر العجلة الدولاب والعجلة الآلة التي يجرها الثور ويذكر ابن منظور عجل: العجل والعجلة: السرعة خلاف البطء والاستعجال الاستحثاث وطلب العجلة.

---

[1] – حسام قدوري عبد، تأصيل الجذور السامية وأثره في بناء معجم عربي حديث، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، دت، ص 121.

[2] – محمد مرتضى الحسيني الوسيطي الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ط 01، دار إحياء التراث العربي، تح: إبراهيم الترزي، بيروت لبنان، 1984، ص 251 إلى 257.

والعاجل نقيض الآجل وهي الدنيا نقيض الآخرة أعجلت الناقة: ألقت ولدها والعجلة بالتحريك: التي يجرها الثور، والعجل، ولد البقرة والجمع عجلة[1].

2) العجل في الديانة المصرية القديمة:

يعتبر تقديس العجول في الحضارة المصرية القديمة ذات شهرة وانتشار واسع فالإله ابيس apis عبد على هيئة العجل في صنف منذ عصر السرات المبكر يدل على خصوبة الأرض يمثلونه بجسم إنسان ورأس عجل يرمز للقوة الجسدية والتفوق في النسل. وقد انطبقت على مخيلة الفلاحين الشعبيين في مصر الخصائص الميزة لبعض الحيوانات التي ارتبطت حياتهم بها، فالثور والكبش قد أثرا على المخيلة لقدراتها الإنتاجية وقواها الإخصابية[2].

كما كان لعقيدة العجول مكانتها الراسخة فتجد مثلا عقيدة العجل حابي hapi بالمصرية و ابيس apis باليونانية في مركز لها في مدينة صنف كما أن عقيدة عجل آخر هو مرور merrour بالمصرية ومنفيس monivisباليونانية إلى نفس الوقت وهنالك العجل الأبيض والعجل الأسود العظيم والعجل المكرس كان للاثنين الأخيرين كهنة أو خدم الإله فإن العجل الأبيض وكذلك ابيس لم يكن لهما إلا سدنة أو حفظة فقط يقومون على رعايتهما لا يرتقون إلى رتبة الكهانة وتعرف أيضا أن العجل الأسود كان رمزا معبودا مقدس للمقاطعة العاشرة بالدلتا[3].

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج 10 ، ص 41.

[2] – يورو سلاف سيرني، الديانة المصرية القديمة، ط 01، دار الشرق، تر، أحمد قري، بيروت، ص 236.

[3] – المرجع السابق، ص 21–22.

فالقوالب التي ترشد الحبس الديني وتجعل من الدين ظاهرة جمعية يمكن إرجاعها إلى ثلاثة هي: المعتقد والطقس والأسطورة[1]،

لا يمكن لعقيدة أو لدين أن ينشر أفكاره بين الناس، ويعمل على رسم صورة ذهنية لعالم المقدسات وتوضيح صلته مع عالم الإنسان إلا بتوفر هذه الأسس الثلاثة وينتشر المعتقد ويؤثر في المجتمعات الأخرى ويدوم قرونا أخرى فالمعتقد شأن جمعي بين أفراد المجتمع وإلا اندثر فهو مجموعة أفكار واضحة مباشرة تنحت على الصخور وأماكن العبادة نصوص دينية له يقوم الكهنة بالتعريف به وتوضيحه للناس من خلال تراتيل معينة، أما الطقوس فمن خلال التجربة وتفاعل الجسد والعاطفة مع الآلهة يحدث التجاوب من خلال الرقص والموسيقى والإيقاع في أوقات منتظمة، أي صورة لا تخرج من الفكر إلى عالم الفعل هي صورة معرضة للتحجر والتلاشي[2].

أما الأسطورة فهي حكاية مقدسة بسلطان ذاتي [3]، فهي تعمل على توضيح المعتقد الديني، وتثبته لتجعله متداولا بين الأجيال، وتزوده بذلك الجانب الخيالي، وتضفي عليه ألون وضلال حية[4].

---

[1] – فراس السواح، دين الإنسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ص 43.

[2] – المرجع نفسه، ص 54.

[3] – المرجع نفسه، ص 59.

[4] – المرجع نفسه، ص 59.

3) التحليل الصوتي لمفهوم العجل:

من خلال خطاطة الربط التالية:

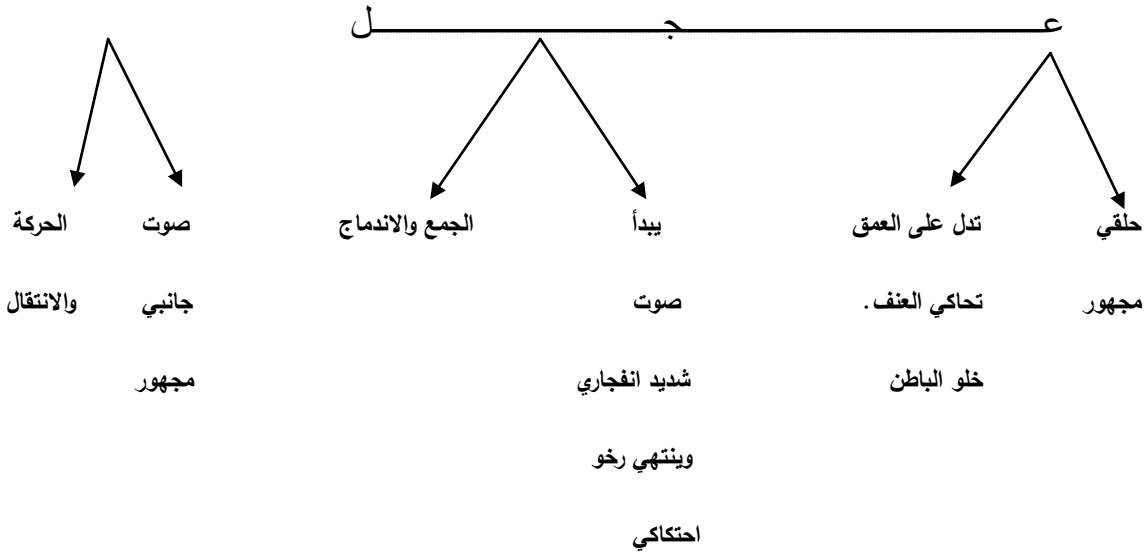

اقتران صوتي العين والجيم الجهريين، والشديدين للدلالة على الضخامة، وخلو الباطن، وهذا ما نستشفه من مدلوله اللغوي كما وضحه الباحثون، إضافة لاتصالهما باللام الذي يمتاز بالانحراف والانتقال من مكان إلى آخر، ونشير إلى أن هذه الأحرف مجتمعة غير منتشرة كثيرا مع بعض في اللغة العربية.

4) تحليل مفهوم العجل في سورة البقرة

المثال 01: يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾[1]، وإذ معطوفة واعدنا فعل ونا موسى مفعول به أول أربعين مفعول به ثان ليلة تمييز، ثم حرف عطف اتخذتم فعل وفاعل، والجملة معطوفة، العجل

[1] – سورة البقرة الآية ص 50.

مفعول به أول والمفعول به والمفعول به الثاني محذوف تقديره ثم اتخذتم العجل معبودا، متعلقا بالفعل اتخذتم انتم مبتدأ ظالمون خبره والجملة في محل نصب حال[1].

ذكر في الكشاف وتفسير البغوي وتفسير البيضاوي أن الله وعد موسى أن يؤتيه الشريعة بعد أن عادوا بنو إسرائيل إلى مصر بعد مهلك فرعون وهذا وهم فإنهم لم يعودوا لمصر البتة بعد خروجهم فنزول الشريعة كان بطور سينا، فالمواعدة هنا أمر الله موسى أن ينقطع أربعين ليلة لمناجاة الله تعالى فهو تشريف له ووعد له بكلام الله وإعطاء الشريعة.

فباتخاذهم العجل تشبها بالكنعانيين عبدة الأوثان وكان العجل مقدسا عندهم وكانوا يميلون أعظم الآلهة عندهم بصورة إنسان من نحاس له رأس عجل جالس على كرسي مادا ذراعيه كمتناول شيء ... يقدمون له قرابين وربما قربوا له طفلا صغيرا فيوضع حتى يشوى دليلا على قبول القربان وكان يسمى عندهم بعلا وربما سموه ملوك فعند ذهاب موسى لربه اتخذ لهما لسامري العجل الذي صنعه منن ذهب وفضة من حليهم وعبدوه[2].

فالله تعالى يذكر بأنهم ظالمون لأنفسهم بهذا الصنيع لكن برغم ذلك عفا عنهم ربما يعودوا عن ضلالتهم.

المثال 02: يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[3]، خطاب نبي الله موسى عليه السلام لبني إسرائيل بظلم أنفسهم حين صنعوا عجلا وعبدوه من دون الله تعالى وخير لهم أن يتوبوا إلى الله

---

[1] – أحمد عبيد الدعاس، وأحمد محمد عيدان، وآخرون، إعراب القرآن الكريم، ص 21.

[2] – الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 500.

[3] – سورة البقرة الآية 53.

لأن هذا كفر عظيم لا يغتفر وحين عقدوا العزم على ذلك تاب إلى تاب الله عليهم برحمته وعفوه عسى أن يهتدوا ويرجعوا إلى الله.

وما نلاحظه في المثالين السابقين اقتران مفهومي موسى والعجل دلالة على عظم الجرم والكفر بالله وأنه بعث لإنقاذ بني إسرائيل من العقائد الباطلة.

المثال 03: يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1]، وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة واشربوا في قلوبهم العجل أي تداخلهم حبه وحرصهم على عبادته كما يتداخل الثوب الصمغ في قلوبهم بيان لمكان الإشراب، فليس في التوراة عبادة العجاجيل، وهذا تهكم عليهم [2]فبرغم الميثاق الذي عاهدوا عليه وآية الطور التي تقوي إيمانهم والكف عن العقائد والأخلاق الذميمة إلا أنهم عصوا واتبعوا أهواءهم وحب عبادة العجل التي داوموا عليها، طويلا مع ذلك الذل والعبودية، التي كانوا يعيشون فيها لم يستطيعوا الإقلاع عنها في ضعف في عقولهم وقلوبهم، فماذا ننتظر ممن يعبد أبلد وأغبى الحيوانات إضافة لعبوديته وقهره أجيالا متعاقبة، فقوله سمعنا وعصينا قالوه حقيقة كما يقول الرازي.

والتعبير بقوله "أُشربوا" يشير على انه بلغ حبهم للعجل مبلغ الأمر الذي لا اختيار لهم فيه، كأن غيرهم أشربهم إياه وقوله تعالى بكفرهم دليل على أن محبتهم للعجل ناشئة عن كفر سابق وجحود متأصل فهو كفر على كفر[3].

---

[1] – سورة البقرة الآية 92.

[2] – الزمخشري، تفسير الكشاف، مرجع سابق، ص 87.

[3] – محد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط 01، دار المعارف، القاهرة، 1992، ص 207.

أ- الصورة الذهنية: التخييل والتجسيم.

تتلاحق الأحداث والصور الذهنية، وذلك لتقريب المعنى وترسيخها في الأذهان، فترسم لنا الآية الكريمة ثلاث صور متتالية مختلفة، أما الأولى فاعتبار الميثاق شيء مادي بعدما كان معنويا والإمساك به ليظهر ذلك التبادل واخذ العهد والأمانة من بني إسرائيل ليؤمنوا بالله وبرسله.

إضافة للصورة الثانية المرعبة التي تبين عظمة الله وقدرته ولأهمية الإيمان به تصور وضع الجبل فوق رؤوسهم تهديدا ووعيدا، بالتمسك بما جاء به الله، إضافة على الصورة الأخيرة التي تظهر العجل سائلا يشربه القوم دلالة على حب العجل والتعلق به ليأتي الزجر والتقريع من ذلك.

ب- المفارقة بالتشبيه:

ويعرفه علي الجارم ومصطفى أمين بقولهما: "هو بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة كانت أو ملحوظة".[1]

ففي هذه الآية تشبيه بليغ وهو بجعل قلوبهم لتمكن أحب العجل منها كأنها تشرب، وإنما عبر عن حب العجل بالشرب دون الأكل لأن شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها والطعام لا يتغلغل، والمشبه القلوب، والمشبه به حب العجل، والأداة والوجه محذوفان، وتقديره المحبة في القلب، والغرض من هذا التشبيه تقبيح المشبه بحبه العجل.

[1] علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ط01، دار المعارف، القاهرة، دس، ص65.

ج- الاستعارة:

وهي التي اختفى فيها لفظ المشبه به، واكتفى بذكر شيء من لوازمه دليلا عليه، فالفعل الماضي أشربوا هو اللفظ المستعار، والمستعار منه هو الشيء الذي يسوغ شربه وهو المشبه به غير المذكور في نص الآية صراحة، وإنما اكتفى بذكر شيء من لوازمه وهو الإشراب، والعلاقة بينهما المشابهة، وهذا من باب الاستعارة المكنية، والاستعارة من أهم أشكال الإيحاء والصورة، وهي أقدر من التشبيه على التصوير والتخييل ونقل المشاعر.

5) الدلالة المفاهيمية لمفهوم العجل في سورة البقرة:

يظهر لنا أن تكرار العجل في السورة الكريمة، كان يقصد به عجل بني إسرائيل فهؤلاء القوم عاشوا مدة طويلة في مصر تحت حكم الفراعنة، يعانون العبودية بشتى أنواعها من ظلم وقهر وحرمان، ثم جاء الهكسوس فبقوا على حالهم هذه ثم عاد الفراعنة وأبقوا في ذلهم وحرمانهم متأثرين بمعتقداتهم من عبادة العجل، فبعث الله النبي موسى عليه السلام ليخرجهم من ظلمات العبودية إلى نور الإيمان والحرية لكنهم ما إن علموا وعرفوا ما في التوراة كفروا بها ولم يؤمنوا.

فقد كان حب العجل يسري في دماهم قال تعالى "واشربوا في قلوبهم العجل" يقول ابن تيمية آخر مراتب الحب التتيم وأوله العلاقة لتعلق القلب بالمحبوب ثم الصبابة لاستصباب القلب إليه ثم الغرام ... فالمتيم المعبد لمحبوبه[1].

[1] – تقي الدين أحمد ابن تيمية، العبودية، ط 07، المكتب الإسلامي، تح: محمد زهير الشاويش، بيروت لبنان، 2005، ص 48.

ويظهر لنا أن القوم تعلقوا بالعجل، واعتبروه إلهً تعلق القلب بالمحبوب كما يقول ابن تيمية فعباد الأصنام يحبون آلهتهم أشد الحب.

ولهذا يميل هؤلاء ويغرمون بسماع الشعر، والأصوات التي تهيج المحبة المطلقة التي لا تختص بأهل الإيمان، بل يشترك فيها محب الرحمان ومحب الأوثان ومحب الصلبان، ومحب الأوطان ... وهؤلاء الذين أذواقهم ومواجيدهم من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة.

كل ذلك سببه التعلق بالماديات وحب الصور، والألوان والأصوات كما فعل بنو إسرائيل حينما تعلقوا بصور العجل ولونه البراق الذي يجلب القلوب والعقول الخاوية وكذلك الأصوات صوت كخوار عجل السامري الذي استخف قومهم واستغل جهلهم وبلادة عقولهم وذلك الفراغ الإيماني والسياسي حين غاب بينهم النبي موسى عليه السلام يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّـهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[1].

وكذلك طلبهم من نبيهم أن يصنع لهم إلهً ما رأوا قوما يعبدون عجلا ثم صناعة العجل.

وهؤلاء عشاق الصور من أعظم الناس عذابا ... ومن أسبابه إعراض القلب عن الله، وكذلك اتباع الهوى من خلال كل ما تقدم نرى أن عجل بني إسرائيل يرمز إلى كل ما يُعبد من دون الله كالدرهم ،والدينار، والذهب، وحب الرئاسة، والجاه أو حتى الحياة من غير طاعة، فكل محبة لغير الله أو عمل لا يوفق شرعه فهو باطل[2].

---

[1] سورة البقرة، الآية 55.

[2] – تقي الدين أحمد ابن تيمية ، مرجع سابق، ص 69.

6) الخطاطة العامة للمفاهيم:

أحاول أن أجمل دلالة المفاهيم القرآنية من خلال الخطاطة التالية:

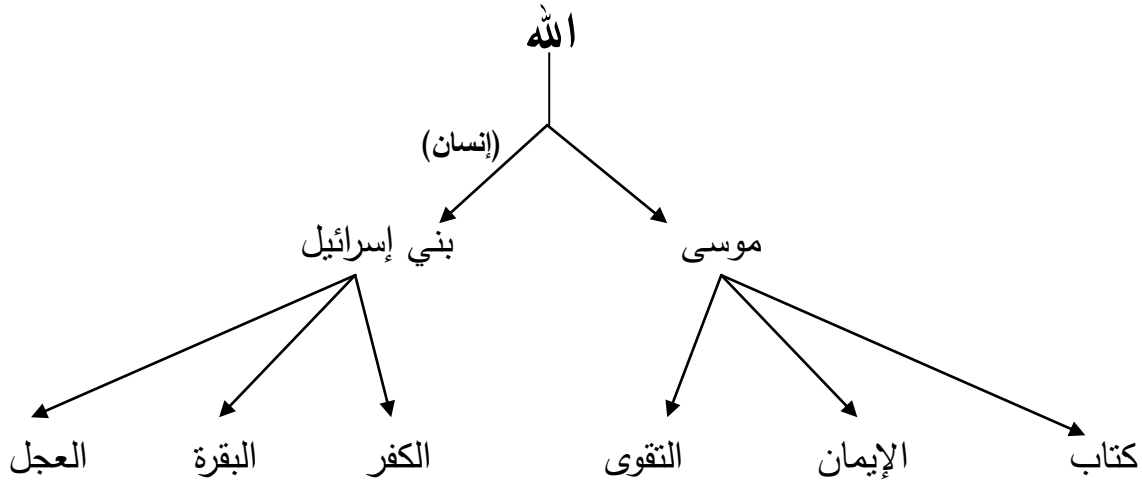

نستنتج من هذه الخطاطة أن السورة الكريمة تتحدث عن الإيمان والاستخلاف في الأرض من خلال مجموعة من المقومات التي حث عليها الأنبياء، وهي إتباع ما أنزله الله لرسله والإيمان به حق الإيمان بإخلاص، وعمل صالح، والأخذ بأسباب التقوى، منها: أعمال البر المختلفة من صدقة، وحج، وإحسان، وإصلاح بين الناس، أما هؤلاء القوم فلا إيمان لهم، ويحذرنا القرآن الكريم من إتباعهم، تشابهت قلوبهم فهم لا يؤمنون.

أما عبادة العجل فمتمثلة في عصرنا الحالي في إتباع الهوى، وعبادة الدرهم والدينار ، والسير وراء الشهوات المختلفة.

الخـاتـمـــة:

خلصت الدراسة العرفانية للمفاهيم القرآنية في سورة البقرة إلى جملة من النتائج النظرية والتطبيقية، وهي:

- ✓ تعتبر المقاربة العرفانية من المناهج النقدية واللسانية الناجحة والبحث في متغيراتها المختلفة لتوضيح أفضل يقصد المؤلف.،
- ✓ العلوم العرفانية المختلفة وإن جُرِّبت على العلوم العصبية فقط من خلال الجسدنة، إلا أنها تعتبر مكملا مهما ومساعدا للبحث الدلالي.
- ✓ أظهر كذلك هذا البحث اللغوي قضايا دلالية في غاية الأهمية للغة العربية بين الألفاظ والمعاني، فمع المشترك اللفظي والدلالي يظهر عدة معاني للفظ الواحد ومع الترادف يظهر عدة ألفاظ تعبر عن معنى واحد والسبب كما قلت للتغير الدلالي عبر الزمن.
- ✓ إذا المشترك اللفظي يراه الباحثون هو القوة الاقتصادية للرصيد اللغوي، من توالد المفاهيم وتغيرها لحاجات الإنسان، وتغيراتها المستمرة الاجتماعية والثقافية.
- ✓ إذا كانت الدلالة العرفانية خاصة واللسانيات العرفانية عموما تبحث في المعنى اللغوي الحاصل في الأذهان من خلال اللغة والتجربة فإن الصورة الذهنية المستمدة بكثرة من القرآن الكريم لتقريب المعنى إضافة لبديع اللغة وبلاغتها، قد استخدمتهم في بيان بعض المفاهيم، فقد أتت بنتائج لا بأس بها وتعتبر من الأساليب والطرق المهمة لبيان الفكرة للمتلقي وتقبلها.
- ✓ يعتبر التجذير اللغوي والخطاطات من النظريات المهمة في الدلالة العرفانية التي تعين على فهم أفضل للمعنى.
- ✓ يعتبر التطبيق في الدلالة العرفانية من خلال العلوم العرفانية المختلفة من علوم الأعصاب وعلم النفس، والأنثروبولوجيا عاملا مهما، وحساسا في التحليل

والمناقشة، مما يضفي عليها الأهمية والمصداقية، والدقة خاصة في الخطابات التواصلية الاجتماعية.

- ✓ البحث في المفاهيم وتغيراتها ومراحلها المختلفة عبر الزمن، أظهر وجود تغير دلالي واضح خاصة من المادي إلى المعنوي كمفاهيم: الإيمان، التقوى، الكفر.

التوصيات:

- ✓ تعتبر المدونة القرآنية من أهم وأرقى المدونات في الدراسة والتحليل لغناها المفاهيمي، وانتظامه، وثرائها البياني والبلاغي، لذا يُنصح باتخاذها أهم المدونات خاصة للطلاب المجتهدين، واستكناه معانيها.
- ✓ من خلال التحليل والدراسة تبين لي فعالية الدلالة العرفانية في تحليل الخطابات من خلال البحث في المتغيرات المفاهيمية المختلفة، لذا تعتبر من أنجع وأنجح المقاربات في ذلك.
- ✓ الاهتمام أكثر بالعلوم العرفانية في عملية التحليل لما لها من أهمية في وضوح الدلالة.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش بقراءة الإمام نافع.

أولا- المراجع العربية:

-أبو خليل شوقي، أطلس القرآن، أماكن أقوام أعلام، ط 1، دار الفكر المعاصر، سوريا، 2012.

-الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، ط 1، المركز الثقافي، بيروت.

-الأصفهاني الراغب، مفردات القرآن.

-أنيس إبراهيم، دلالات الألفاظ، ط 5، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، (د ت).

-بن غريبة عبد الجبار، مدخل إلى النحو العرفاني، ط 1، مسكيلياني للنشر، تونس، 2010.

-بوزغاية رزيق، ورقات في لسانيات النص، نقلا عن تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، ط 1، مصر، 2007.

-البوعمراني محمد الصالح، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، ط 1، مكتبة علاء الدين، تونس، 2009.

-جحفة عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ط 1، دار توبقال للنشر، المغرب، 2000.

-الجوزية ابن القيم، بدائع الفوائد، ط 1، دار عالم الفوائد، جدة، السعودية، (د ت).

-الحباشة صابر، دراسات في اللسانيات العرفانية، الذهن واللغة والواقع، ط 1، مركز الملك عبد الله، الرياض، 2019.

-حسين محمد مخلوف، كلمات القرآن، ط 1، دار إحياء التراث العربي (د ت).

-الحوشان يوسف بن حمود، الآثار الواردة عن السلف في اليهود في تفسير الطبري، ط 1، دار ابن الجوزي، السعودية، 1434 هـ.

-الدعاس أحمد عبيد وحميدان، إعراب القرآن، ط 1، مكتبة الفارابي، الشارقة، 2004.
-ديدات أحمد، الله في اليهودية والمسيحية والإسلام، ط 1، دار المختار الإسلامي، القاهرة.
-الزناد الأزهر، مدخل في نظرية المزج.
-السبحاني جعفر، مفاهيم القرآن، ط 1، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 2010.
-سعود عبد الرحمان، أدب الخطاب في القرآن الكريم، دروب للنشر، الأردن، 2016.
-السواح، فراس، دين الإنسان، ط 4، دار علاء الدين، سوريا، 2002.
-الشافعي محمد إدريس، الرسالة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ت).
-شلبي أحمد، مقارنة الأديان أديان الهند الكبرى، ط 2، مكتبة النهضة، 1987.
-طليمات غازي ، في علم اللغة، ط 1، دار طلاس، دمشق، سوريا، 1997.
-علي جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط 2، بيروت، لبنان، 1993.
-العماري إبراهيم بن راشد بن سيف ، دلالة النص عند الأصوليين وتطبيقاته الفقهية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات الفقهية، والقانونية، ديسمبر، 2003.
-العيد سليمان بن قاسم، اقتران الأسماء الحسنى في أواخر الآيات من سورة البقرة، ط 1، جامعة الملك سعود، السعودية، 1420 هـ.
-القرطاجني أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ط 1، تونس، 1966.
-القشيري أبي القاسم عبد الكريم، تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، ط 1، دار الكتب العلمية، تحقيق وتعليق عبد اللطيف حسن عبد الرحمان، بيروت، لبنان، 2007.
-لحويدق عبد العزيز، نظريات الاستعارة في البلاغة العربية، ط 1، كنوز المعرفة، الأردن، (د ت).
-محمد عبدالله دراره، النبأ العظيم، دار القلم، الكويت، 1970.
-مذكور ابراهيم، دروس في فلسفة التاريخ، ط 1، (د ت).

-موسى سلامة، نشوء فكرة الله، ط 1، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012.
-وهدان عمر وخاطر ، فحوى الخطاب الدلالة المسكوت عنها عند الأصوليين مقاربة تداولية، (د ط)، جامعة طيبة، المدينة المنورة، 2014.

ثانيا- المـراجـع المتـرجمـة:

- آن دو برواز، خفايا الدماغ، ط 1، مكتبة الملك فهد، تر: زينة ذهبي، السعودية، 2015.
- باردنر جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ط 1، تر: إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة الكتب الثقافية، الكويت، 1993.
- لايكوف جورج وجونسون مارك، الاستعارة التي نحيا بها، تر: عبد الجيد جحفة، ط 1، (د ت).
- لوقا كافللي لويجي، الجينات والشعوب واللغات، ط 1، تر: أحمد مستجير، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004.
- مارك تورنر، نظرية المزج، تر: الأزهر الزناد، ط 1، وحدة البحث اللسانية، تونس، 2011.

ثالثا- التفـاسيـر:

-ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، ط 1، مؤسسة التاريخ العربي، ج 1، بيروت، لبنان، 2000.
-الزمخشري أبي القاسم جار الله محمد بن عمر، تفسير الكشاف، ط 3، دار المعرفة، تح: خليل مأمون شيحا، بيروت، لبنان، 2009.
-الزهراني مرزوق بن هياس آل مرزوق، رياض الأذهان في فهم القرآن، ط 1، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة ، السعودية، 1434 هـ.

-محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، ط 1، دار المعارف، المجلد الأول، القاهرة، 1992.

رابعا- المجـــلات:

-ايفانس فيفيان وجرين ميلاني، تر: أحمد، مجلة فصول، العدد 100، القاهرة، 2017.

- الذويبي لطيفي، مجلة علامة، ورقلة، الجزائر، ع 3، نوفمبر 2019.

-عبد الحميد عبد الواحد ومحمد تروق، مجلة سباقات، العدد 3، تونس، أوت 2016.

- عمر بن دحمان، مجلة الخطاب، ع 10، تيزي وزو، الجزائر، جانفي 2012.

خامسا- المعـاجـم والمـوسـوعـات:

- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط 03، دار صادر، بيروت، لبنان، فصل السنين، ج 03.

-أحمد ابن فارس، مجمل اللغة، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1986، ج 1.

-أحمد ناصر وآخرون، المعجم الوسيط، دار صادر، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

-الجرجاني علي بن محمد ، التعريفات، ط 1، الطبعة الخيرية الجمالية، مصر، 1306 هـ.

-داود محمد محمد، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ط 1، دار غريب، القاهرة، 2008.

-الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط 1، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 2004، مادة (عرف).

-القزويني الخطيب، تلخيص المفتاح، ط 1، القاهرة، 1986.

-الكفوي أيوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ط1، تح: عدنان درويش، محمد المصري، دار الرسالة، (د ت).

سادسا- المذكرات والرسائل الجامعية:

- فطومة لحمادي، السياق والنص، استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2008.

- عبد الحميد عمروش، السياق ودوره في إنتاج الدلالة، دراسة في تفسير الشيخ عبد الحميد ابن باديس، رسالة مكملة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة والأدب العربي، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة باتنة 1، 2016- 2017.

فهرس المحتويات:

مقدمـــة

تمهيـد

الفصل الأول: تحديد المفاهيم

المبحث الأول: مفاهيم ومصطلحات في الخطاب والسياق.....5

توطئة:.....5

المطلب الأول: الخطاب.....6

1) الخطاب لغة:.....6

2) الخطاب اصطلاحا:.....7

المطلب الثاني: السياق.....8

1) السياق في اللغة والاصطلاح.....8

أ) السياق لغة:.....8

ب) السياق اصطلاحا:.....9

2) أنواع السيـاق:.....12

أ- فـي الـقرآن:.....12

ب- عند العرب: أسباب النزول والأحوال التي نزلت فيها الآية وأحوال المخاطبين بها.....12

3) السياق القرآني مفهومه ومكوناته:.....14

أ- مفهوم السياق القرآني:.....14

ب- مكونـات السياق القرآني:.....14

المطلب الثالث: الدلالة والخطاب القرآني.....15

أولا: علم الدلالة:.....15

1) مفهوم الدلالة:.....16

أ- الـدلالـة لغـة:.....16

ب- الدلالة اصطلاحا:..... 16
2) تاريخ الدلالة. 17
3- أركـان الـدلالـة:..... 19
4- أقسام الدلالة:..... 20
أ) عند العرب:..... 20
الدلالة اللفظية الوضعية وأقسامها:..... 22
ب) عند الحنفية:..... 23
1- الدلالة اللفظية:..... 23
2- الدلالة الوضعية 23
ج- عند الجمهور..... 24
2- المفهوم:..... 25
أ) لغة..... 25
ب) اصطلاحا 26
أولا: مفهوم الموافقة..... 26
1) في اللغة والاصطلاح:..... 27
أ) الموافقة لغة 27
ب) ومفهوم الموافقة اصطلاحا..... 27
2) شروط الموافقة 28
ثانيا: مفهوم المخالفة:..... 28
1) في اللغة والاصطلاح:..... 28
أ) المفهوم لغة 28
ب) المفهوم اصطلاحا 29
ج) المخالفة لغة 29
د) المخالفة اصطلاحا..... 29

2) مصطلحات مرادفة لمفهوم المخالفة..... 29
د) عند المحدثين..... 30
ثانيا: الخطاب القرآني..... 31
1- مفهوم القرآن..... 31
أ) القرآن لغة..... 31
ب) القرآن اصطلاحا..... 32
2) الخطاب القرآني:..... 33
أ) مفهوم الخطاب القرآني..... 33
ب) القرآن الكريم بين النص والخطاب..... 35
المبحث الثاني: تحديد مفاهيم العرفانية..... 37
توطئة:..... 37
المطلب الأول: مفاهيم العلوم العرفانية ونشأتها..... 37
1) مفاهيم العرفانية..... 37
أ) العرفان لغة..... 37
2) نشأة العلوم العرفانية..... 38
أ) مرحلة الظهور:..... 40
3) أمثلة عن علاقات بعض العلوم العرفانية ببعض:..... 42
أ) دور الثقافة وعلم الأعصاب بالسلوك الإنساني:..... 42
ب) ارتباط الكلام بالصور في الذهن البشري:..... 43
ج) هندسة النموذج في الدماغ:..... 44
د) التجسّد:..... 44
هـ) نقطة الإبداعية في التواصل:..... 45
المطلب الثاني: اللسانيات العرفانية مفهومها وفرضياتها وأقسامها..... 46
توطئة:..... 46

1) مفهوم اللسانيات العرفانية:..... 46
2) فرضيات اللسانيات العرفانية:..... 47
3) أقسام اللّسانيات العرفانية:..... 49
المطلب الثالث: مفاهيم ونظريات في الدلالة العرفانية..... 49
توطئة:..... 49
أولا: مفهوم الدلالة العرفانية ومبادئها..... 50
1) مفهوم الدلالة العرفانية:..... 50
2) مبادئ الدلالة العرفانية:..... 52
أ) البنية المفهومية مجسدنة..... 52
ب) البنية الدلالية بنية مفهومية..... 52
ج) موسوعة تمثيل المعنى..... 53
د) بناء المعنى هو بناء التصور 53
ثانيا: مفاهيم في الدلالة العرفانية..... 54
1- المعنى:..... 54
أ) المعنى لغة:..... 55
ب) المعنى اصطلاحا:..... 55
2- الفهم:..... 56
3- الخيال:..... 57
ثالثا: نظريات الدلالة العرفانية..... 58
توطئة:..... 58
1) المَقُوَلة:..... 58
2) مفهوم النموذج الأصل:..... 59
رابعا) المقاربة المفهومية للدلالة العرفانية:..... 60
خامسا: أسس عمل النظرية الدلالية وكيفية تشكيل المفاهيم في الذهن..... 62

المطلب الرابع: النحو العرفاني..... 65

توطئة:..... 65

أولا: مبادئ النحو العرفاني..... 65

ثانيا: مباحث عرفانية..... 66

1) الاستعارة:..... 66

أ) مفهوم الاستعارة:..... 67

ب) أسس ومبادئ المقاربة التجريبية للاستعارة:..... 67

2) أنواع الاستعارات:..... 69

أ- الاستعارات الوضعية..... 69

ب- الاستعارة البنيوية..... 69

ج- الاستعارة الوجودية..... 69

3) إنتاج الوحدات الكلامية:..... 70

4) الفضاءات الذهنية:..... 71

أ) مفهوم الفضاء الذهني:..... 71

ب) مبادئ تشكّل الفضاءات الذهنية:..... 72

ج) أنواع القضايا الذهنية:..... 73

5) الخطاطة:..... 74

أ) أنواع الخطاطات:..... 75

1) خطاطة القوة..... 75

2) خطاطة الصورة..... 75

المبحث الثالث: عقائد الإنسان القديم..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

توطئة:..... 101

عقائد الأقوام السابقة:..... 102

1- في الفكر الهندوسي..... 102

2- في الديانة المصرية القديمة..... 102
3- العقيدة عند اليهود..... 103
4- عقيدة العرب في الجاهلية..... 104
الفصل الثاني: تحليل المفاهيم القرآنية
توطئة:..... 78
المبحث الأول: تطبيقات في العلوم العصبية (العلاقة بين علم الأعصاب والسلوك الإنساني) ... 79
المطلب الأول: الجسدنة..... 79
1) العقل المتجسّد:..... 79
أ) تطبيق العقل المتجسّد في قوم بني إسرائيل:..... 79
ب) مثال عن الجسدنة وكيفية تشكل الكلام بالصورة الذهنية:..... 81
المطلب الثاني: علم النفس وسلوك الإنسان..... 82
أولا: مفهوم العدوان..... 85
1) النظريات المفسرة للعدوان..... 85
أ) النظرية النفسية..... 85
ب) نظرية الإحباط..... 86
2) أسباب العدوان:..... 86
المطلب الثالث: تطبيقات في الدلالة العرفانية..... 90
1) التجذير الابستيمي في النص:..... 90
خلاصة:..... 95
2) المناويل الاستعارية:..... 95
المطلب الرابع: التعريف بسورة البقرة:..... 99
توطئة:..... 99
المبحث الثاني: تحليل الدلالة المفاهيمية للمفاهيم القرآنية..... 100
المطلب الأول: مفهوم لفظ الجلالة "الله" (الأسماء الحسنى). 105

1) التّواب الرّحيم:..... 107
2) واسع عليم: 108
3) العزيز الحكيم:..... 110
العزيز :..... 111
المطلب الثاني: مفهوم لفظ الإيمان..... 111
1) مفهوم الإيمان:..... 113
أ) الإيمان لغة: 113
ب) الإيمان اصطلاحا: 116
2) التحليل الدلالي لمفهوم الإيمان في سورة البقرة:..... 118
3) مفهوم الكفر في سورة البقرة:..... 128
أ) الكفر لغة:..... 129
ب) الكفر اصطلاحا..... 131
4) مفهوم الكتاب في سورة البقرة:..... 136
أ) كتب لغة:..... 137
أمثلة عن مفهوم الكتاب في السورة الكريمة:..... 141
أ) بيان نزول الكتب الأربعة ومواقيتها:..... 150
ب) الدلالة المفاهيمية لمفهوم الكتاب:..... 152
5) مفهوم التقوى في السورة الكريمة:..... 153
أ) التقوى لغة:..... 154
ب) التقوى اصطلاحا:..... 155
تحليل للمفهوم في السورة:..... 156
الدلالة المفاهيمية لمفهوم التقوى..... 161
المبحث الثالث: مفهوم موسى في سورة البقرة..... 163
المطلب الأول: مفهوم موسى..... 163

1) موسى لغة: 163
2) حياته: 164
3) فضلـه: 164
التحليـل الدلالـي لمفهـوم لفـظ مـوسـى: 166
3) التطـور الدلالـي لمفهـوم موسـى: 174
المطلب الثاني: مفهوم إسرائيل في السورة الكريمة. 175
1) الدلالة اللغوية لمفهوم إسرائيل: 176
2) التحليل الدلالي لمفهوم إسرائيل: 178
المطلب الثالث: مفهـوم البـقـرة فـي السـورة. 183
1) مفهوم البقرة: 184
أ) العنوان لغة: 184
ب) العنوان اصطلاحا: 184
المطلب الرابع: مفهـوم العجـل فـي سـورة البقـرة. 188
1) مفهوم العجل: 189
أ) العجل لغة: 189
2) العجل في الديانة المصرية القديمة: 192
3) تحليل مفهوم العجل في سورة البقرة. 194
4) الدلالة المفاهيمية لمفهوم العجل في سورة البقرة: 198
خـاتـمـــة: 202
قائمة المصادر والمراجع: 206
فهرس المحتويات: 212